أنيس منصور

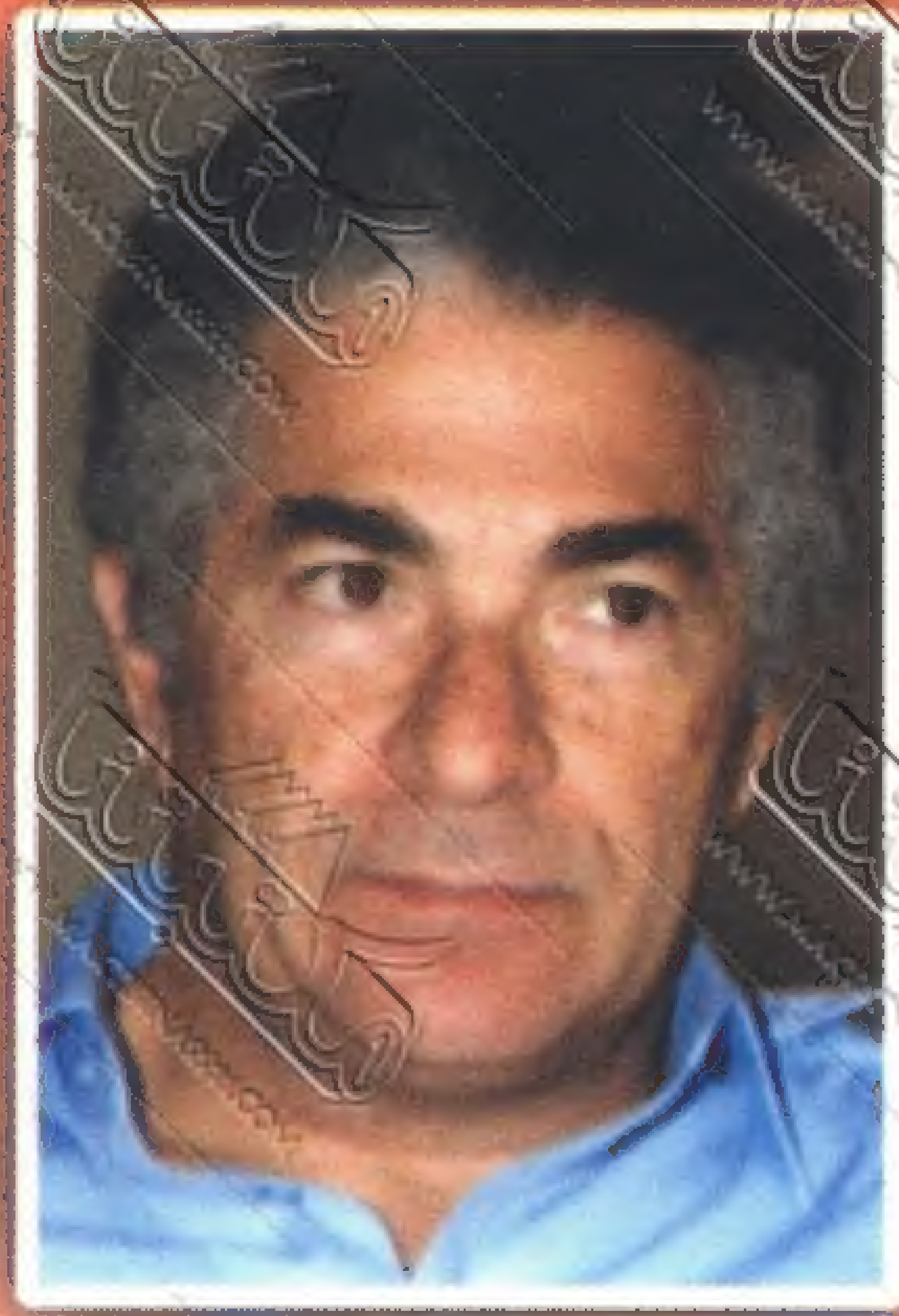
دعوة للابتسام



Ahmed Mady

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

هذا الكتاب



Monday
23/7/2012
Riyadh
KSA

الدنيا كالمرأة !

ابتسم لها تبتسم لك !

مؤكد : لن يرتفع سعر الابتسام ،

ولن تنخفض قيمته !

ابتسم الآن ، فقد لا تقدر على ذلك غدًا !

الابتسامة تضيء العقل وتدفئ القلب !

إذا لم تستطع أن تبتسم

فحاول أن تقلد الذين يفعلون ذلك !

من يبتسم للناس ، لا يلتفتون إلى ملابسه القديمة !

إذا كان قلبك باسمًا ، ظهر ذلك على وجهك !

أنت تحتاج إلى تحريك ٢٦ عضلة لكى تبتسم

و٦٢ عضلة لكى تتجهم !

(ابتسام) كلمة أولها : أب وآخرها : أم !

أنيس منصور





www.nahdetmisr.com

القراءة للجميع
٢٠٠٥
مكتبة الأسرة

سلسلة العلوم الاجتماعية

كتابنا القادم

الأديرة الأثرية في مصر

تأليف

ك. ك. والترز

ترجمة

إبراهيم سلامة إبراهيم



أنيس منصور

دعوة للابتسام



كلمـــة أولـــى!

الدنيا كالمرأة ابتسم لها تبتسم لك!



مؤكد : لن يرتفع سعر الابتسام ، ولن تنخفض قيمته!



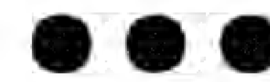
ابتسم الآن ، فقد لاتقدر على ذلك غداً!



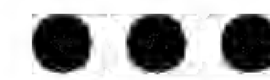
الابتسامة تضىء العقل وتدفئ القلب!



إذا لم تستطع أن تبتسم فحاول أن تقلد الذين يفعلون ذلك!



من يبتسم للناس ، لايلتفتون إلى ملابسه القديمة!



أنت لست فى حاجة إلى أن تعرف اسمى لكى تبتسم لى!



إذا كان قلبك باسما ، ظهر ذلك على وجهك!



أنت تحتاج إلى تحريك ٢٦ عضلة لكى تبتسم و٦٢ عضلة لكى تتجهم!



(ابتســـــام) كلمة أولها : أب وآخرها : أم!

من كل اللوحات التى رسمها الفنانون فى كل الدنيا لم تبق إلا لوحة واحدة لسيدة (تبتسم) . . هذه الابتسامة حيرت الناس . . الفنانين والموسيقيين وعلماء النفس والمؤرخين ، لأى شىء تبتسم هذه السيدة فى اللوحة التى رسمها العبقرى الإيطالى ليوناردو دافنشى . . السيدة اسمها موناليزا واللوحة اسمها (چيوكندا) أى المبتسمة . .

قالوا : إنه الفنان كان يأتى لها بالفرق الموسيقية لكى تسمعها وتبتسم . .

قالوا : إن السيدة كانت حاملا . . وابتسامتها الرقيقة هى دليل سعادتها . .

وقالوا : تستطيع أن تراها من أية زاوية ثم تجدها تبتسم . . وصعوبة هذه اللوحة أن الابتسامة رقيقة لدرجة من الصعب رسمها . . فلا هى ضحكة ولا هى شروع فى ابتسامة . . كيف حدث ذلك؟ وكيف استطاع القلم أن يضبط الابتسامة قبل أن تكون ضحكة . . أوحتى لاتكون ضحكة . . وقالوا كثيرا . . ولكن بقيت الابتسامة لغزا . . ولكن من المؤكد أنها جميلة بديعة عميقة . .

وكان آلهة الإغريق يحسدون البشر على أنهم يموتون ، وهم قد زهقوا من الخلود . . وكانوا يحسدون البشر على أنهم يبتسمون . . ويحربون ويمرضون ويحبون ويكرهون . . ولذلك كان آلهة الإغريق يحولون أنفسهم إلى بشر لكى يصرخوا ويتخانقوا ويستمتعوا بما فى حياة الناس من تغيرات فى السلوك والجوع والعطش والنوم والأرق والحب والكراهية . . والابتسام والاكتئاب . . ولكن الآلهة رغم قدرتهم على كل شىء . . عجزوا عن الابتسام . . إنهم إذا ضحكوا زلزلوا الجبال

وأحرقوا الغابات وإذا صرخوا . . وإذا بكوا . . ولكن الذى لم يقدروا عليه هو أن يبتسموا أن يضيئوا الوجه . . ويفتحوا نوافذ النفس ويواربوا القلب ويجعلوا للدنيا معنى آخر ولونا آخر . .

وكانت الملكة ڤكتوريا مكفهرة مكتئبة لمتاعبها النفسية والجسمية . . وأتوا لها برجل يضحكها لعلها تكون مقبولة لدى الناس . . ولكنها ترى وتسمع ولاتضحك . . بينما الناس حولها يكتمون ضحكهم . . لأنهم لايريدون أن يعلو صوتهم على صوت الملكة . . وفى يوم قدم مضحك الملكةاستقالته لأنه عاجز عن إضحاكها . . ولكن الحاشية طلبوا إليه أن يأخذ إجازة ، وفى هذه الإجازة يبذل أقصى ما يستطيع فى انتظار نكت ومواقف ترغم الملكة على الضحك ، وجاء الرجل فى اليوم الموعود ووقف على رأسه ثم على رجليه ثم نام على الأرض وبدأ يخلع ملابسه من تحت والناس يضحكون . . ثم قرر أن يخلع ملابسه كلها والناس يصرخون ويفزعون من الكارثة التى سوف تقع ، إن هو فعل ذلك . . ثم جلس يبكى على خيبته وانحنى لكى يخرج . . ووقفت الملكة لتقول : ولكن شيئا لم يعجبنى!

فهى قادرة على أشياء كثيرة إلا على الابتسام!

ويقال أن أبا هريرة سأل الرسول عليه الصلاة والسلام : يارسول الله إنك تداعبنا ، فقال : إنى وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا!

وقال أبو الدرداء عن الرسول ﷺ : ما رأيت رسول الله ﷺ قال شيئا إلا وهو يبتسم . .

وقال الرسول : إن الله يحب السهل الطلق . .

أى الباسم الطلق الوجه . .

وكان الرسول يداعب الأطفال ويجلس إليهم على الأرض وكان يقول : إن كان لأحد منكم حبى ، فليتصابى له!

ورغم الأعباء الهائلة التى يحملها الرسول فإنه قادر على الابتسام . . أراد أن يكون قدوة ، فمهما كانت الهموم ثقيلة والأعباء جسيمة ، والرسالة خطيرة ، فمن الممكن أن يبتسم أو من الواجب أن يفعل كذلك تهوينا لهمومنا ، وحرصا على ألا يفر الناس منا . .

وإذا كان الضحك يطيل العمر ، فإن الابتسام يضيف إليه سنوات أخرى . . فالضحكة انفجار مائة ابتسامة معا . . أو هى تسارع ألوف الابتسامات ونموها وتعاظمها ثم انفجارها على شكل قهقهة عالية . .

وفى تاريخ الأساطير الإغريقية أن رساما أسمر (زويكسيس) رسم لوحة لشخص يضحك . . فبعد أن فرغ من اللوحة ظل ينظر إلى هذه اللوحة ويضحك . . ويضحك حتى مات من الضحكة . .

ولو جعلها لرجل يبتسم ، لعاش كما عاش دافنشى طويلا وعاشت لوحته بعده . .

أما زويكسيس فلا عاش ولا عاشت لوحته!

فإن وجدت مايجعلك تبتسم فيما سوف تقرأ ، فذلك يرضينى ، وشكرا . .

أنيس منصور

يناير ١٩٩٦

اضحك حتى تموت
اضحك حتى لا تموت !

هل تعرف من هو أول إنسان فى التاريخ بكى حتى كاد يموت لولا أن أدركه الناس ولكن ظل يضحك حتى مات .

هذا الرجل هو الرسام الإغريقى القديم زويكسيس . .

فقد رسم لوحة جميلة لرجل يحمل على رأسه (مشنة) بها برقوق فكانت العصافير تهجم على اللوحة وتنقر البرقوق . . ومعنى ذلك أن البرقوق كان طبيعياً لدرجة أن العصافير ظنته فاكهة حقيقية . . وهذا أعظم تحية للفنان . . ولكن الفنان راح يبكى على خيبته . . لأن الرجل فى اللوحة لم يقنع العصافير بأنه حقيقى حتى تخاف منه . . وكادت روحه تطلع من عينيه ولكن أصحابه أدركوه !

أما المرة الثانية فقد رسم لوحة لعجوز لسانها طويل واللسان خارج من شفتيها وأمامها رجل يهددها إن فتحت فمها . . فجف لسانها وسقط منها . . هذه اللوحة جعلته يضحك ويضحك . وعوقب على قطع لسان المرأة بأن جاء عزرائيل فقصف عمره . .

وهو الفنان الوحيد الذى يتأثر بأعماله الفنية كأنه إنسان غريب عنها . . كأنه لا تعب ولا زهق فى اختيار الألوان واختيار اللوحة ثم اختيار الموضوع ثم نقل أفكاره إليها . .

وهو ولاشك أستاذ الفنان المثال بجماليون الذى نحت تمثالاً لفتاة جميلة وراح يبكى ويتوسل للآلهة أن تجعلها تنطق فهى فى غاية الجمال والحيوية ولا ينقصها إلا أن تدب فيها الحياة .. ونظرت إليه الآلهة وأشفقوا عليه وأحيوا الفتاة الجميلة أوفيليا .. وتزوجها الفنان !

وبجماليون هو نموذج للفنان الذى يعشق أعماله الفنية .. أى يعشق نفسه .. وكل الفنانين بجماليون . يحبون فنهم .. أى يحبون أنفسهم وليس فنانًا من لم يكن أنانيًا .. يقول : أنا .. أنا ..

ثم يقف أمام المرآة وينحنى لنفسه !

وحتى لو حاول الفنان أن يكون متواضعًا لا تصدقه .. فإنه يريد منك مزيدًا من الإطراء .. والطعام والشراب الذى لا يشبع منه الفنان ولا يرتوى هو المديح ..

ومايكل أنجلو هو الذى قال : إنه لا ينحت التمثال من الصخر .. أبدًا .. وإنما التمثال مدفون وهو يكشف عنه الصخر .. أى أن التمثال ليس من إبداعه .. وإنما هو مدفون فى الصخر . وكل الذى فعله هو أنه كشف عنه الصخر !

منتهى التواضع ! والحقيقة أنه أراد أن يقول الصخر موجود من ألوف السنين .. ولكن أحدًا لم يوهب مثل الأصابع القادرة على الخلق والإبداع إلا هو .. منتهى الغرور .

وكان الفيلسوف سقراط يقول : إن كل العلوم والأفكار والمعانى موجودة فى داخل الإنسان .. وأنه هو يذكره بها فقط .. وأنه يذكره بها عن طريق الحوار معه .. وأن هذه هى مهمته ..

أى توليد المعانى من عقول الناس . المعانى هناك . . وهو الذى يسحبها بأصابعه ويقول إنه مثل والدته تمامًا . . فأمه كانت (داية) تولد النساء وهو يولد الرجال !

وكما أن هناك عقولاً تلد فهناك عقولاً لا تلد هناك عقول مثل الأرانب لا تكف عن التوالد . . وهناك عقول كالبغال لا تلد .

والحديث النبوى يقول : الناس معادن !

أى حديد ونحاس وذهب وفضة . . وهناك معادن صدئة . . وهناك معادن لامعة . . والعقول الإنسانية كالمفاتيح . . والتى تلمع منها هى التى نستخدمها كثيرًا . . ولمعان المفاتيح هو الضحك . . فلا شىء يجعل الوجه والعقل يلمع إلا الضحك . . والضحك مثل (المساحات) فى مقدمة السيارة . . تغسل وتلمع . . لترى أوضح !

وليس صحيحًا أن الإنسان حيوان ضاحك . . لأن الحيوانات تضحك . . ولكنه حيوان ساخر . . أى يضحك لمعنى . . لموقف . . للوحة فنية فيظل يضحك حتى يموت !

فاضحك أنت حتى لا تموت !

هؤلاء الشبان يغفانات وقرود !

الشاعر كامل الشناوى كان لا يروى النكت . وإنما كان يصنعها ولم يكن يصنعها من خياله وإنما كان يختار أصدقاءه ويركب منهم النكتة ويضحك ثم يروى ما حدث لكل الناس فى القاهرة ويضيف إلى هذه النكتة التمثيلية كل يوم شيئًا جديدًا .

وقد وصفت كامل الشناوى بأنه الرجل الذى يزغزغ أصدقاءه بسكين ! وبقدر حبه للنكت والسخرية فإنه يضيق أن يكون هو موضع سخرية من أحد . . ولم ينس لى ذلك !

ففى يوم كنا مدعوين إلى العشاء عند الموسيقار محمد عبد الوهاب وكنا نركب سيارتين فتوقفت السيارتان أمام أحد المحلات فى الزمالك ونزل وطال وقوفه فى المحل . . وخرجنا من السيارتين : عبد الحليم حافظ وكمال الطويل وكمال الملاخ وأحمد رجب وفتحى غانم وأنا . .

وفجأة ظهر كامل الشناوى ويبدو أنه تشاجر مع أحد أو أحد ضايقه . . فما كان منه إلا أن أعطى كل واحد منا علبة سجائر وحاولنا أن نفهم سر غضبه . . فلم نستطع . . وأبسط شىء فهمناه هو أنه بعد أن اشترى السجائر لم يجد لها مكانًا فى ملابسه فوزعها علينا . . وقد اعتدنا على تصرفاته الغريبة . . فلم نعلق بشىء . . وانتظرنا إلى أن نصل إلى بيت محمد عبد الوهاب ونسأله . .

وفى بيت عبد الوهاب ظل هو يتكلم ويحكى حكايات ويروى نكتًا ويسخر منا جميعًا . . عن طريق حكايات اخترعها فورًا . . أو حكايات قديمة ، أدخلها فى ملابس جديدة . . وهذه قدرته الفذة على الاقتباس والتجديد الفورى . .

وعلى الطعام اندفع كامل الشناوى يهاجم شباب هذه الأيام . . وأنه لا يعجب بأفكارهم فليس لديهم أى نوع من الابتكار . . وأنهم كالقرود أو الببغاوات يقلدون بعضهم البعض . واندهشنا لذلك . . فليس هذا رأيه . فهو أول إنسان يشجع الشباب وهو صاحب فضل علينا جميعًا . ولولا حضانة كامل الشناوى وتشجيعه المستمر لنا ، لتأخرت مسيرتنا الصحفية . . فهو مثل أب عنده عشرات من الأولاد يحتضنهم حضورًا أو غيابًا . . وهو قد أعد نصيبًا من الحب لكل إنسان . حب جاهز . . تجده فى أى وقت . . تمامًا كما تفعل الأم حين تحتفظ بنصيب لكل واحد من أبنائها فى الثلاجة ليأكله فى أى وقت . وكذلك كامل الشناوى . .

وفجأة عرفنا المقلب . . فإذا به يقول . . هؤلاء الشبان أعلام مصر فى الموسيقى والطرب والأدب . . ليس عندهم شخصية . . وأكبر دليل على ذلك هذه السجائر التى معهم . . فهناك ألف نوع من السجائر . . ولكنهم يقلدون بعضهم البعض . . ويدخنون نوعًا واحدًا ومن حجم واحد !

وهو الذى اشترى السجائر وهو الذى وزع علينا . . لنكون نكتة اليوم وغدًا وفى كل القاهرة !

الزكام يجئ بالتليفون!

أنا أول من يعطس فى قارة أفريقيا . . وليس من الضرورى أن يكون هناك سبب واحد . . ويكفى أن أسمعك تعطس فى التليفون . . أو أن أرى أحدًا يمشى عريان الصدر . . هذا فى فصل الصيف . أما فى فصل الشتاء فأنا المزكوم الأوحد فى مصر . .

وكنت أقول لسكرتيرى دائمًا : أى إنسان له أنف أحمر لا يدخل مكتبى . فليس معقولاً أن يصاب الناس بالزكام ويعالجون وأظل أنا المزكوم الأبدى فى مصر !

وفى يوم دخل واحد يكاد يموت من الزكام والرشح . وقد أسند ظهره للباب فلا أستطيع أن أهرب . وناديت السكرتير الذى قال لى : هذا الخواجة ليس أحمر الأنف ، إن وجهه كله أحمر فكيف أعرف أنه مزكوم !

وإذا أصابنى الزكام دخلت فى سجن فى داخل سجن . . فإنى أرتدى الطاقية الصوف والجورب الصوف . . والفانلة الصوف والبلوفر . . وفى السرير تحتى بطانية صوف وفوقى وفوقها لحاف وفوق اللحاف بطانية أيضًا . ويكون نومى نوعًا من الدفن . . أو البيات الصوفى . وقد رويت فى التليفزيون المصرى كيف أننى كنت فى أحد فنادق أستراليا ولم أجد أغطية كافية . . ولم أجد أحدًا أطلب منه مزيدًا من الغطاء . . فنقلت السرير بعيدًا عن الجدران الباردة . . ولكن ظلت الغرفة باردة . فلم أجد إلا حلاً واحدًا هو أن أنام بين المراتب حتى الصباح !

وفى يوم كان لابد أن أقابل الرئيس السادات . فقيل لى : السيد الرئيس ينتظرك فوق فى غرفته . . لأنه تعبان شوية !

ودخلت فوجدت الرئيس فى سريره يعطس فقلت له : سلامتك يا ريس!

فقال : والله يا أنيس الملعونة مدغدغانى . . يقصد الانفلونزا .

فقلت : بلاش النهاردة يا ريس . . أجى لحضرتك بكرة !

فأجاب : لا . . لا . . اقعد نتكلم شوية . . اقفل الباب يا أنيس !

ويمكن أن تتخيل الموقف : الرئيس مزكوم جداً . يعطس ويرشح وأحمر العينين . والانفلونزا قد تمكنت منه تمامًا . والباب مغلق وسوف تنتقل الانفلونزا إلى أنفى وإلى حلقى . لاشك فى ذلك . . وليس فى استطاعتى أن أقول للرئيس : يا ريس أنا موسوس . . وأنا سوف أصاب بالانفلونزا لاشك فى ذلك . .

ومضت ساعة واثنتان . وأنا لا أعطس ولا ظهر للانفلونزا أى أثر . .

ونزلت من بيت الرئيس واتجهت إلى الأجزاخانة . وأخذت حقنة ردكسون وحقنة فيتامين . وعدت إلى البيت تحت الغطاء - وبالصورة التى تحدثت عنها من لحظات . . وظللت فى انتظار الزكام والعطس والرشح . . ومن العجيب أن الانفلونزا لم تصبنى . . وحاولت أن أفتعل السعال أو العطس . . ولم يحدث شىء .

ويبدو أن أحد أولاد الحلال قد قال للرئيس أننى موسوس .. ففى الصباح الباكر جاء تليفون وكان الرئيس هو الذى يقول : هاها .. عملت إيه يا أنيس ؟

- فى إيه يا ريس ؟

- فى الانفلونزا هاها .. هاها .. والله أنا مخدتش بالى إنك فى حالة رعب .. ماكانش باين عليك امبارح .. على كل حال الانفلونزا كانت منتظرة الأمر منى .. وأنا أعطيتها أمرًا بأن تدخل فى أنفك ولا تخرج .. هاها !

اتس .. اتس - والله عطست فعلاً !

أربعة جنيهات علاوة قاتلة !

كنت أعمل فى (روز اليوسف) فى أوائل الخمسينات إلى جانب عملى فى جريدة الأهرام . وكنت أتقاضى مكافأة شهرية ١٢ جنيهًا . وكنت أنشر أخبار الملك فاروق وكل ما يفعله فى أوروبا . . أو ما يفعله فى مصر وتنشره الصحف الأوروبية . وكنت أوقع هذه الأخبار بإمضاء صديقة إيطالية هكذا : سلفانا ماريللى . .

وكانت هذه الأخبار حديث الناس . فذهبت إلى إحسان عبد القدوس أطلب زيادة فى المكافأة . وكان إحسان لا يستطيع أن يقرر شيئًا . فوالدته السيدة روز اليوسف هى التى تقرر وكنت أتضايق من هذا الموقف السلبى من صديقى إحسان عبد القدوس . ولكن يبدو أن والدته أطلقت يده فى التحرير أما الفلوس فهى التى تحكم وتتحكم .

ولم تكن عندى الشجاعة فى مواجهة روز اليوسف . فهى كثيرًا ما زعقت وشتمت . . وهى تشتمنا كأولادها تمامًا . . وكنا نقبل منها ذلك . ونرى أن فى ذلك نوعًا من المودة والمحبة . . هى أمنا ونحن أولادها .

وفى يوم قررت أن أفاتحها وذهبت إليها . وقلت : عجباك أخبارى وموضوعاتى ؟

قالت : كويسة قوى الناس يتكلمون عنها . .

قلت : لماذا لا ترفعين المكافأة . إنها قليلة جدًا .

قالت : قليلة إزاى ؟

قلت : طبعًا ثلاثة جنيهات فى الأسبوع مبلغ تافه جدًا . .

قالت : أنت تعمل فى الأهرام . وتعمل فى جريدة الأساس . . وأنت مدرس فى الجامعة . . أين تذهب كل هذه الفلوس . . كفاية عليك كده !

- . . . .

قالت : ما بتتكلمش ليه . .

قلت : خلاص . . أنا لن أعمل بعد اليوم . .

قالت : غصب عن عينيك سوف تعمل . . هل تستطيع أن تبعد عن إحسان . . إنه حبيبك .

قلت : فعلاً . . ولكن . .

قالت : خلاص . . من الشهر الجاى سوف تقبض ١٦ جنيهًا!

قلت : شكرًا .

وفى ذلك الوقت كان العقيد عبد المنعم السباعى يكتب باب « جراح قلب » . . وكان مكتبه فى الصالة أمام مكتب إحسان عبد القدوس . . وبسرعة سألنى : عملت إيه يا أنيس !

قلت : ١٦ جنيهًا من الشهر القادم .

- يا نهار أسود ومنيل . . الولية زودتك أنت لوحدك عملت لها إيه ؟ سحرت لها ؟ أربعة جنيهات مرة واحدة . . أنا لازم أرقص

حالاً على المكتب ده . .

ونهض من مقعده . . ووقف فى المكتب يرقص فرحًا ودهشة عندما فتحت روزاليوسف باب مكتبها لترى المنظر الغريب . . فصاحت : بتعمل إيه يا مجنون أنت . .

– أنا مجنون . . طبعًا . . هوه فيه حد فى الدنيا يزيد مرتبه أربعة جنيهات مرة واحدة ؟! وأنا خافضل أرقص لحد ما أموت ! يا نهار مطين . . أربعة جنيهات حتة واحدة . .

قالت : وأنت كمان أربعة جنيهات !

– أنا كمان . . صوتوا علىَّ . . أنا مت خلاص . . الله يرحمنى . . وخرج إحسان عبد القدوس على زعيق والدته ليجد عبد المنعم السباعى فوق المكتب يرقص . . أو يتمايل مغمى عليه من الفرحة . وتساءل إحسان : فيه إيه يا ماما . .

– مجانين يا ابنى . . سيبه يموت . . متشكرة يا عبد المنعم وفرت الأربعة جنيهات . . وأنت يا أنيس مش عاوز تموت أنت كمان . . هاها . . هاها . .

كسبان .. خسران
كخان .. غربان !

قررت أن أبيع سيارتى القديمة . وذهبت إلى السمسار فرأى السيارة وقال : يستحسن أن تشترى لها عجلات جديدة . وأن تبطنها دوكو وأن تعيد تنجيد المقاعد . وبذلك من الممكن أن نجد لها مشتريًا . وجاء المشترى . وجلسنا معًا . .

السمسار يقول : « دى عربية الأستاذ فى حالة جيدة جدًا . أنت عارف أن الأستاذ مسافر طول السنة . فهى مركونة . ولا عنده أولاد ولا حاجة . . ولا يمكن أن تجد عربية أحسن من هذه» !

المشترى يقول : « على خيرة الله أدفع فيها ألف جنيه . . »

أنا أقول : المبلغ قليل جداً . . وأنا دفعت فى الدوكو وفى الكاوتش وضبط الفرامل مبلغًا كبيرًا!

السمسار يقول : « كويس كده يا سعادة البيه العربية قديمة برضه يا سعادة البيه . . العربية موديل ٤٧ . . وهو فيه حد فى الدنيا يشترى عربية كهنة مثل هذه » !

المشترى : « الله ولما العربية كهنة بالشكل ده عاوز تورطنى فيها ليه . . أمرك عجيب يا أخى . . » .

السمسار : « عربية إيه اللى كهنة يا أستاذ . . أنت لما تركبها حتلاقى إنها زى الحرير . . سوست حرير . . وكراسى تقعد عليها

تنطرك لفـوق . . السنة لا تهم . . الذى يهم هو الاسـتـعـمـال البكواتى وأنت أمك داعية لك يا أستاذ . . وهى الألف جنيه دى فلوس يا أستاذ . . أنت رجل محظوظ » !

أنا أقول : طيب يا أخى ما دام ده رأيك في السيارة . . فلماذا لا تطلب منه أكثر من الألف . . السيارة فعلاً متينة . . قوية . . وليس لها صوت . . حتى الموتور مالوش صوت . . الألف جنيه مبلغ قليل جداً .

السمسار : « والله يا سعادة البيه . . أنا لم أخدعك . . برضه العربية قديمة يا بيه . . وهيه عاملة زى الرجل العجوز . . أصغر مطب تنكسر فيه ركبته ورقبته . . عجوز وعضمه ناشف جدًا . . وينقطم بسهولة . . والموتور الساكت ده ما يغركش . . الموتور مفيش قوة . . والعربية ما تسحبش يا بيه . . والبنزين مخنوق . . والفرامل على شعرة . . والألف كويس قوى قوى يا سعادة البيه . . ولولا أنك أنت راجل طيب وسعادة البيه سكره . . أنا ماكنتش تدخلت فى الموضوع ده . . والله وحياة أولادى . . سيادتك عارف . . » .

المشترى : دى زى حكاية التلات ورقات . . أنا مش فاهم العربية دى كويسة ولا مهكعة .

السمسار : آخر حلاوة يا سعادة البيه .

المشترى : آخر حلاوة لك أنت . .

السمسار : الغلط ده ليه يا بيه ؟ إحنا لا خدنا أبيض ولا أسود . . وإحنا على البر . . ومفيش بينا إلا المودة . . ومعرفة

الناس الأكابر شرف . . وأنا تشرفت والله يا بهوات ! سلام عليكم . . إحنا كنا عاوزين نخدم . .

المشترى وأنا : خلاص . . خلاص !

ودفع المشترى المبلغ . وجاءنى السمسار يقول : الحمد لله ربنا خلصك منها . . صحتك بالدنيا يا سعادة البيه . .

وذهب إلى المشترى يقول له على مسمع منى : مبروك عليك يا بيه . . والله العظيم ولا تحرم علىَّ المائة جنيه اللى حاخدها منك . . العربية دى تساوى ألفين . . بس أنت حظك من السما . .

وجاءنى يقول لى وكأننى لم أسمع ما قاله للمشترى : تعرف يا سعادة البيه أنت انكتب لك عمر ثانى . . أنا كشفت على العربية لقيت عمود الكردان مشروخ . . على سبيل الاحتياط يا سعادة البيه لا ترد على التليفون النهارده . . لأن العربية حتتكسر إن شاء الله بعد مائة متر !

- . . . . لا هى كسبانة ولا هى خسرانة . . ولكنها الاثنتان معًا كخرانة . . خربانة .



دفنني حيًا وأكلني نيًا؟

كان لى صديق شاعر يمنى اسمه عبد الله بن يحيى العلوى وهو رجل ظريف . ولكن زودها شوية . . فهو كل يوم يكتب لى خطابًا طويلاً ويطالبنى أن أنشره . . أو بعضه . . وأن أعلق عليه . . وكان ذلك صعبًا جدًا . لأن خطاباته كلها تنتقد لغة الصحف المصرية . . وتلفت إلى الأخطاء النحوية التى تقع فيها جميع مانشتات الصحف . . ومن الطبيعى ألا أنشر ذلك .

ثم اتجه إلى بعض كبار الكتاب من الأصدقاء . واتهمهم بالجهل اللغوى والنحوى والبلاغى . . فإذا لم أنشر ذلك فإنه يكتب الخطابات والقصائد ويهاجمنى . وأغرب من ذلك أنه يطالبنى بنشر الهجوم والرد عليه . . أى وشتيمته هو أيضًا !

ولم أفلح فى إقناعه .

ولم يتوقف عن إرسال الخطابات سنوات طويلة . . فأصبحت عادتى أن أقرأ رسائله وأن أمزقها . . وأضحك أحيانًا . . وأتضايق منه معظم الأحيان .

وفى ذلك الوقت من الستينات كان لى برنامج فى الإذاعة اسمه (شىء من الفكر) . وقد اصطحبت معى الشاعر العلوى وجلس إلى جوارى فى الاستديو . وقلت : توفى اليوم الشاعر اليمنى عبد الله بن يحيى العلوى . . وله قصيدة فى الذباب هذا مطلعها . . وله قصيدة فى الصراصير هذا نصها . . وكان مندوب

اليمن فى الجامعة العربية . . وهو أول من نظم جلسات الجامعة العربية شعرًا . .

وظللت أرثيه حتى انتهى البرنامج . ولما خرجت من الاستديو سألتنى مقدمة البرنامج : ومن هذا الذى كان معك ؟ قلت : إنه الفقيد !!

صرخت : يعنى إيه ؟

- يعنى الشاعر اللى مات !

ونزلت من الإذاعة ومعى الأستاذ العلوى وهو لا يرد ولا يصد . . وودعته ، وفى الصباح أرسل لى هذه الأبيات :

أنا لم أمت من قال أنى ميت
أنا لم أمت بالرغم من أعدائى
أنا عائش أنا بالكنانة ساكن
أنا فى ضفاف النيل منذ صبائى
أنا بالزمالك حيث كنت ولم أزل
أنا ها هنا : هل من يريد لقائى ؟

وبعث بأبيات أخرى تقول :

ما موتوك وأنت حى ترزق
إلا لأنك فكرة تتألق
هى نكتة مصبوغة بمودة
أن السماحة فى سمائك تشرق
فأنعم بطول العمر والهب أمة

بالشعر يذكيها فأنت موفق

ونشر قصائد رثائى . . فقد أعلن هو الآخر أننى مت ! وأنه حزين على ذلك . . ولم يستطع أن ينشر هذه القصيدة فى أى مكان فبعث بها إلىَّ . وتضايق أننى لم أنشرها . . وأخيرًا فوجئت بكتاب طويل عريض من ٥٠٠ صفحة هذا عنوانه :

(أنيس منصور

آه منه وآه عليه . .

نعانى حيا وأكلنى نيّاً)

وفى مقدمة الديوان - الكتاب الذى نشر فيه كل قصائد الهجوم والنقد والتجريح والرثاء - جاءت هذه الأبيات :

ونَدد بى ظلما وأمعن موغلاً

ويسرح فى عرضى ويسطو ويقرع

وهاجمنى جهرًا وعاب فلمته

وكشرت عن نابى فظل يقرقع

فزعت إلى العصا لما أساء بمثلها

فهل أنا فى هذا ألام وأقرع ؟

أنا والذى أحياه لولا رزانتى

وحلمى ، لكان اليوم فى القبر يرتع !

وأهدانى نسخة من هذا الكتاب ومعها هذه العبارة : لقد مت ولكن الله سبحانه وتعالى أحيانى لكى ألعنك حتى الموت مرة أخرى !

بلحة واحدة كل ركعة !

لا أعرف كيف أصف لك رمضان فى مكة . إنه مختلف عن أى طعم فى أى مكان آخر . أول شىء شعرت به هو أننى خفيف الحركة . . وكأننى لست ثمانين كيلو جرامًا . . وفى بعض الأحيان أنظر إلى الأرض لأتأكد إن كانت هناك . . واندهش كيف أن البدلة ثقيلة إلى هذه الدرجة . . فأنا فى الجلباب أخف وزنًا ودمًا . . فأنا أضحك عمال على بطال ولأسباب تافهة جداً وفى الوقت والمكان غير المناسب . . لدرجة أن أحد الأصدقاء سألنى : إن كنت صائمًا حقاً ؟ فأؤكد له ذلك . . فيعود يسألنى : هل كنت صائمًا ثم أفطرت سراً .

أعوذ بالله !!

ولكنه الجو فى مكة . . الهواء خفيف . . والضياء . . والشفافية التى يتصف بها كل شىء . . البيوت والشوارع والناس . . كأنهم مصنوعون من الزجاج أو من البلاستيك . . يعنى إيه ؟ مش عارف . . ولكن هذا شعورى . . هل أنا جائع ؟ أبدًا ؟ هل أنا عطشان رغم حرارة الجو ؟ أبدًا . . وهل عندى أية رغبة فى تناول أى شىء ؟ أبدًا . .

فبعد أن طفت سبعة أشواط . . اتجهت إلى مياه زمزم وتوضأت . وشربت وارتويت . . ثم ذهبت للسعى بين الصفا والمروة . . وهرولت . . ولم أتلفت إلى الناس حولى . . وكأننى

وحدى أطوف ووحدى أسعى . . وبعد أن انتهيت من السعى . . ذهبت إلى مياه زمزم وشربت حتى ارتويت . . وتمنيت لو أستطيع أن أستحم فى هذه المياه . . وأن تدخل المياه إلى أعماقى فتغسل نفسى وعقلى . . فأعود كما لو كنت طفلاً بلا خطايا . . وهناك حديث نبوى شريف يقول : ماء زمزم لما شرب له !

أى أن الماء يفعل بالجسم الإنسانى ما يريده الإنسان . . إن كان يريده أن يشفيه من أوجاع معدته أو أسنانه أو حلقه . . ولكنى أحسست أننى فى حاجة إلى أن تتدفق مياه زمزم فى أعماقى يومًا أو عشرين يومًا . فالذى فى داخلى لا تكفيه أطنان من مياه زمزم ! كيف تشفينى هذه المياه من القلق والأرق واليأس من أى أمل فى إصلاح الناس . . كيف يتحقق السلام النفسى بين الناس . . بينى وبين نفسى . . وبينى وبين الناس . . إن الناس فى حاجة إلى محيطات من زمزم لكى نلقى بهم فيها . . نغرقهم فيها!

وسمعت أذان المغرب وأسرعت إلى أن أقف فى الصف ورأيت أطباق التمر بين الناس . . كل واحد أمامه طبق من التمر . .

وصرخت : يا نهار أسود !

فقد شربت . . ونسيت أننى صائم . . شربت مرة وارتويت وشربت مرة ثانية وارتويت . . وثالثة ونسيت تمامًا أننى فى رمضان !

وسمعنى جارى فقال هادئًا جدّاً : خير يا ولدى ؟

قلت له وأنا أنظر إلى وجهه الصبوح . . وإلى لحيته البيضاء

وإلى ابتسامته الرقيقة . فضحك الرجل وقال : صائم إن شاء الله . . فما دمت قد نسيت . . فاشكر الله الذى خفف عنك العطش . . وأن أعطاك هذه الرخصة . . فأنت صائم يا ولدى . . يا بختك . . والله أنا عطشت اليوم أكثر من أى يوم . . ولم يشأ الله أن ينسينى إننى صائم فأشرب مثلك ! احمد ربنا يا ولدى !

تصدق بالله . . لم أتناول طعام الإفطار ولم أشعر أننى جائع ولا أننى فى حاجة إليه . . فقد امتلأت معدتى بالمياه . . وكأن الماء قد تحول فى داخلى إلى ديك رومى تربع فوق طبق من الأرز بالخلطة وبدأ الديك الرومى يبيض تفاحًا ورمانًا . . ثم تخيلت أن كل ذلك قد انتقل إلى داخلى دون أن تطحنه أسنانى !

تصدق بالله . . فى اليوم الثانى أفطرت على ماء زمزم . . على كثير من هذا الماء . . ولم أجدنى فى حاجة إلى طعام فقط أربع بلحات . . وفى اليوم الثالث شربت وتسحرت على أربع بلحات . . وفى اليوم الرابع شربت ماء زمزم عند الإفطار وشربته عند السحور ولم أذق تمرًا . . وفى اليوم الخامس وجدت أن وزنى قد نقص كيلو جرامين . . وفى اليوم السادس وجدتنى جائعًا جداً فأفطرت على عشرين تمرة وشربت عشرين كوبًا من الماء وفى السحور لم أشرب ماء ولا أكلت تمرًا .

وسألت الرجل الطيب الذى أقابله عند كل صلاة فضحك وقال : لماذا لم تسأل من جرب كل ذلك قبلك ؟

قلت : الماء أو البلح ؟

فأجاب : الاثنان معًا . . القليل من البلح والقليل من الماء . . والقليل من الطعام والقليل من النوم والكثير من الصلاة . . فإن كنت تريد أن تكون أقل وزنًا فهذه هى الطريقة . . وإن كنت تريد أن تريح معدتك ؛ أو تهدئ أعصابك . . هذه هى الطريقة التى تكون فيها صائمًا وكأنك لست كذلك . .

ولما سألته عن سر صفائه ورشاقته وحيويته قال : بلحة واحدة عند كل صلاة !!

لا تتزوجى أحمد رجب
آسف.. بل تزوجيه!

عندما رأست تحرير مجلة (الجيل) سنة ١٩٦٠ كنت أترجم البخت وحظك من السما من المجلات الفرنسية ..

وعندما كنت رئيس تحرير مجلة (هى) مع المرحوم على أمين كنت أترجم البخت من مجلة (ال) الفرنسية .

وفى يوم تركت لمحررة تحت التمرين أن تترجم البخت من الفرنسية .. وطلبت إلى أحد الزملاء أن يراجع أسلوبها ويصححه . وفى إحدى المرات وبمحض الصدفة وقعت عينى على البخت ولاحظت أنه ركيك العبارة . وبدأت أصلح العبارة .. وفجأة صرخت : يا نهار أسود وزى الطين .. يا خبر أسود .. ما هذا ؟

كانت الصحافة قد أممها الرئيس عبد الناصر وكان من رأيه أن الصحافة انحرفت وأنها مشغولة بالجنس والنقد الجارح والكلام الفارغ وأنها تتحدث وتصور مجتمعًا غير المجتمع المصرى .. يعنى المطلوب أن نحتشم وأن نلايمها ..

وتصورت ما الذى يمكن أن يحدث لو أن هذا الذى كتبته المحررة قد ظهر فى المجلة . فقد كتبت تحت باب الحب والزواج تقول : أنصحك أن تعتدلى فى العلاقات الجنسية خارج الحياة الزوجية !!

وفى الصفحة المقابلة موضوع عن طبق اليوم : الديك الرومى بالأرز بالخلطة ويستحسن أن يكون من الفستق وقليل من الصنوبر والزبيب !

الله أكبر . . هذا هو طبق اليوم فى المجتمع الاشتراكى العامل الطافح الدم !

ورويت هذه الكارثة لعلى أمين وصرخ . . أيوه . . هو ده بقى اللى كان ناقصنا . . علاقات خارج الأسرة وديك رومى ؟!

وبسرعة بلغت هذه الحادثة الرئيس عبد الناصر . وبدأ يسأل ومن الذى كتبها ومن الذى قرأها . . وكيف وكيف ولماذا ولماذا ؟ وآه لو كانت ظهرت لأقفل المجلة على الأقل . . ثم أقفلت المجلة - أقفلها السيد خالد محيى الدين وكان وقتها مشرفًا على (أخبار اليوم) !

وكان نائب رئيس التحرير الكاتب الساخر أحمد رجب . وعندما قام بإجازته السنوية قال لى : أنه مساعدة لى سوف يكتب هو البخت ويبعث به من الأسكندرية . . وشكرته . وأحمد رجب خطه جميل ورجل منظم ومنضبط . وكان يبعث بالبخت من الأسكندرية . وفى إحدى المرات قرأت البخت . . لكى أفهم لماذا هو حريص على أن يكتبه . . وأن يوجع دماغه بكتابته رغم الإجازة . . وقرأت قرأت . ولاحظت أنه فى أحد الأبراج يوجه كلامًا شخصيًا . . كأنه يخاطب أحدًا بالذات . . فالكلام كله شخصى . . هذا البرج فقط . . أما بقية الأبراج فالكلام عام . . إلا هذا البرج !

وفى الأسبوع التالى قرأت البخت قبل أن أبعث به إلى المطبعة . وتأكدت ملحوظتى فهذا البرج يخاطب فيه أحدًا . . يخاطب واحدة من الناس ويقول لها نصائح . . وكان أسلوبه نوعًا من أدب الصيادين . . كلامه مثل الشبكة الناعمة التى يلقى بها الصياد لاستدراج السمك . . فإذا وقعت السمكة فى الشبكة سحبها بقوة . . فكل عبارة كأنها سنارة . . وكل كلمة كأنها طعم فى هذه السنارة !

وفى المرة التالية كان الهدف واضحًا والكلام شخصيًا جدًا . فأمسكت القلم وكتبت فى هذا البرج : نصيحة لا تتزوجى رجلاً اسمه أحمد يرتدى قميصًا أحمر ويمشى مفتوح الصدر فى بلاچ سيدى بشر !

وفى يوم صدور مجلة (الجيل) وجدت أحمد رجب أمامى فى حالة غضب شديد . . فقد أوقعته فى مطب مع بنت الحلال ولم يعرف ما الذى يقوله لها . . فهى اتهمته بأنه هو الذى كتب هذا الكلام . . وأنه أراد أن يحرجها أمام صديقاتها وأنه قد غير رأيه فى حبها . . وأن الشائعات التى كانت تقول أنه يحب واحدة أخرى صحيحة وأن . . وأن . .

وفى الأسبوع الرابع أمسكت القلم وكتبت فى نفس البرج : تزوجيه فلن تجدى أحسن منه . . وإذا كان قد غير لون القميص فلن يغير اسمه !

وتخاصمنا شهورًا !

طفل فلاستين
اســــأل جــين فــوندا!

بعد أن قرأت ممثلة السينما العالمية جين فوندا أن زوجها تد ترنر صاحب شبكة الأخبار العالمية قد كتب فى عقد الزواج أنه إذا حدث طلاق فسوف يعطيها ستة ملايين دولار فقط قررت أن تلد له طفلاً كيف وعمرها ٥٤ سنة وعمره هو ٥٣ عامًا . وعندها ولدان من زواجين سابقين ، وعنده خمسة من زواجين سابقين . . ولكنه قرار نهائى !

وفزعت السيدات فى العالم من هذا القرار . فسوف تستفيد جـين فـوندا من هذا الحـادث . سـوف تصـور الحـمل والولادة والرضاعة . . بل إن زوجها سوف يصور الولادة نفسها وينشرها على شبكة سى . إن . إن . . وإذا كانت جميع نساء العالم قد أعجبن بحيويتها وشبابها وألعابها الرياضية التى أذابت الدهن وأضاعت الكرش . . وجعلت للنساء عضلات كالرجال . . عضلات الساقين والذراعين والظهر . .

ثم أنها قد حشت نهديها بمادة السيلكون . . وسارت وراءها ملايين النساء . . وكسبت جين فوندا من وراء الفيديو الذى صورت فيه الألعاب وريجيم الأكل والشرب والنوم ، أكثر من ستين مليون دولار . .

والآن سوف تسافر جين فوندا إلى الطبيب الإيطالى تيورينى الذى نجح فى أن جعل أكثر من سبعين سيدة فى سن الخمسين قد حملن وولدن . . وقانون الجسم الإنسانى يقول إن جهاز الحمل والخصوبة عند المرأة يقفل أبوابه ويشطب تمامًا فى الخمسين وربما فى الخامسة والأربعين . . وإذا كانت بعض النساء قد حملن ، فقد أرهقهن الحمل تمامًا . . فالحمل قد سحب الكلسيوم من الجسم حتى أصبحت عظام السيدة الحامل مثل البسكويت يسهل كسره . . كما أن الحمل قد أرهق الكليتين وأصاب بعضهن بالسكر . . ومن الممكن أن يؤدى إلى الإصابة بالسرطان . . ثم ما معنى أن تلد سيدة فى المعقد السادس طفلاً لا تعرف كيف تتعامل أو تتفاهم معه . . وعندما يبلغ الطفل سن المراهقة تكون الأم قد ماتت . . أو تركته يتيمًا . . ولكن جين فوندا مصممة على الولادة ، كما صممت على الرشاقة . . ومصممة على أنه بفلوسها تستطيع أن تحقق المعجزات . . أما المعجزة فهى أن تذهب إلى إيطاليا . . ويأخذ الطبيب حيوانًا منويّاً من الزوج وبويضة من الزوجة . . ويتم تلقيح الاثنين فى أنبوبة خارج جسم المرأة . . وبعد أن يتم اللقاح بغرس البويضة الملقحة فى جدار الرحم . . ويحرص على أن يغرسها بدقة وعناية . .

فإذا نجحت جين فوندا فى الحمل والولادة ، أصبحت موضة . . عند كل النساء فوق الخمسين . . ومصيبة سوداء أن تضيع أموال النساء لكى يثبتن أنهن مازلن صغيرات شابات قادرات على الحمل . . فيما لو أدى ذلك إلى أطفال مشوهة - من ضمن الاحتمالات الكبرى أن يولد الأطفال مشوهين !

وفى الوقت الذى يحرص العالم على ضبط النسل ونقص عدد أفراد الأسرة فسوف تصبح الموضة أن ترى سيدة عجوزًا وقد سحبت وراءها طفلاً صغيرًا . . أو حملته على صدرها ثم أخرجت ثديها المكشكش مثل التينة وأرضعته منه . . بسلامتها شابة صغيرة ؟!

وسوف يمشى وراءها زوجها سعيدًا بأنه لا يزال قادرًا على أن يأتى بالأطفال . .

وكانت النكتة فيما مضى تقول : كيف ينجب الرجل فى الستين طفلاً؟

ويكون الجواب : إذا كان له جار فى الثلاثين !

أما الآن ففى استطاعته واستطاعة زوجه أن يكون الاثنان فى الستين ويكون لهما كائن يوأوأ . . ليس بالضرورى أن يكون سليمًا . . وإنما هو طفل والسلام . . هذا الطفل شهادة للأبوين بأنهما قادران على أن يشعرا ولو يومًا أو يومين أنهما شابان . . ومن المؤكد أنهما مغفلان وأنهما صدقا جين فوندا التى تملك مائة مليون جنيه ويملك زوجها ثمانية آلاف مليون !

توفيق الحكيم يمثل دور البخيل !

لم يكن توفيق الحكيم بخيلاً .. ولكنه كان يجد متعة فى أن يقوم بهذا الدور . فهو رجل مسرحى وهو رجل فنان .. لم يكن بخيلاً وإنما كان لا يملك إلا القليل !

وكان يتفنن فى رواية حكايات عن نفسه .. وكان يعطينا فرصة لكى نتندر على بخله .

وأذكر أنى طلبت إلى توفيق الحكيم أن يكتب مقالاً أسبوعياً فى مجلة (أكتوبر) فوافق وقال بشرط !

والشرط أن أدفع مقدمًا .. وأن يكون المبلغ مائة جنيه عن المقال . فوافقت فورًا . وكان هذا الاتفاق فى إحدى الحفلات العامة . وكنا نجلس على المنصة . وإلى يمين توفيق الحكيم د . النمر الله يرحمه وأنا إلى يساره وإلى يسارى السيدة سميحة أيوب . وكانت تتابع الحوار بيننا .. ومددت يدى إلى جيبى فلم أجد إلا ثلاثين جنيهًا .. وطلبت إلى سميحة أيوب أن تساهم هى الأخرى .. فوجدت معها خمسين جنيهًا .. وطلبت إلى الدكتور النمر فدفع العشرين الباقية .

وأعطيت توفيق الحكيم المبلغ . فقال : لابد أن أعدها أولاً .. الله ! . دى كلها عشرات .. مفيش مائة جنيه فكة ؟ . واحد واحد

يعنى . أعدها واحدًا واحدًا وأحس بالفلوس بين أصابعى .. فهذا الإحساس وحده هو الذى يجعلنى أفكر ويجعل أصابعى تكتب من تلقاء نفسها !

وبدلاً من أن نبحث عن الفكة ولا نجد أو نعده بأن ندفع له غدًا ، فقد وضع الحكيم الفلوس فى جيبه ووعد بالمقال فى صباح اليوم التالى . وجاء المقال فى الموعد المحدد ..

وفى كل مرة أطلب مقالاً أدفع أولاً ..

ثم ذهبت إليه لكى ننشر كتابًا وسألنى : كم تدفع ؟

فقلت : ما تريده يا أستاذ سوف ندفعه لك .. لكبار المؤلفين نحن ندفع ٥٠٠ جنيه ..

قال : لأ - ٧٠٠ جنيه !

قلت : موافق .

قال : متى تأتى بالمبلغ .

قلت : غدًا .

فقال : بشرط .. أن تكون جنيهات فكة .. لا عشرات ولا خمسات !

وذهبت إليه بالمبلغ جنيهات فكة جديدة . وظهرت سعادة الأطفال على وجهه .. وأخذ المبلغ وراح يعده عشرة عشرة وينثرها أمامه .. ثم يجمعها ويضعها فى درج المكتب . ويقفل الدرج بالمفتاح ويضع المفتاح فى أعماق جيبه .. ثم يعد العشرة التالية وبنفس الطريقة ويقفل الدرج ويضع المفتاح فى جيبه ..

فى سعادة وشهية مفتوحة . وبعد أن فرغ من عدها قال لى :
افرض أننى مش متأكد من المبلغ . . هل عندك صبر لما أعدها مرة أخرى ؟

ثم قال : افرض انها ناقصة جنيه ولا اثنين . . مش خسارة فيك برضه . . هاها . . هاها !

وأخرج الكتاب المتفق عليه من الدرج . وأخذت الكتاب وشكرته فنادانى : معقول كده . . ده أنت مشربتش قهوة . . ولا أنت مش عاوز ؟ أظن أنت بطلت القهوة . . مش أنت برضه اللى كتبت السنة اللى فاتت أنك أقلعت عن القهوة . . والله أحسن . . أنا قرأت مقالاً للكاتب الفرنسى مونترلان عن أضرار القهوة . . وقرأت مقالاً هاجمه فيه الكاتب الفرنسى أندريه بريتون . . المقال بديع قوى . . قوى يعجبك . . معاك مائة جنيه ؟

– لماذا ؟

– ما هو أنا حكيت لك مقالاً عن معركة القهوة بين الكتاب الفرنسيين .

– لا دلوقت مفيش معايا فلوس . . بكره !

– بكره أحسن . . وبكره إن شاء الله تشرب القهوة . . حتيجى الساعة كام .

– الساعة الحادية عشرة .

– طيب . . على كل حال إذا لم تجدنى فاذهب إلى مكتب نجيب محفوظ واشرب القهوة عنده وتعال لى . . وبرضه حاجيب

له قهوة . . دى رابع مرة تيجى ولا تشربش . . أحسن تقول توفيق الحكيم بخيل . . مش كده ولا إيه ؟ . ومن حق ما بيقولوش عليك أنت بخيل ليه . . ، كل اللى يزورك ما بيشربش قهوة ولا شاى . . هو بس أنا البخيل الوحيد فى البلد . . ماعندك عبد الوهاب وعندك أم كلثوم . . معاك مائة جنيه ؟

– ليه يا توفيق بك ؟

– علشان أكتب مقالاً ثانيًا عن بخل أم كلثوم وعبد الوهاب وطه حسين والعقاد . . إيه رأيك . . أنت حتمشى على طول كده . من غير ما تشرب قهوة ولا حاجة .

– ها ها . . ها ها .

من كلبها إلى قلبها : أستاهل ما جرى لى !

المثل الشعبى يقول : علشان الورد ينسقى العليق . . .

أى من أجل الورد الجميل فإننا نروى نبات العليق المتطفل على الورد والأشجار الأخرى !

ويقول مثل آخر : اللى يحبنى يحب حمارى !

والشاعر القديم يقول :

وأحبها وتحبنى

ويحب ناقتها بعيرى

وقال الشاعر القديم :

فيا ساكنى أكتاف دجلة كلكم

إلى القلب من أجل الحبيب : حبيب !

يعنى كل من يسكن مناطق دجلة من أولها لآخرها أحباب له ، ما دام الحبيب يسكن هذه المناطق .

وقال الشاعر القديم الذى كان يحب جارية - خادمة - اسمها جوهر :

إنى لأهوى جوهرًا

ويحب قلبى قلبها

وأحب من حبى لها

من ودَّها وأحبها

وأحبُّ جارية لها

تخفى وتكتم ذنبَها

وأحبُّ جيرانًا لها

يعنى من أجل حبه لجوهر هذه فإنه يحب كل الذين زاروها وأحبوها . . ويحب خادمتها التى تتستر على خطاياها . . وأكثر من ذلك فإنه سيدها الذى اشتراها !

وقال شاعر قديم أيضًا إن حبه لهذه الفتاة أو لهذه الجارية يعادل حبّه للبشرية كلها :

إنى أحبك فاعلمى

إن لم تكونى تعلمينا

حبّاً أقلُّ قليله

كجميعِ حُبِّ العالمينا

ولا أعرف من أين جاءتنى فكرة أن الطريق إلى قلب المرأة يمر بكلبها . . أى أن الإنسان إذا أحب كلبها فإنه يدخل قلبها . . فالواقف على باب المرأة هو كلبها !

ووجدت نفسى فى باريس . . وليس أكثر من الكلاب فى الشوارع وفى أيدى الجميلات إلا العرب الذين يبصبصون ويغمزون ويتلمظون ويقولون بالعربية : يا مهلبية . . يا قشطة . . يا مارون جلاسى . .

ولا أعرف ما وجه الشبه بين أية جميلة وبين المارون جلاسيه . . فالمارون - أبو الفروة - بنى غامق وشديد البرودة . فأين الجمال ؟ لا فى اللون ولا فى الشكل ولا فى الحلاوة . . ولكنه تعبير شائع والسلام . ولا حتى هناك وجه الشبه بين المرأة وبين القشطة . . فليس كل الجميلات بيضاء مثل القشطة . . ولكن أكثرهن فى لون اللبن وقد خلطوه بالنبيذ الأحمر . . أو أحيانًا فى إيطاليا وأسبانيا فى لون الكابوتشينو - أى البن باللبن !

والكلاب أنواع : الصغيرة الزاحفة على الأرض . . نظيفة لامعة الشعر . . وتكون صاحبة الكلب ممشوقة القوام . . سريعة الخطوة ولكنها تتوقف دون أن تنظر إلى أحد إذا فكر بسلامته أن يتبول أو أى شىء آخر . . فإنها تتوقف دون أن تنظر إليه فهى تعرف بالضبط ماذا يفعل . . وتظل واقفة تدور حول نفسها لكى يراها الناس من جميع جوانبها . . وواحد منهم يقول للكلب : شفيتم !

ثم تمضى وكلبها الصغير وراءها . . وإلى جوارها . .

ووجدت كلبًا جميلاً متوسط الارتفاع . . وقف أمامى ونظر لى . . وتكاد عيناه تقولان . . تنطقان . . وقلت فى نفسى : إنها غريزة الكلاب فهو يعرف أنى أحب الكلاب وأن عندى كلبًا من نفس النوع . . ولكنه أقل جمالاً . .

وجلست أمامه . . ومددت يدى نحوه بحذر شديد . . فطاوعنى . . وقبل أن أحمله على صدرى تلفت أبحث عن صحابته . . وإلا كان هذا الذى فعلته سرقة بالإكراه . . أو

خطفًا . . ونظرت إلى جوار الكلب فوجدت ساقين من الرخام الأبيض الذى له شعيرات دموية تعطيه لون التفاح . . إذن هذه هى صاحبة الكلب . . وظللت أعلو وأعلو وعيناى إلى خصرها . . إلى صدرها . . إلى رقبتها وصرخت : أعوذ بالله !

فالوجه قرد والله العظيم هذه إهانة للقرد . . ولست على يقين إن كان رجلاً أو سيدة!

ويبدو أننى عندما صرخت ضغطت لا شعوريًا على رقبة الكلب فخاف .

ولم يكن تعبير الخوف عند الكلب أن يصرخ أو يبكى وإنما أغرق ملابسى . . ولم أقذف بالكلب إلى الأرض . . فما ذنبه . . .

ونظرت لى السيدة أو السيد بما معناه : تستاهل !

فعلاً وأستاهل أكثر من كده !

إيطالية من سويسرا :

أحسن سيارة !

قررت أن أشترى سيارة .

قال الخبراء : أحسن سيارة تشتريها من سويسرا هى الإيطالية !

وسألت عن سيارة إيطالية . ولم أسأل ما هى الحكمة فى أن أشترى السيارة الإيطالية من سويسرا . وجاء بواب السفارة المصرية وقال لى : يا سعادة البيه أنا وجدت طلبك ! لقطة يا بيه !

أما اللقطة فهى سيارة السفير الإيطالى . ولأنه سفير فلابد أن تكون السيارة مرفهة . ولأنه إيطالى وهى إيطالية فلابد أنه يحسن استخدامها ، فإذا نقصها شىء فبسرعة يأتى به . ووافقت .

وجاء البواب يقول لى : حظك من السما يا سعادة البيه . . إنها ليست سيارة السفير . إنها سيارة سائق السفير .

أى أن السائق يركن سيارته ويركب سيارة السفير . عظيم جدًا

واشتريتها . وجاء صاحب السيارة وقاد لى هذه السيارة حتى ميناء البندقية . ونقلها إلى الباخرة ومنها إلى الأسكندرية !

شكرًا لله لقد وصلت السيارة سليمة ٢٤ قيراطًا . ولم يستغرق وجودى فى جمرك الأسكندرية سوى نصف ساعة . . وقد تمت الموافقة على دخول السيارة وتأجيل الجمرك بالتليفون . التأشيرات بالتليفون والتأجيل بالتليفون . . وبعد دقائق وقبل أن

أشرب القهوة كانت السيارة خارج الميناء . . ولم يكن لها رقم جمرك الأسكندرية . وإنما ملاكى الأسكندرية . شىء كأننى فى ميناء نيويورك - سرعة وذوق وأدب . . ما حصلش !

ورأيت من الواجب أن أذهب إلى مكتبى فى الأسكندرية وأكتب مقالاً أدافع فيه عن رجال الجمارك وعن الكفاءة والسرعة المذهلة . فهذا أقل ما يجب !

ولكن أحد الزملاء قال لى : حيلك . . حيلك !

لقد فسر الزميل ماذا حدث فى الجمرك . . إنهم أرادوا أن يخلصوا منى فلا أبقى فى الجمرك دقيقة واحدة . أرى وأسمع . . أما إذا أردت أن أعرف ماذا يحدث لبقية خلق الله ، فسوف أرى العجب العجاب !

ومزقت المقال ولم أكتب . .

وفى الطريق بين الأسكندرية والقاهرة احترقت سيارتى . . وبالكشف عنها وجدت أنها مستهلكة تمامًا . . وأن السائق صاحبها قد وضع لها مالا نهاية له من قطع الغيار!

وفى التليفون مع سفارتنا فى سويسرا عرفت الغلطة (المنطقية) التى وقعت فيها . . فأنا أستنتج من أن هذه السيارة التى يملكها السائق مركونة طول الوقت لأن السائق يجلس طول الوقت فى سيارة السفير !

والحقيقة غير ذلك تمامًا : فلم تكن للسفير سيارة ، فكان هو والسائق يركبان سيارة واحدة !!

تمثال العدالة بعين واحدة !

لاحظت أن تمثال العدالة المرسوم على جدار مجمع المحاكم المواجه لجريدة الأهرام : ليس إلا سيدة لا تضع منديلاً على عينيها . .

والعادة أن تضع هذا المنديل حتى لا ترى أحدًا . . فلا تفرق بين المحامى والمتهم ووكيل النيابة والجمهور وما تنشره الصحف . هذا هو المفروض . ولكن هذا النقش على الحائط جعل العدالة ترى وتبحلق . .

وقلت : إن العدالة لم تعد محايدة إنها تجامل وتحاسب . . وتأخذ جانبًا . فهى لم تعد عدالة !

وقلت إن هذه نبوءة من الرسام الذى نقش هذا الرسم فقد كان بعيد النظر : فلم تعد العدالة عمياء . . ولم تعد محايدة . . إنها مأساة العالم كله . .

أو لعل الرسام قال لنا : إن العدالة مفتوحة العينين . . ولكنها عمياء فلا داعى للمنديل . . أو لعله أراد أن يقول إن العدالة قد نزعت المنديل وربطته حول وسطها لكى ترقص على إيقاع القانون .

– أى قانون ؟

أو لعله أراد أن يقول إن المنديل الذى تضعه العدالة سوف يكون من النايلون ومن لون فستانها فكأنها لا تضعه ، لأنه شفاف . . فهى ترى والسلام !

ولاحظت أن على جدران الوزارات فى مصر تماثيل للعدالة . . ولكن العدالة رجل . . أى أن العدل رجل والعدالة امرأة . . والعدل شيخ له لحية والعدالة مثل تمثال الحرية الفرنسية فتاة حلوة .

شىء عجيب فى مصر : الفتاة حلوة لا تضع المنديل . .

والشيخ العجوز لا يضع المنديل . فهو لا يضع المنديل لأنه رجل عاقل حكيم حصيف . ومن المؤكد أنه سوف يكون عادلاً . . فلم تعد له حاجة ولا رغبة فى هذه الدنيا . . والمرأة هى الأخرى رغم صغر سنها وحساسيتها المرهفة ، مفروض أن تكون عادلة !

إذن ما هو مفهوم العدل عندنا ؟ ومن الذى نثق فيه من القضاه . . الشيخ الحكيم الوقور أم البنت الحليوة ؟!

إن مفهوم العدالة عندنا عجيب غريب وفى حاجة إلى توضيح . فهل يا ترى مفهومنا للعدالة : أنه لا توجد عدالة وأن القاضى الذى نرشحه مجرد منظر . . وكل رسام حر فى أن يختار الرمز الذى يعجبه وعلى ذلك فلا عدل . .

فلماذا لا نتمشى مع العصر الحديث ونجعل القاضى إنساناً آلياً ، تدخل فيه المعلومات ونطلب إليه أن يحكم . . وكما أن فى أمريكا الكرسى الكهربى لإعدام المجرمين ، فلماذا لا يكون عندنا الميزان الكهربى للفصل بين الناس ؟

إن هذا أيضًا ضد العدل : لأن العدل ليس تطبيق (مادة) القانون ولكن (روح) القانون . . فالرحمة فوق العدل . . فكثيرًا ما حكم القاضى بنص القانون على المتهم . . ولكن نظرًا لظروف المتهم فإنه يخفف الحكم . . أو يدفع عنه الغرامة . فالمهم هو تنفيذ القانون . . أما الرحمة والشفقة فهذا شىء آخر !

أو هل نحن نرى أن العدل لا وجود له . . كما أن الجمال والخير والرحمة لا وجود لها . وإنما يوجد الشىء الجميل والإنسان الطيب والإنسان الرحيم . .

فالعدالة والعدل لا وجود لهما . . وإنما الموجود . . هو القاضى العادل . . والقاضى لابد أن يرى أحيانًا وأن يغمض عينيه أحيانًا . . فلماذا لا يكون تمثال العدالة : رجلاً أغمض عينًا وفتح عينًا . . امرأة وضعت المنديل على عين واحدة . .

وهكذا يكون القاضى محايدًا يرى (فينظر) بعين و (يبصر) بعين . . وهناك فارق كبير جدًا بين النظر والبصر . . أو بين النظرة والبصيرة . . فالنظرة مادية ولكن البصيرة معنوية !

هم يحاكمون كولمبوس
ونحن نحاكم داجاما

الهنود الحمر يطالبون بفتح ملف كريستوفر كولمبوس الذى اكتشف أمريكا ونقل إليها الاستعمار وكل أمراض الحضارة . وإذا كان العالم يحتفل اليوم بمرور خمسة قرون على اكتشافه لأمريكا ويريد أن يكون الاحتفال العظيم تكريمًا وامتنانًا له ، فإن السكان الأصليين لأمريكا يلعنون ذلك اليوم من أبريل سنة ١٤٩٢ ، فقد كان عدد سكان أهل أمريكا القديمة مائة مليون ، وجاء كولمبوس بكل شرور وأمراض أوروبا إلى هذه البلاد . . ثم أن أوروبا قد استولت عليها . ولذلك يطالبون بمحاكمته علنًا ثم تنفيذ حكم الإعدام شنقًا فى هذا الرجل الذى قتل واغتصب وسجن وأعدم الألوف من سكان أمريكا الأصليين !

وفى سنة ١٩٩٨ سوف يحتفل البرتغال بمرور خمسة قرون أيضًا على اكتشاف الهند واليابان . أما المكتشف فهو الرحالة البرتغالى فاسكوداجاما . . وهو رجل أشد قسوة ووحشية من كولمبوس . فهذا الرجل جاء إلى السواحل الشرقية لإفريقيا ثم انتقل إلى حضرموت وإلى سواحل عمان . وقد سمع أن البحارة العرب قد عرفوا الهند . وهم وحدهم القادرون على الملاحة من بلادهم إلى الهند . . فاستعان بعشرة منهم . . ولسبب غير معروف حاكمهم وأعدمهم وألقى بهم فى البحر !

وأخيرًا اهتدى إلى بحار عظيم هو أحمد بن ماجد وهو من عُمان . . وأحمد بن ماجد هذا هو الذى قاد سفن داجاما إلى ساحل الملبار الهندى . وهناك أقام داجاما ورفع علم بلاده معلنًا ضم الهند إلى البرتغال . . ومن بعده جاء سفاح آخر اسمه البكيرك وكانت متعته قتل التجار . . تجار التوابل والعطور - وأكثرهم من العرب . .

وكانت التعليمات الملكية لدى داجاما أن يستولى على التجارة وعلى مصادر التوابل وأن يقضى على التجار العرب . ونفذ داجاما هذه التعليمات حرفياً . . فقتل التجار العرب بالعشرات .

أما جريمته الكبرى فهى أنه علم أن سفينة عربية قد جاءت من حضرموت إلى الهند . . وأن بها مائة من الرجال والنساء والأطفال قرروا الإقامة فى بلاد الهند ، وأن يتخذوها لهم مركزًا ثابتًا . . واستدعى داجاما قبطان السفينة العربية الذى علم أنه يعرف أماكن بلاد أخرى غير الهند . . الصين واليابان . . ولم يكن أحد من الأوروبيين قد عرف هذه الأماكن . ورفض الرجل أن يطلع داجاما على الخرائط التى لديه . . فما كان من الرحالة البرتغالى إلا أن أبعد السفينة إلى عرض البحر . . وأمر الرجال والنساء أن يهبطوا إلى قاع السفينة . . ثم أشعل فيهم النار جميعًا . . ولما تحولت السفينة إلى ألواح خشبية محترقة كان يربط فى هذه الألواح مزيدًا من العرب حتى لا تظهر لهذه الجريمة أية آثار على سطح الماء !!

ويقول التاريخ أن الرجل شرب فى تلك الليلة وتمرغ فى أحضان فتيات الهند سعيدًا حتى الصباح !

وأنا أطلب إلى أبناء حضرموت وعمان أن يستأنفوا الحكم فى جريمة هذا الرجل وأن تقام له محاكمة علنية .. لابد أن تنتهى بإعدامه حرقًا وغرقًا - كما فعل بمئات العرب رجالاً ونساء وأطفالاً .

ولن يعترض أهل البرتغال على ذلك فهم يرونه سفاحًا أيضًا ، وأنه لم يكن فى حاجة إلى كل هذه الجرائم .. ولكن السبب الحقيقى هو أنه كان عاجزًا عن إعدام كل بحارته الذين تمردوا عليه .. فهم برتغاليون مثله ..

ومن العدل أن نحتفل أيضًا بمرور خمسة قرون على اكتشاف أحمد بن ماجد لبلاد الهند .. فهو الذى توجه بالأسطول البرتغالى إلى هذه البلاد ..

فلنحتفل بذكرى ابن ماجد البحار العظيم ، وبإعدام داجاما السفاح الأعظم !

إنه مجنون
من الطراز الأول !

أنا أحب الرسام الأسباني سلفادور دالى . . لا لأننى أحب مدرسته فى الرسم والنحت والإخراج السينمائى . . ولا ملابسه ولا شاربه الطويل الرفيع . . ولكن أحب جنونه . فهو رجل تلقائى . يفعل كل ما يخطر على باله . . وهو رجل لا يمكن أن تتوقع خطوته التالية فى أى عمل يقوم به سواء كان فى الرسم أو فى السينما أو الديكورات المسرحية أو رقصات الباليه . . ولا الإخراج السينمائى وتحريك الكاميرا فى أى اتجاه وإلى أى اتجاه وإلى أى مكان من الإنسان إن كان عاريًا أو بملابسه .

وقد تأثر دالى بالفنانين الكبار من مثل دى كيركو وماكس أرنست . . وأطلق اللاشعور يطفو على الفرشاة وعلى الجدران دون فرامل على أى شىء منها !

وقد كتب كلمة بخطه على المدخل الخارجى لمعرضه الذى أقيم فى باريس سنة ١٩٨٠ . هذا نصها :

لا يمكن أن أكون فى مثل غباوتك . . فأنت تصورت أنك سوف ترى شيئًا جميلاً لم يحدث من قبل . . ورغم أنك تعرف ذلك فإنك سوف تدخل وتتفرج بعض الوقت . . وأعجب من ذلك أنك لن تخلع نعليك وتبحث عن صاحب المعرض وتقدم له نعليك دليلاً على احترامك له . . وقد احتاطت إدارة المعرض

لذلك فوضعت صناديق الزبالة فى كل مكان لا لنعليك ولكن لك أنت ! ألست معى فى أنك أغبى كثيرًا مما جاء فى لوحاتى ؟!

والإمضاء : مجنون من الطراز الأول !

الفارق الوحيد بينى وبين المجنون أننى لست مجنونًا !

ويقول عن نفسه أيضًا : أنا عبقرى الفضائح . . أنا أكبر عبقرى فى هذا الزمان وأسوأ رسام عرفه التاريخ !

وعندما ذهب إلى لندن ليلقى إحدى المحاضرات أحاط به الصحفيون يعاكسونه ويسألونه : أين تقيم هنا فى لندن ؟

- لن أتضايق إذا نزلت بالقصر الملكى !

- ولكنه قصر تاريخى وليس فندقًا !

- إنه يفى بالغرض !

- ولكن الملكة وزوجها يقيمان فيه :

- لا مانع عندى أثناء إقامتى فى هذه القصر أن أسمح لهما باستخدام أية غرفة من غرف الخدم !

ولما حان موعد المحاضرة اختفى بعض الوقت ليعود بملابس الغواصين تحت الماء . . وأمسك بيده حبلاً طويلاً . . وما كاد يقف بضع دقائق حتى أغمى عليه وسقط على الأرض . . فقد نسى أن يضيف إلى ملابس الغوص أنبوبة أوكسجين .

ولم يكن أحد يعرف أنه سوف يرتدى هذه الملابس . . ولذلك وجدوا صعوبة فى فك ملابس الغوص حتى لا يموت فى

داخلها . . وأخيرًا أتوا بفأس وراحوا يدقون الخوذة الزجاجية فوق دماغه . . ولما خرج من الخوذة واستعاد وعيه التفت إلى الجمهور يقول : ولكنكم لم تسمعوا ما الذى كنت أقوله داخلها . على أى حال ليس عندى ما أقوله لأننى لا أعرف اللغة الإنجليزية !

ثم طالب بمكافأته عن هذه المحاضرة ولما قيل له : ولكنك لم تقل شيئًا !

أجاب : ولكن كدت أموت . . ألا تساوى حياتى ألف جنيه استرلينى؟!

ومن عباراته الشهيرة :

الحب كالحرب : نبدأ متى نشاء ونتوقف عندما نستطيع !

لا شىء يضايقنى فى أمريكا إلا افتقارها إلى الذباب . . فالذباب هو الحضارة لقد كان يقف بالساعات على أنف سقراط وأفلاطون !

فى السابعة من عمرى أحببت أن أكون طباخًا . . وفى الثامنة أحببت أن أكون نابليون . . ومنذ ذلك الوقت لا يقف طموحى عند حد !

إذا شكت زوجتى من ألم فى ساقها اليسرى شكوت من نفس الألم فى نفس الساق . . ولكنها لا تشكو من الصداع المستمر لمجرد وجودها معى !

أجمل ما فى فم المرأة أن يظل مطبقا !

أسهل جدًا أن تطلب من خادمتك أن تكون زوجتك ، على أن تطلب من زوجتك أن تكون خادمتك !

* * *

القانون يمنع الغنى والفقير من النوم فى الشارع والتسول وسرقة الخبز !

* * *

لا شىء يمنعك من الشعور بالتعاسة إلا المضايقات الصغيرة . . والدليل على ذلك أن الكلاب لو توقفت عن الهرش بسبب البراغيث ، لأمضت وقتها تبكى حظها لأنها ولدت كلاباً!

* * *

نحن نحتقر الأشياء الصغيرة ، حتى لا نتفرغ لاحتقار أنفسنا !

* * *

ليس هناك أصدقاء . . وإنما هم أناس نزداد احتقارًا لهم !

* * *

عندما كنت طفلاً كنت أشكو من أننى لا أملك حذاءين ، حتى رأيت أناسًا لا يملكون قدمين !

* * *

رجل الأعمال مدين بنجاحه إلى زوجته الأولى ، ومدين بزوجته الثانية إلى نجاحه!

* * *

المرأة الذكية هى التى تساعد الرجل على اختبار صحراء الحياة !

* * *

عندما تترك امرأتان معًا ، تحدث كارثة فى معظم الأحيان !

* * *

عندما يتخانق رجلان ، فلابد أن يكون السبب امرأة !

* * *

رغم الرقة الظاهرة عند المرأة ، فإذا تشاجرت فهى وحش مفترس !

* * *

المتشائم هو الذى إذا ركب التاكسى أحس أنه عربة لنقل الموتى !

* * *

ليس عارًا أن يكون الإنسان فقيرًا ، ولكنه شىء مؤلم !

* * *

لو كانت الصراحة هى القانون بين الرجال والنساء ، لامتلأت الدنيا بالعوانس !

* * *

يومان سعيدان فى الحياة : يوم دخول القفص الزوجى ، ويوم الخروج منه !

كانت المرأة فيما مضى تكبر فى السن وتصبح جميلة ، أما اليوم فهى لا تكبر فى السن ولا تصبح جميلة !

* * *

ألم تلاحظ أن المرأة فى الخامسة والثلاثين أكبر من الرجل فى نفس السن . . أما السبب فهو أن سنها فى بطاقتها الشخصية أكثر من أربعين !

* * *

التحليل النفسى هو هذيان اثنين فى وقت واحد . . والأكثر جنونًا ليس هو المريض دائمًا !

* * *

لا تضرب المرأة بوردة - فذلك يحطم الوردة !

* * *

لا تشتم امرأة سقطت . . انتظرها حتى تنهض !

* * *

المرأة كائن مجنون بالملابس . . ثم يتعرى ولا يكف عن الكلام !

* * *

قيود الزواج ثقيلة لدرجة أنه لابد أن يحملها اثنان . . وأحيانًا ثلاثة !

* * *

هناك نوعان من النساء : التى تخون زوجها ، والتى تقول إن هذا غير صحيح !

* * *

المرأة هى التى تلهمنا أن نفعل كل شىء عظيم ثم تمنعنا من تحقيقه !

* * *

نوعان من النساء : نوع نحن نفسده ، ونوع يفسدنا !

* * *

هناك نوع من النساء تحب زوجها لدرجة أنها تخشى عليه من الاستهلاك ، فتحب زوج صديقتها !

* * *

من الممكن أن تكون لنا الكلمة الأخيرة مع النساء .. بشرط أن تكون هذه الكلمة : نعم !

* * *

الحياة المنظمة هى التى نخصص فيها شبابنا للحب ، ورجولتنا للكتابة ، وشيخوختنا للاعتراف بالحقيقة !

* * *

أسوأ ما فى إنجاب الأولاد أنه يضطرنا إلى معاشرة النساء !

* * *

فى العاصمة : يكون الدوران حول الثمرة المحرمة ، ألذ من متعة أكلها!

* * *

أجمل ما فى فم المرأة أن يظل مطبقًا !

* * *

عندما يكون الأب اسمه
طه حسين

أنت لا تعرف ما الذى يفعله ابن طه حسين ؟ إنه موظف فى الأمم المتحدة ، واحد من مليون .. بينما أبوه كان واحدًا من أعظم عشرة فى الفكر العربى ..

وأنت لا تعرف ما الذى يفعله أولاد العقاد .. العقاد ليس له أولاد ، فهو لم يتزوج ولو كان له أولاد لاشتغلوا بالتجارة أو بالإدارة .

ونجيب محفوظ له ابنتان ، وليس لديهما أى اهتمام بأدب نجيب محفوظ ، ولا أدب أى أحد آخر .

وابن أمير الشعراء أحمد شوقى كان دبلوماسيًا وابنه الآخر كان رجلاً رقيقًا له بضع قصائد . وكثيرًا ما نسبت هذه القصائد إلى والده !

وكثير من العباقرة فى كل الفنون والعلوم ليس لهم أولاد .. وإذا كان فلا قيمة لهم ولا وزن .. فالعبقرية ليست صفة يرثها الأبناء ..

بيتهوفن ودافنشى ونيوتن ودستويفسكى وأبو العلاء ليس لهم أولاد !

ولو كان لهم أولاد فإنهم يحبون أن يعتمدوا على أنفسهم وأن يهربوا من قوة جاذبية آبائهم .. وأن يكون لهم مجال خاص وفلك

يدورون فيه بعيدًا عن الأب . . بل ومخالفًا للأب . . وبعضهم يغير اسمه حتى لا يذكر الناس والده فى كل مرة يذكرون اسمه . . وأحيانًا يتخذ موقفًا معاديًا من الأب!

والفنان العبقرى بيكاسو لا أحد يعرف له أبناء شرعيين . . بل أولاده احتاجوا إلى شهادة الناس لكى يؤكدوا العلاقة بين أمهاتهم والفنان بيكاسو . .

وكان بيكاسو عبقريًا غنيًا جدًا . . فلم يحدث أن استطاع فنان أن يرسم كل هذا العدد الهائل من اللوحات والرسومات على الأطباق والشوك والسكاكين لا على الأرض وعلى الجدران . . فثروته تبلغ مئات الملايين .

واحدة من أولاده اسمها (بالوما) عندما مات أبوها كانت صغيرة . فلما بلغت سن الرشد ورثت ثلاثين مليون جنيه استرلينى . وكان فى استطاعتها أن تعيش حياتها دون مجهود أو دون مشقة . . فأبوها هو الذى بذل المجهود والذى عرف المشقة . فوفر عليها كل ألوان العناء . . ولكنها - هى الأخرى - قررت أن تكون شيئًا آخر مع الاحتفاظ باسم والدها . . فاختارت إحدى شركات المايوهات الألمانية أن تطبع اسمها على المايوه البكينى وأن تضعه على الاكسسوارات وخاصة الأقراط التى على شكل شفتين . . اسمه (القبلة) . . ووضعوا اسمها على عطر اسمه (بالوما بيكاسو) والذين شموا هذا العطر لم يجدوا فيه رائحة بالوما ولا أبيها . . ويقال أنها كسبت من هذا العطر ومن أقراط القبلة مليون دولار فى العام الماضى !!

أما ألوان بالوما المفضلة فهى اللون الذهبى للمايوه . . واللون الأبيض بالأسود للكاش مايو – أى الذى ترتديه المرأة فوق المايوه بعد الحمام أو قبله أو وهى تتمشى على الشاطئ .

بالوما بيكاسو تقول أنها إذا كسبت مثل الذى ورثته سوف تعتزل (العمل) وسوف تعيش سعيدة مع رجل تحبه ، وليس من الضرورى أن تتزوجه -فأبوها لم يتزوج أمها ، ولم يجد ذلك ضروريًا . . ويقال أنها وجدت ابن الحلال الذى خسر أول مليون من فلوسها فى القمار . . وبقية الملايين سوف تذهب كما جاءت بمنتهى السهولة !

ثم دفعت مليونًا أخرى لكى يطلق زوجته ويتفرغ لها . . ومليونًا ثالثًا لكى يفض الشركة التى بينه وبين أحد الكباريهات . .

كل ذلك على قلبها زى العسل ، فهى وهو فى منتهى الحب : هى تحبه وهو يحب فلوسها !

رأسه فى النمسا وساقاه فى مصر!

حكاية كأنها خيال .. أو كأنها إحدى الأساطير الفرعونية ..

فى سنة ١٨٧١ رأى أمين المتحف المصرى فى فيينا عاصمة النمسا تمثالاً نصفيّاً .. التمثال عليه ابتسامة حلوة ولكن الزمن حطم الشفة العليا . ورأى هذا العالم الأثرى أن هذه التحفة الفنية ترجع إلى المملكة الوسطى . هذا العالم الشهير اسمه أرنست فون برجمان .

وبعد ذلك بمائة عام اختلف معه فى هذا الرأى عدد من العلماء . فى مقدمتهم العالم البريطانى الدرد . وقال إن هذا التمثال لا يرجع إلى هذه الفترة من التاريخ الفرعونى وإنما إلى مرحلة متأخرة . والدليل على ذلك ملامح الوجه ونعومة الخطوط .

واعتقد عالم المصريات الكبير برنارد يوتمر أنه تمثال نصفى لفرعون مصر أمنمحتب الثالث .

ولكن بعض العلماء أكدوا أنه يستحيل أن يكون لهذا الملك بالذات .. فهذا الملك مشهور بالشدة والقسوة ، فليست له مثل هذه الملامح الرقيقة البديعة ..

وفى سنة ١٩٨٧ نشر د . لبيب حبشى العالم المصرى الشهير كتابًا عن معابد الإلفَنْتِين .. وقد ظهر الكتاب بعد وفاته .

وكتاب د . لبيب حبشى هو الذى كان نقطة تحول كبرى فى معرفة من يكون صاحب التمثال النصفى . . فقد عثر د . حبشى على ست قطع لقاعدة تمثال . . أما رأس التمثال فلا أحد كان يعرف أين هو . . وهذه القاعدة المحطمة قد اكتشفت سنة ١٩٣٢ أثناء تنظيف أحد المعابد فى جزيرة فيلة .

أما رأس التمثال فقد اشتراه سائح بعث به امبراطور النمسا إلى الاسكندرية .

وبمقارنة الرأس والقاعدة والخطوط فوجئ العالم بأن هذا الرأس لهذه القاعدة . وأن الاثنين كانا معًا فى جزيرة فيلة .

وقد كنت فى فيينا منذ شهور . وقال علماء المصريات أنهم بعثوا برسالة إلى الرئيس حسنى مبارك يطلبون إليه أن يسمح بعرض القاعدة فى فيينا . . الرأس إلى جوار القاعدة . . وأن يوافق على أن يحصل النمساويون على نموذج للقاعدة ، وأن تحصل مصر على نموذج لرأس التمثال . . وأن يعرض التمثال فى البلدين كاملاً . . مع تاريخ لاكتشاف النصفين متى وكيف وأين ومن الذى لاحظ التشابه الشديد فى خطوط التمثال فى الرأس والقاعدة !

وقد نشرت إحدى المشتغلات بالمصريات أنها هى أول من لاحظ الشبه بين خطوط التمثال ورأسه وأدركت أنهما شىء واحد . . وجلست طويلاً أمام القاعدة فى مصر وصورتها . . ثم جلست أمام رأس التمثال فى فيينا وصورته . . وقارنت ووضعت مالديها من معلومات فى العقل الإلكترونى فأخرج لها صورة التمثال كاملاً والمرحلة التى صنع فيها .

أما الذى لم يستطع العقل الإلكترونى أن ينقله أو يترجمه فهو ابتسامة هذا الملك . . فتلك معالم نفسية عميقة سجلها الفنان وعجز عن إعادتها أو استعادتها العقل الإلكترونى !

ويبدو أن سارق التمثال كان قد طلب أجرًا عاليًا فلما رفض السائح ما كان من اللص إلا أن حطم التمثال نصفين وأعطاه النصف العلوى .

وعاد بالنصف السفلى الذى تحطم إلى ست قطع . . ولحسن الحظ فإنه لم يشأ أن يلقى به فى ترعة المحمودية أو البحر . . وإنما ذهب وأخفاه فى إحدى المقابر لعله يعود إلى بيعه مرة أخرى . . فلم يفعل . لقد نسى . . لكى يعثر عليه العالم المصرى لبيب حبشى .

ولكن . . محكوم على التمثال أن يكون رأسه فى النمسا وساقاه فى مصر !

قلة الأدب أصل الأدب !

الشاعر الرسام جان كوكتو (١٨٨٩ - ١٩٦٣) قد عرفته فى سن مبكرة جداً . . فقد عثرت على نسخة لقصائده على سور الأزبكية . . ثم وجدت صورة له فى أحد دواوين الشعراء الفرنسيين .

واندهشت كيف أنه هو الذى يرسم قصائده أيضًا . فقد كنت أتصور أن الذى ينظم الشعر لا يرسم . . والعكس . . وعرفت أن معظم الشعراء رسامون ، ومعظم الرسامين شعراء أو موسيقيون . . فالرسام العظيم بيكاسو كانت له مسرحية . . إنها المسرحية الوحيدة التى كتبها وقد ترجمتها أنا من أربعين عامًا . وكان اسمها : اللذة من ذيلها !

واكتشفت أن كوكتو هذا دمه خفيف . . وابن نكتة .

ولاحظت أن كوكتو قد ولد فى نفس السنة التى ولد فيها العقاد وطه حسين والمازنى وعبد الرحمن الرافعى وايليا أبو ماضى ونهرو وشارلى شابلن وهتلر . .

ويحكى عنه أنه عندما اختير عضوًا فى (لأكاديمية الفرنسية) كان لابد أن يرتدى الزى الرسمى : البدلة والسيف والبرنيطة والنياشين . وفى يوم الاحتفال جلس إلى جواره جنرال أمريكى ، فسأل كوكتو : هل هذا الزى الذى ترتديه لسلاح الصاعقة الفرنسية ؟

فقال كوكتو بمنتهى الهدوء : إنه زى العبقرية !

فبعد لحظات نهض الجنرال الأميركى !

وقد اشترك كوكتو فى رسم عدة لوحات فى إحدى الكنائس التى سبقها إليه فنانون عظماء من مثل بيكاسو وماتيس . وقد سأله أحد المصلين عن معنى سلوكه هذا فقال : أردت أن أكون قريبًا من الله !

كان كوكتو يحب أن يتفرج على الذين يرقصون التويست . ولما سئل عن معنى ذلك قال : إنها الرقصة الوحيدة التى أرى فيها وجوها مرهقة ، ومؤخرات مرحة!

لاحظ كوكتو أن فى البنسيون الذى يسكنه يوجد شاب لا يتوقف عن الكتابة لا ليلاً ولا نهارًا فدار هذا الحوار بينهما :

كوكتو : أنت تكتب كثيرًا .

- نعم يا سيدى .

- إذن أنت صحفى ؟

- لا .

- إذن أنت تكتب رواية طويلة ؟

- لا يا سيدى .

- إذن فمن أى شىء تعيش هذه الحياة الأبهة ؟

- مِن الكتابة ؟

- لم أكن أعرف أن الكتابة تعود على أصحابها بهذا المال الوفير !

– ولكنى أكتب إلى جدتى وعمتى ووالدتى أطلب المزيد من الأموال !

ولـه عبارات شائكة مثل :

المدن كالفاكهة بها ديدان دائمًا !

أصعب ما فى الدنيا : أن يتذوق الفرنسيون الشعر ، وأن يكون للألمان عقل !

السياسيون هم أكثر الناس احتقارًا لمواطنيهم !

قلة الأدب هى شرط الكتابة الأدبية !

سيد البيت هو الذى يعيش وحده !

كل المصائب تقع فى البيت ، ولذلك يحرص الأزواج على البقاء فى الخارج أطول مدة ممكنة !

* * *

سبب حوادث اصطدام السيارات أن سائقين اتجها فى وقت واحد إلى أحد المشاة!

* * *

قدرة بلا طموح : سيارة بلا موتور !

* * *

يا أخى اعمل شيئاً : تقدم الصفوف أو امش فى آخرها .. ولكن لا تقف فى طريق أحد !

* * *

من يستطع فإنه يفعل ، من لا يستطع فإنه ينتقد !

* * *

الممثل هو الإنسان الذى يستطيع أن يكون أى أحد - إلا نفسه!

* * *

إعلانات التليفزيون فادحة التكاليف إذا كانت زوجتك من المعجبات بها !

* * *

أعظم الفضائح هى التى لم تستجب لها !

أحسن نصيحة : ألا تنصح أحدًا !

* * *

الأطباء والمحامون يتقاضون أجرًا على نصائحهم !

* * *

الزمن هو الذى يجعل السجاجيد أغلى ، والناس أرخص !

* * *

اتفاق الجنتلمان : اتفاق بين رجلين يرفضان أن يسجلاه على الورق!

* * *

الطائرات قربت إلينا مكانين هما : هذه الدنيا .. والعالم الآخر !

* * *

الناس أمام الأبواب نوعان : نوع يزق الباب أمامه ونوع يسحب الباب ناحيته .. الذين (يزقون) الأبواب يصلون أسرع !

* * *

فى أمريكا يستطيع كل إنسان أن يكون دافعًا للضرائب !

* * *

فى أمريكا : صدق أو لا تصدق

فى روسيا : صدق وإلا ....

* * *

أطفال أوروبا وأمريكا لا يفهمون كيف أن آباءهم يصنعون القنابل الذرية ويمنعونهم من استخدام البمب !

* * *

فى أمريكا سيارتان فى كل جراج ، وتليفونان فى كل بيت وتليفزيونان فى كل غرفة وصداعان لكل قرص أسبرين !

* * *

الناس الذين (يطيرون) دائمًا من الفرح يلجأون إلى (الهبوط الاضطرارى) بعد ذلك !

* * *

كم من نحلة غرقت فى عسلها !

* * *

النحلة لا تستطيع أن تلسع وأن تفرز العسل فى نفس الوقت !

* * *

أكثر النساء يصدقن ما يرين فى المرآة !

* * *

يناقش كثيرًا ، من يعرف قليلاً !

* * *

إذا أردت أن تلفت نظر زوجتك وأن يطير النوم من عينيها ، تظاهر بالسعادة !

* * *

الأعشاب والمتاعب تظهر بسبب عدم الاهتمام !

* * *

الرجل الأعزب هو الذى يريد شيئاً واحداً فى هذه الدنيا : سعادته!

* * *

الأعزب هو الذى يرتب سريره بنفسه ، لكى ينام عليه مرة أو مرتين كل أسبوع !

الأعزب هو الرجل الذى يحرص على الارتباط بنساء كثيرات هربًا من الارتباط بامرأة واحدة !

* * *

الأعزب الغنى هو الرجل الذى فكر فى أن يحوش قرشين لكى يتزوج ، ثم عدل عن ذلك !

* * *

الأعزب لقمصانه زراير ، المتزوج ليس له قمصان !

* * *

زمان كانوا يصفون الرجل الذى لا يتخانق بأنه رجل جبان ، الآن يسمونه أعزب!

* * *

بنت اليوم يحمر وجهها إذا فعلت شيئًا أخلاقيًا !

* * *

الرجل الذى يتباهى بأنه لم يخطئ قط ،له زوجة فعلت ذلك كثيرًا !

* * *

الشخص الممل هو الذى يجد دائمًا ما يقوله ، ولا يجد من يسمعه !

* * *

لا يمكن أن تكون سيد البيت إلا إذا كنت تعيش وحدك !

* * *

المحظوظون فى هذه الدنيا أكثر من الذين عندهم مواهب !

لاصداقة .. لاعداوة ومصالح فقط ..

أصبح الخوف من الأصدقاء أكبر من الخوف من الأعداء .. حقيقة نفسية أخلاقية اجتماعية سياسية أيضًا !

أول جريمة فى التاريخ أخ قتل أخاه ..

ويوسف عليه السلام ألقاه إخوته فى البئر ..

والذى أسلم المسيح عليه السلام إلى الرومان لكى يعذبوه اسمه يهوذا الإسخربوطى ، أحد تلامذة السيد المسيح ..

والذى قتل الرئيس بوضياف أحدحراسه ..

والذى اغتال السادات واحد من جنوده ..

والذى ذبح عبد الكريم قاسم سفاح العراق كان أحد حراسه ..

والذى تمرد على صدام حسين الذى هو أسوأ من كل رؤساء العراق ، هم حراسه أيضًا .

والذى فضح الأمير تشارلز زوجته الجميلة الأميرة ديانا ..

والذى فضح الأميرة ونقل كل أخبارها الصغيرة والكبيرة والصغيرة خصوصًا هو الرجل الذى ترتمى تحت يديه نصف عارية ليقوم بتدليكها منذ أربع سنوات .. ولذلك طرده القصر الملكى دون إذن الأميرة !

والشاعر القديم قال لنا لعلنا نتعلم :

احذر عدوك مرة

واحذر صديقك ألف مرة

فلربما انقلب الصديق

فكان أعلم بالمضرة

والعبارة الحكيمة القديمة تقول : اللهم احمنى من أصدقائى ، أما أعدائى فأنا كفيل بهم . .

والرسول عليه الصلاة والسلام قد طالبنا بأصعب أنواع السلوك الإنسانى . . ولكنه السلوك الحكيم : الاعتدال . . قال ما معناه : « أحبب حبيبك هونًا ما ، فقد يكون عدوك يومًا ما . . وأبغض عدوك هونًا ما ، فقد يكون صديقك يومًا ما » !

والقرآن الكريم يقول : « إن من أزواجكم وأولادكم عدّاً لكم فاحذروهم » .

وقالوا : عدو عاقل خير من صديق جاهل !

إن الصديق الجاهل من الممكن أن يكون أكثر من عدو فى لحظة واحدة ! ، فالعدو صديق غدًا ، والصديق ألف عدو غدًا وبعد غد . . فمن هو الصديق ومن هو العدو ؟!

أنا أقول لك ورزقى على الله : إن الصديق هو عدو تحت التمرين ، والعدو هو صديق عند الضرورة . .

وإذا استطعت أن تصنع لنفسك دبوسًا ذهبيّاً لتضعه فى أذنيك . . أو فى إصبعك بشرط أنه إذا حدثت لك مصيبة أخرجت هذا الدبوس لتقرأ عليه هذه العبارة التى أنصحك بأن تنقشها . . العبارة تقول : لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة ، ولكن هناك مصالح دائمة !



الفلاسفة: قطط وكلاب!

كلما فتحت مجلة وجدت الكلام عن هذا الفيلسوف الذى لم أسمع عنه .. ولا قرأت .. المعلومات تقول : فيلسوف فرنسى عمره أكثر من ستين عامًا .. وأصدر أربعين كتابًا .. وفلسفته اسمها : التفككية .. تفكيك الكلمات والمعانى بقصد أن نعرف ماذا تخفى وراءها ..

واقترح أحد الأساتذة الإنجليز منحه درجة الدكتوراه الفخرية .. فقام الإنجليز ولعنوا آباء الفيلسوف وكل من يتشددون له .. لأنه ليس مفهومًا .. وقالوا : «نصاب .. وقالوا : كافر .. وقالوا : شاذ» .. ثم ما هى ضرورة منح جائزة بريطانية لواحد فيلسوف فرنسى .. لا طلع ولا نزل ..

ولكن لم أعرف هذا السيد الفيلسوف الفرنسى جاك دريدا ..

وكنت فى فيينا فنزلت أسأل عنه فى المكتبات .. لم أجده بالألمانية .. ولا بأية لغة أخرى .. ذهبت إلى المكتبات الفرنسية قالوا : اذهب إلى الأمريكية ..

فأعادتنى الأمريكية إلى مكتبة فرنسية .. وأخيرًا وجدت كتابين له .. وبدأت أقلب .. وأتقلب ولا أفهم شيئًا .. وفى الصباح الباكر قرأت .. لا أفهم .. وعند الغروب وبعد الشروق ونصف النهار .. لم أفهم فى أى شىء وبعد أى طعام ولا قبل النوم .. الرجل غامض ومصر على ذلك .. وأنا مصر على أن أعرفه ..

وذهبت إلى المغرب ووجدت فى مكتبة بمدينة الرباط ترجمة عربية لكتابين آخرين من كتبه .. ولم أفهم .. ولابد أن أعرف من هذا الفيلسوف الفرنسى .. لابد ..

قديمًا كانوا يسخرون من الفلسفة فوصفوا الفلاسفة بأنهم أناس فى غرف مظلمة يفتشون عن قطة سوداء يسمعونها ولا يرونها ومصممون على أن يمسكوا بها .. ووجدتنى هذا الذى يجرى وراء قطة ليس لها لون ولا صوت ولكننى سمعت عن الذى سمعوا عن هذه القطة ..

اسمع يا سيدى الفيلسوف الفرنسى جاك دريدا يقول لك فى أربعين كتابًا هذه المعانى : إن الرغيف الذى أمامك له شكل .. الشكل ليس دائريًا تمامًا .. لأن الدائرة الكاملة الاستدارة غير موجودة إلا فى خيال علماء الهندسة والفلك .. إذن الرغيف له شكل دائرى تقريبًا .. ثم إن الرغيف لا وجود له .. وإنما مادة مقرمشة لها هذا الشكل .. فالرغيف عبارة عن لقم من الدقيق الذى دخل الفرن .. واللقم هى عبارة عن فتافيت من العجين .. والفتافيت عبارة عن ذرات من الدقيق المعجون .. وهذا الدقيق ليس متساوى الوحدات ، أى الذرات .. ثم إن هذه الذرات يمكن تحويلها إلى ذرات أصغر وأصغر .. ومن هذه المادة المتناهية الصغر يتكون الرغيف ..

انتهى كلام الفيلسوف الفرنسى جاك دريدا ..

ومعنى الكلام أن كل شىء بالتقريب .. وأن كل شىء ليس دقيقًا .. وأننا لا يصح أن نقطع بأى رأى فى أى موضوع فى أى وقت أيًا كان قائل هذا الكلام !

وبناء على كلام الفيلسوف جاك دريدا وتطبيقًا لنظريته فى فهم الكلام أيّاً كان قائله : فهو غامض الوضوح واضح الغموض ، وهو قط له عواء الكلب ، وهو كلب له مواء القط . .

وعليه العوض فى مائتى جنيه استرلينى دفعتها ثمنًا لهذه المعانى التى عصرت فيها دماغى ثلاثين يومًا !

إلا هذه الكلمات الفظيعة !

لم تكد المطربة شادية تفتح فمها بالغناء حتى ضجت الصالة بالضحك . . الضاحكون كلهم من الروس !

فما الذى أضحكهم ؟ لقد كانت تغنى النشيد القومى . . ومن المألوف أن تبدأ كل الشعوب فى الدنيا نشاطها بالنشيد القومى . . ولم نسرق لا كلمة ولا لحنًا من روسيا . . فعلى أيام سيد درويش لم يكن أحد يعرف شيئًا عن روسيا إلا ثورتها الدموية !

والروس المهذبون ضحكوا ولكن أخفوا وجوههم فى أيديهم . . ولم نعرف . . ولكن أحد المصريين همس فى أذنى : إن كلمة (بلادى) معناها - باللغة الروسية - الغوانى . . بنات الليل . . وطبيعى أن يضحكوا من أن تكون بنات الليل أول كلمة فى النشيد القومى !

وعرفنا أن إحدى أغنيات عبد الوهاب لا تذاع أيضًا . . وهى أغنية : خى . . خى . . فهذه الكلمة معناها (المؤخرة) فى اللغة الروسية !

ونحن فى مصر لا نقول المرة - أى المرأة - ولكنهم فى سوريا ولبنان والمغرب العربى يقولون عن المرأة أو السيدة . . هذه المرة !

وفى العراق يقولون عن المرأة : القحبة . . الجحبة ، ولا يجدونها كلمة نابية !

أذكر أن المذيع السورى فؤاد شحادة كان فى الأتوبيس عندما جاءت سيدة ولم يقف أحد لتجلس مكانه . . فقال فى أدب لأحد الجالسين : من فضلك قم حتى تجلس (المرة) .

فصرخت المرأة : مرة فى عينك وعين أبوك يا كلب يا ابن الكلب . . المرة تبقى أمك !

ولم يفهم فؤاد شحادة ونزل من الأتوبيس حزينًا على ما حدث!

ومنذ أيام كنت فى المغرب . . وفى عشاء رسمى جلست إلى مائدة صغيرة عليها عدد من السيدات . . وكان الحديث عن رمضان وما نفعله نحن فى رمضان . . ومايفعلونه . . وقلت إننا فى رمضان من عشرات السنين لم نغير الشيخ رفعت بصوته الجميل ولا أغنية هل هلالك يا رمضان . .

ثم سكت لأقول : نسيت أغنية وحوى يا وحوى !

وأخفت السيدات وجوههن فى أيديهن . . وأحسست كأننى كنت واقفًا ثم سقط بنطلونى . . ولم أعرف ما الذى أقول . . ولا ما الذى قلت . . إننا نذيع أغنية وحوى يا وحوى أيامًا قبل حلول شهر رمضان . .

ولكن قالت لى إحدى السيدات ووجهها أكثر احمرارًا من قمر الدين : إن كلمات وحوى يا وحوى هى كلمات جنسية نابية جداً ولا يجرؤ أى إنسان أن ينطق بها . . إنها أفظع الكلمات الجنسية فى المغرب !

أما الكلمة التى قلتها بعد ذلك وكنت أتحدث عن متعة الذهاب إلى سيدنا الحسين وشراء الطعمية والفجل والبصل والخبز الساخن من الطابونة ، فقد زلزلت المائدة وتساقطت الأكواب والسيدات أيضًا .. إنها كلمة (الطابونة) التى تعنى عضوًا عند المرأة .

يسقط بوش بجدارة !!

لو كنت أمريكيًا فلن أختار الرئيس بوش ، لفترة رياسة ثانية . .

وليس معنى هذا أنه كان رئيسًا رديئًا . بل هو من أعظم رؤساء أمريكا . وأقدرهم على إدارة الأزمات . فهو فى عهد الرئيس ريجان قد حاول جاهدًا أن يؤجل تسليم الرهائن الأمريكان إلى الرئيس كارتر - فى آخر أيامه . وأراد أن يجىء تسليم الرهائن فى الأيام الأولى للرئيس ريجان . . ووقتها لم يكن بوش قد أصبح نائبًا للرئيس بعد . . ولكن بسبب هذه البراعة تمسك به الرئيس ريجان ثمانى سنوات وكان موفقًا فى ذلك .

والرئيس بوش هو أحسن من أدار أزمة الخليج . . مهد لها وحشد الدنيا وراءه فى العالم كله . . وضرب صدام حسين فى حرب لم نر لها أولاً ولا آخر . . قد حجب المعلومات عن كل الناس . . وقدمها بالقطارة . . الأخبار والصور كما يريدها هو . .

وأنقذ الخليج من أنياب صدام حسين . . ولكن . .

ولكن هذه هى بداية المشكلة . فقد انتصرت أمريكا . واستقرت فى الخليج . انتهى . ولابد أن يتجه بوش إلى المشاكل الداخلية فى أمريكا . انتهت الحرب بالنصر . ولكن لن تعيش أمريكا على هذه الحرب . . ولن يؤدى الشعور بالنصر إلى تخفيض الأسعار وتشغيل الأيدى العاطلة . . صحيح أنه فى عهد بوش انهزمت الشيوعية ، وانتهت الحرب الباردة . وتوقفت الصواريخ . عظيم جداً . ولكن المشاكل الداخلية بلا حل . ولذلك فالرئيس

بوش فى خطر . ولن ينقذه وزير خارجيته بيكر الذى نظم له حملته الانتخابية فى الفترة الرياسية الأولى . .

والرجل الثانى فى أمريكا هو المشكلة الأولى : كويل . فهو شخصية ضعيفة ظريفة . ولكن لا قيمة له ولا رأى !

ولابد أن يبحث له عن نائب آخر . . .

بل إن حزب بوش يبحث الآن عن مرشح آخر غير بوش . فهل هو بيكر؟!

ومن الممكن أن يصاب بوش بما أصاب تشرشل وديجول قبل ذلك . فتشرشل كان مهندس انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية . فهو رجل حرب من الدرجة الأولى . ولكن الإنجليز يريدون رجل سلام . . فأسقطوا تشرشل مع عظيم الاحترام لماضيه!

وكذلك الفرنسيون ساروا وراء ديجول حتى النصر . وانتهت الحرب ويريدون السلام والانتعاش الاقتصادى والحياة العادية . وديجول ليس هو الرجل القادر على ذلك . وأسقطوه . وكانت لديجول عبارة مشهورة : « أنت لا تستطيع أن ترضى كل الأذواق فى بلد قد صنع ٢٥٠ نوعًا من الجبنة » - أى من ٢٥٠ ذوقًا فى أكل الجبنة !

وقد انتهز المرشح الديمقراطى كلنتون الذى نشروا له فضائحه الجنسية ، انتهز ضعف بوش فى أمريكا وفى داخل الحزب وتقدم للشعب الأمريكى باقتراحات داخلية لإصلاح الذى أفسده بوش أو الذى انشغل عنه . .

ومعنى ذلك أن الشعب الأمريكى الذى تضايق من غراميات كلنتون قد أغمض عينيه ما دام هذا الرجل سوف يكون قادرًا على صنع المعجزة الاقتصادية . وقال : من الذى لا يخطئ . . وقالوا : إنها حرية شخصية . . ثم إن زوجته راضية وكذلك أولاده قد قبلوا اعتذار أبيهم فكيف لا يقبل الشعب ذلك . .

أما صدام حسين فقد انتهز هذه المشاكل التى تواجه بوش وأعلن أن الكويت أرض عراقية . . وهو يعلم أن بوش لن يضرب العراق ، فليس عنده وقت . . ثم إن العالم لا يريد مذابح أخرى . . كما أن بوش قد ضعف وهناك مناقشات فى أمريكا تقول إن بوش لم يحقق شيئاً من هذه الحرب ضد العراق . فلا يزال صدام فى موقعه . . إن صدام حسين يريد أن يساعد على سقوط بوش فى بلاده وبين شعبه . . ويرضى صدام حسين بأنه سبب السقوط ، وأن أمريكا لم تكن على حق فى ضربها العراق بدليل غضب الشعب الأمريكى على بوش !

الحقيقة أن الأمريكان ليسوا غاضبين على بوش لأنه ضرب العراق وحرر الكويت ، ولكنهم لا يريدون أن يكون هذا كل ما يستطيع بوش أن يقدمه للشعب الأمريكى .

فإذا سقط بوش فليس صدام هو السبب ، وإنما بوش الذى استغرقته السياسة الخارجية حتى أغرقته !

آخر الشيوعيين المحترمين!

كان عندنا بعض الاحترام للشيوعيين المصريين . . لهم رأى . . وهم يتقاضون على ذلك أجرًا كبيرًا . . يتظاهرون بالفقر وهم أغنياء . . ويتظاهرون بالغربة فى باريس وهم ضيوف على الحزب الشيوعى . . هم وزوجاتهم وأولادهم . . ويتنزهون فى روسيا وفى أمريكا ولا يجيئون إلى مصر خوفًا من الظلم الوهمى وخوفًا من الاعتقال الخرافى . . ولكنهم سعداء هناك . . منتهى السعادة !

والروس أسقطوا الشيوعية . . أى وجدوها كاذبة أفسدت حياتهم فتخلفوا عن كل شعوب الدنيا . . ولم تؤد إلى سقوط الرأسمالية فى أمريكا وألمانيا واليابان . . وهى الدول التى تقدم الطعام والشراب لكل الشعوب الشيوعية التى تضورت جوعًا إلى الطعام والحرية والكرامة . .

وقد ضحكت مصر كلها عندما اتهم الشيوعيون المصريون الزعيم جورباتشوف بأنه عميل أمريكى . . لأنه قرر إسقاط الفساد فى بلاده . . والفساد هو الشيوعية الجامدة الإرهابية العمياء . . ولكنهم متطرفون فى حب روسيا أكثر من جورباتشوف وأكثر من ألف مليون شيوعى !!

ولم يعد أحد يذكر الشيوعية بخير أو بشر إلا فى مصر . لماذا؟ أرجوك أن تسأل وإذا اهتديت إلى جواب ، فأرجو ألا تبخل علىَّ بذلك . . ولن تجد ردًا سوى الذى ذكرت أنا من قليل .

لقد ذهب كل العملاء الشيوعيين فى أوروبا وآسيا وأمريكا . . ولم يبق إلا رجل واحد هو الرئيس السابق لألمانيا الشرقية هونيكر (٨٠ سنة) . اتهمه الألمان بأنه قتل العشرات الذين قرروا الهرب إلى ألمانيا الغربية . . واعتقل المئات الذين حاولوا ذلك . . وسرق مئات الملايين وهربها إلى الخارج . . ثم إنه هو الذى أشرف فى سنة ١٩٦١ على بناء حائط برلين - أكبر عازل من الأسمنت المسلح . . ثم إنه هرب إلى روسيا قبل هدم الحائط بأسابيع ، وتوهم أنهم فى موسكو سوف يستقبلونه كالأبطال ، لأنه رجلهم وعميلهم وخائن بلاده الأعظم . . ولكن روسيا هى التى وافقت على هدم حائط برلين . . وهدم الشيوعية أيضًا . . وطالب الألمان بدم هذا السفاح . . فلجأ إلى سفارة شيلى . . وابنته هربت ومعها الملايين إلى شيلى نفسها . . وظل شهورًا مختبئاً فى داخل سفارة شيلى بموسكو . . وألمانيا تطالب به . . وضاقت كل السبل فى وجهه . فسافر إلى ألمانيا ودخل السجن الذى دخله قبل ذلك سنة ١٩٣٥ - لقد أدخله النازيون فى هذا السجن لأنه شيوعى . .

أما زوجته مارجوت (٦٤ سنة) فرفضت أن تذهب معه إلى ألمانيا - فهى الأخرى كانت وزيرة للتربية والتعليم وكانت تدفع فى طريق زوجها بالفتيات الصغيرات . . فهى تعرف شذوذ الجنس!

والمستشار الألمانى كول ، هو الذى فرش له البساط الأحمر عندما جاء إلى ألمانيا الغربية سنة ١٩٨٧ ليتفق الاثنان على وحدة البلدين والشعبين . ولم يكن هو يفكر مخلصًا فى ذلك وإنما كان يحاول تسويف العملية . . ولكن جورباتشوف أمره بأن

ينسحب من القيادة فقد تغيرت الدنيا . . ولم تعد روسيا هى الزعيمة ولم يعد جورباتشوف هو سيد الشيوعيين والذى يتفق عليه وعلى غيره ذهابًا وإيابًا .

بالمناسبة نشر الشيوعيون الروس قوائم بأسماء الشيوعيين الذين يتقاضون مرتبات منهم فى مصر وفى كل الدول العربية . . بعض هذه الأسماء نشرتها الصحف المصرية . والبعض الآخر رأت مصر أنه لا داعى لبهدلة الأقلام الكبيرة التى تتظاهر بما ليس فيها من الشرف والكرامة والوطنية .

ويقول هونيكر إنه سوف يلقى محاكمة عادلة . لاشك فى ذلك . وأعلن القضاة أنهم سوف يفعلون ذلك .

أما الحكم العادل فهو الإعدام ، الذى سيتحول إلى سجن مدى الحياة لسبب أنه فى الثمانين من عمره وأنه مريض . . ولكنه يستحق الإعدام مئات المرات مع عظيم الاحتقار .

كل هذا العذاب من أجل متر واحد ؟!

يجب أن يكون فى كل مستشفى أكثر من قسم للإنعاش . . واحد فى داخل المستشفى والثانى بعد دفع الحساب !

* * *

كل العمليات فى أى مستشفى خطيرة جداً ، ولكن أخطرها عندما تدفع الحساب !

* * *

لا تصدق أى دكتور : إنه يحقد عليك لأنك وجدت طبيبًا مثله . . أكثر الأطباء لا يجدون لأنفسهم طبيبًا !

* * *

أصبحت المستشفيات فادحة التكاليف لدرجة أن المريض يختار أرخص الأمراض قبل أن يدخلها !

* * *

شىء عادى جداً أن يقال لك قبل مقابلة الطبيب : الحساب أولاً !

* * *

لكى يكون الإنسان قادرًا على دفع علاج قلبه ، فلابد أن يعمل ٢٤ ساعة فى كل يوم حتى يصاب بوجع فى القلب !

ليس المرض هو الذى يقتل الناس ، وإنما هؤلاء الناس الذين يوهمون المرضى بقدرتهم على العلاج!

* * *

المرض من عند الأطباء ، والشفا من عند الله!

* * *

اللهم احمنى من الأطباء أما أعدائى فأنا كفيل بهم !

* * *

أصبح الناس قبل أن يموتوا يوصون بالطبيب وبالجنازة!

* * *

الضحك أعظم دواء ، سواء كنت طبيبًا أو مريضًا !

* * *

قل لى ما الذى يضحكك وأنا أقل لك من أنت !

* * *

أقل الناس استعدادًا للضحك هؤلاء الذين يصنعون الضحك !

* * *

الممثل الكوميدى هو الذى يُضحك الناس فى المسرح ويبكيهم فى البيت !

* * *

ليس مريضًا من لا يزال قادرًا على الضحك !

أكبر قياس للحرية التى يتمتع بها الناس ، قدرتهم على الضحك !

* * *

لقد تعذبت البشرية كثيرًا بسبب أناس لم يعرفوا إلا الدموع !

* * *

نحن نضحك لما يصيب الآخرين ، فإذا أصابنا ضحكنا من الغيظ !

* * *

من يضحك على نفسه ، سوف يفعل كثيرًا لأن الإنسان حيوان مضحك !

* * *

عندما تضحك المرأة لنكتة قالها زوجها ، فإما أن تكون النكتة مضحكة جداً ، وإما أن تكون زوجة طيبة !

* * *

الضحك أعظم مهدئ ، وليست له آثار جانبية !

* * *

الرجل الذى يضحك على ملابس المرأة هذه الأيام ، لم يدفع فواتيرها بعد !

* * *

نحن لا نضحك لأننا كبرنا فى السن ، ونحن كبرنا فى السن لأننا لم نعد نضحك!

* * *

أفضل أن يضحك عليك الناس لأنك لم تتزوج ، من أن يضحك عليك الناس لأنك تزوجت !

* * *

كل السنوات التى ضاعت من عمرك ، هى التى لم تضحك فيها !

* * *

حاول أن تضحك وسوف تضحك لك الدنيا ، ففى الدنيا هموم كثيرة ودموع أكثر !

* * *

ليكن عندك وقت للضحك فالضحك هو موسيقى الروح !

* * *

لا يعرف قرحة المعدة ، من يعرف الضحك !

* * *

بيت يضحك فيه الناس ، لا يدخله الطبيب !

* * *

من يحرص على إضحاك الناس بالنكت (القبيحة) سوف يدفع ثمنًا غاليًا لذلك !

كل سيارة فيها (سوست) لامتصاص المطبات ، وكذلك الضحك يمتص صدمات الحياة !

* * *

نصيحة هامة جداً : اضحك مع الناس وليس عليهم !

* * *

آخر نصيحة : لا تضحك على الذين سقطوا فى الطريق ، فكل الطرق ملتوية طالعة نازلة بك بعد ذلك !

* * *

آخر كلمات الساخر الكبير برنارد شو وهو يموت : أليست الحياة شيئاً مضحكًا ؟!

* * *

احسبها بالقلم والورقة : يولد الطفل وطوله نصف متر ويموت الرجل وطوله متر ونصف .. فهل كل هذا العذاب فى الدنيا من أجل متر واحد ؟!

آخر الحكايات عن حياة هتلر ..

حكايات وغراميات كثيرة تظهر كل يوم عن حياة الزعيم النازى هتلر . . ومنذ أيام كنت فى المدينة التى ولد فيها هتلر فى النمسا . . المدينة اسمها بروناو - أى المستنقع الداكن . . والمدينة صغيرة وبينها وبين ألمانيا كوبرى . . ولا فرق بين الناس فى هذه المنطقة . . فكلهم من الألمان . .

ووقفت أمام البيت الذى ولد فيه هتلر . . ودخلت . . والبيت ليست له أية ملامح ولا الشارع ولا المدينة . . ولا شىء يدل على أنه من هذا البيت سوف يولد قائد عسكرى سياسى جبار يدفع جيوش ألمانيا إلى احتلال أوروبا كلها وشمال أفريقيا وتحطيم روسيا . . ثم ألمانيا بعد ذلك !

قالوا إنه مثل الرئيس بورقيبة له خصية واحدة - أنا سمعت الرئيس بورقيبة ورأيته يعلن ذلك فى التليفزيون . وقالوا : إن هتلر لم يكن يحب لا المرأة . . ولا يحب الرجل أيضًا . . وليس عنده وقت للعلاقات الطبيعية بين الرجل والمرأة . . حتى الفتاة الألمانية الشقراء الملظلظة (إيفا براون) لم تكن مستريحة معه . . فلا قبلات ولا عناق . . ولا أى شىء آخر . ليس عنده وقت . وإذا كان عنده وقت فلشئون السياسة والحرب ، حتى أن إيفا براون هذه كانت تحب أحد ضباط الحرس الخاص لهتلر . وقد أعدمه هتلر لأنه بعد احتلال الروس لبرلين نصحها بأن تترك هتلر وتهرب معه . .

وقالوا إنه كان يحب أخته حبّاً شاذّاً . . وقالوا إنه كان يحب بنت أخته . . ثم قتلها . . ولكن هناك أشياء كثيرة تدل على أن هتلر لم يكن مهتماً بالمرأة من أى نوع . .فهو لا يستحم إلا قليلاً ولا يحب العطور . . وإنما كان يحب الأطفال وينظر إلى الأطفال على أنهم جنود المستقبل كأنه جزار يستعرض العجول فى إحدى حظائره . .

والمذكرات التى ظهرت أخيرًا ليوسف جوبلز وزير دعاية هتلر - تؤكد أن زوجة جوبلز كانت تحب هتلر بجنون . وكان منتهى أملها أن تموت وقد وضع هتلر حذاءه على رقبتها . . وكانت تقول : أتمنى لو أمرنى أن أعطيه لحظة واحدة من الراحة . . له أو لقدميه . . فهتلر هو هدية الله إلى الإنسانية كلها !

وتقول زوجة جوبلز إن ملايين النساء الألمانيات يعبدن هتلر . وتقول : لم يجرؤ رجل واحد أو سيدة على النظر إلى عينى هتلر . .

ولم يكن هتلر قوى النظر ولكنه حاد النظرة .

وقبل أن ينتحر هتلر ومعشوقته إيفا براون بعد سقوط برلين فى أيدى الحلفاء ، عقد عليها وتزوجها . ثم طلب إليها أن تموت معه . . بشرط أن يموت هو أولاً وتشعل فيه النار بعد ذلك .

وتقول زوجة جوبلز أنها حاولت أن تقنع هتلر بألا ينتحر . ولكنه أصر طبعاً . فهو يفضل أن يموت بيده ، على أن يموت ذليلاً بأيدى أعدائه . وظلت زوجة جوبلز تبكى وتقول : إنها توقفت عن البكاء حتى لا تضعف وتصبح عاجزة عن قتل نفسها وزوجها وأولادها الستة .

وجاء فى مذكرات أحد ضباط هتلر أن زوجة جوبلز هى أشجع امرأة فى العالم . لقد ألبست أولادها الستة البيجامات البيضاء . وأعطت كلاً منهم كوبًا من اللبن الدافئ وقطعة من الشيكولاتة . وكان السم فى اللبن . وماتوا جميعًا فى لحظات . وكانت تضعهم الواحد إلى جوار الآخر وتقول : لا حياة لأحد بعد هتلر . .

ثم انتحر زوجها وأحرقته . . وانتحرت هى وأحرقت نفسها !

وجاء فى مذكرات جوبلز أن هتلر طلب إليه قبل انتحاره بيومين أن يأتى له بحفنة تراب من الشارع المعروف باسم (تحت أشجار الزيزفون) وهو الشارع الرئيسى فى برلين . .

ولما أتاه التراب وضعه هتلر فى كوب الشاى وشربه ليموت وفى أحشائه تراب ألمانيا التى عاش ومات وأمات الملايين من أجلها !

عندك تكنولوجيا صدقنى !

لم يعد الواحد فى حاجة إلى أن يزعق بعزم مافيه لكى يسمعه أى إنسان آخر . . فنحن جميعًا نهمس . . فقد اعتدنا على ذلك فى التليفون وفى الحب وفى حالات الموت . .

فأنا مهما أرفع صوتى فلن يسمعنى أحد فى المنصورة أو فى نيويورك . . وإنما الهمس يكفى والتليفون يقوم بكل العمل . . ولم يعد أحد من علماء الفضاء فى حاجة إلى الهمس فى آذان رواد الفضاء . . وإنما الأشعة تكفى !

والشركات العالمية تتنافس من أجل أن تريح أذنيك وعينيك وأصابعك . . ولذلك يخترعون لنا أجهزة صغيرة الحجم رخيصة الثمن . . وفى هذه الأجهزة الصغيرة مئات الفوائد والعمليات . وليس عليك إلا أن تضغط بأصابعك . . والجهاز المبرمج يؤدى لك كل ما تريد !

ولكن لأن هذه العمليات شديدة التعقيد ، فكل جهاز معه كتيب صغير . هذا الكتيب يقول لك ماذا تفعل إذا أردت من هذا الجهاز الصغير - ساعة يد أو أچندة أو عقل إلكترونى أو جهاز تسجيل - وأكثرنا ليس عنده صبر لأن يقرأ هذا الكتيب . فقد عودتنا الأجهزة الحديثة ألا نقرأ وألا نوجع دماغنا . . ثم إن هذه الأجهزة الحديثة حتمت علينا أن نقرأ هذه الكتيبات . . واحتفظنا بالأجهزة وضاعت الكتيبات . ولذلك فنحن لا نستفيد إلا بالحد

الأدنى من العمليات المعقدة . . وبعد ذلك يفسد الجهاز لسوء استخدامه . . أو لعيب ما لا نعرفه . ولذلك لا يوجد بيت ليس فيه كثير من الأجهزة التالفة . .

ثم هناك أجهزة التنصت الإلكترونى - التصنت خطأ لغوى لأن الفعل هو أنصت ينصت انصاتًا وتنصتًا - وهذه الأجهزة موجودة فى زراير الچاكتة . . وموجودة فى الأقلام . . وتستطيع أن تضع القلم أو الزراير فى أى مكان ثم تدخل غرفة مجاورة وتضبط الراديو على موجة الجهاز الصغير وتسمع ما لا يريده الناس أن يقولوه علنًا . .

ومن الممكن أن تلصق هذا الجهاز الدقيق على زجاج شباك جارك فتسمع كل ما يقولون . . وكان الرئيس السادات يهرب من بيته فى الجيزة لأن البيت قريب من السفارة السوفيتية . وكان الروس قد تفوقوا على الأمريكان فى أجهزة التجسس من البعد . . فكان فى استطاعتهم أن يوجهوا أشعة مرتدة تلتقط كل ما يقال فى بيت السادات !

وهناك أجهزة - أنا عندى واحد ولا أعرف ما الذى أعمله به - هذا الجهاز أضعه فوق جهاز الڤيديو الذى وضعت فيه فيلمًا من أى نوع . . فإذا أدرت جهاز الڤيديو ، فإن هذا الفيلم يظهر على شاشة كل أجهزة الڤيديو فى العمارات المجاورة . وأنا أعرف أحد الأصدقاء فوجئ بوفاة اثنين من جيرانه وهم لا يفتحون التليفزيون وبصوت مرتفع إلا على الأحاديث الدينية . فما كان منه إلا أن وضع فيلمًا جنسيًا ، فصرخت كل البيوت . وأقفلوا التليفزيون . . وكلما فتحوا التليفزيون وضع هذا الفيلم الجنسى . . وبعد ذلك

اختشى على دمه ، ولم يعد يرتكب هذا العمل الاستفزازى الشنيع!

هذا الخوف من الأجهزة الحديثة . . أو من التكنولوچيا الحديثة هو الذى نسميه تكنوفوبيا . . ولكننا فى نفس الوقت لا نستطيع إلا أن نعيش فى زماننا ولذلك لابد أن نستخدم لغة العصر ومفردات العصر ورموز العصر . . والأجهزة المتطورة بسرعة هائلة هى أدوات العصر . . وهى فى نفس الوقت أكبر دليل على تطورنا . . ومع هذه الأجهزة الحديثة : خوفنا منها وخوفنا عليها أيضًا . ولأننا مصابون بهذا المرض ، فلا شفاء له . . ولا شفاء منه . فنحن سوف نستخدم كل أجهزة العصر ونلعنها . . ونلعنها لأنها أرادت أن تحقق لنا الراحة ، فلم تستطع . . ونلعنها أيضًا بسبب الخوف المستمر من تطورها وقضائها على حرية الإنسان وخصوصيات الإنسان . . ثم قضائها المستمر على استخدام الإنسان لعقله وتفكيره وذاكرته . . لقد أصبحت هذه الأجهزة (عكاز) العاجز وعينى الأعمى . . وكلنا ذلك الأعمى الأصم الذى طار النوم من فراشه . . وبفلوسنا أيضًا !

بوليميا مرض الأميرة..

مسكينة الأميرة ديانا زوجة ولى عهد بريطانيا . . فلأنهم يحبونها جداً ، ويتعاطفون معها ضد زوجها ، فإنهم يصورونها وهى تأكل وهى تشرب . . وهى تخرج وهى فى سيارتها بفستانها القصير جداً . . وحذائها بلا كعب . . وأخيرًا ضبطوها تأكل بشهية مفتوحة - كأية واحدة فى الدنيا !

وعرضوا الصورة على الأطباء فاكتشف الأطباء أنها مصابة بمرض اسمه (بوليميا) . . وهو مرض يصيب الأغنياء والأمراء . . والذين يخافون أن يزداد وزنهم . . هؤلاء الناس يأكلون كثيرًا جداً . ثم يتوارون لكى يفرغوا كل ما فى بطونهم . .

أى أنهم يأكلون كثيرًا جداً ، لأنهم جائعون دائمًا ، ولكن معداتهم لا تقوى على كل هذا الطعام . .

وتدل الأرقام على أن ٧ ٪ من البنات فى أمريكا فيما بين الرابعة عشرة حتى العشرين مصابات بهذا المرض . .

و ٦ ٪ من بنات بريطانيا

و ٥ ٪ من بنات فرنسا . . .

والأميرة ديانا قد بدأت حياتها بإنقاص طولها ، لأنها أطول من زوجها وذلك بارتداء حذاء بلا كعب . . وإنقاص وزنها لأن معظم بنات الأسرة المالكة (ملظلظات) . . ومضت فى إنقاص وزنها

فأصيبت بمرض انسداد النفس . . لا تأكل ولا تشرب ووزنها يتهاوى . ففزع الأطباء خوفًا على صحتها والجنين الذى فى بطنها والذى سوف يكون ملكًا - فصحة الملك والعناية بها واجب قومى . .

ونجح الأطباء فى علاجها من انسداد النفس الذى أصاب أميرات وملوكًا من قبلها!

والآن بدأ علاج (الرمرمة) أو مرض البوليميا . ولولا هذه الصورة التى التقطوها أخيرًا للأميرة ما عرفوا مرضها الجديد !

وقد ظلت الممثلة جين فوندا زوجة صاحب شبكة (سى . إن . إن) تعانى من مرض الرمرمة ٢٥ عامًا . وكانت تفرغ بطنها عشر مرات فى اليوم . . حتى شفيت منه تمامًا . وعندما سألوها أخيرًا عن أعراض وأوجاع هذا المرض صرخت : أرجوك . . لا أريد أن أتذكر تلك الأيام !

وأكثر المصابين بهذا المرض من الفتيات . والمشكلة التى تقع فيها الفتاة هى أنها أول الأمر تتعمد إفراغ ما فى بطنها . وبعد ذلك يصبح تفريغ المعدة انقباضًا وتقلصًا تقوم به المعدة من تلقاء نفسها !

كان نابليون أستاذًا لعلاج السمنة . . وعلاج الإسراف فى الطعام . لقد وجد نابليون فى ركوب الخيل علاجًا لكثير من الأمراض . . فهو لا يحلو له النوم إلا على ظهر الحصان . ولا يأكل ولا يشرب ولا يكتب ولا يفكر ولا يرفض الطعام إلا راكبًا حصانه .

وإذا لم يتوفر لك هذا الحصان حتى لا تأكل بكثرة فانزل إلى الشارع وامشى . . وامشى . . أو تفرج على القناة الثالثة فى التليفزيون !

وكان الأديب الفرنسى بلزاك يضع إلى جانبه دلوًا من القهوة ودلوًا من النبيذ . يشرب كوبًا من هنا وكوبًا من هناك . . ثم يأكل طعامًا كثيرًا وينام . . وبعد ذلك ينهض كأنه عفريت يكمل ما بدأه . . وكأنه كان يحفظ ذلك أثناء النوم !

وكان أمير الشعراء شوقى يضع فى جيبه بعض الملبس فإذا أحس بالجوع لحظة واحدة ، أخرج ملبسة من جيبه وراح يقرقشها . ولذلك كان شوقى نحيفًا جداً . وكان من آماله فى الحياة أن يملأ بطنه ولو مرة واحدة . ولكن عرفنا فيما بعد أنه كان ينقصه شيئان فى حياته أن يهضم وأن يضحك . . وكان عاجزًا عن الهضم ، لأن المعدة لا تجد طعامًا ، وكان عاجزًا عن الضحك لأنه مصاب بتقلصات عصبية فى معدته !

وكان أستاذنا العقاد يأكل مرة واحدة فى الأسبوع أكلة دسمة . . وله فى ذلك منطق . فهو يعيش على الطعام المسلوق . ولكن كان يرى ضرورة اختبار المعدة ليعرف مدى قدرتها على الهضم فكان يلمؤها مرة واحدة فى الأسبوع بكل الأطعمة الممنوعة . . ولكن العقاد لم يكن يقول إنه مصاب أيضًا بمرض البوليميا . وكان يعالج نفسه . ولما أتيت له بأحد الأطباء . اكتشف الطبيب أن العقاد هو الذى يعالج نفسه خطأ . . فالعقاد (الطبيب) هو الذى قتل العقاد (الأديب) !

وكان ترتيبى رقم "٩"

المصريون لا يتضايقون عندما يهز الواحد رأسه ويمط شفتيه ويقول لك : تصور لقد أصبح عددنا ٥٨ مليونًا . . نحن نزيد مليونًا كل تسعة شعور . . كل ثمانية . . وفى سنة ٢٠٠٠ سوف نزيد مليونًا كل ستة شهور . .

ولو نظرت إلى من يقول ذلك فإنك تلمح بعض الرضا وبعض الضيق . . ولكن الرضا أكبر . . فهذه الزيادة قوة . .

وبعد أن يقول هذه العبارة تجده يقول لك : أن سكان القاهرة وحدها أكثر من سكان جميع دول الخليج . . أو أنها أكبر من سوريا والأردن ولبنان معًا . . أو أن مصر وحدها أكبر من دول المغرب العربى كلها . .

إن مثل هذه العبارة تدل على أن المتحدث غير مستريح إلى هذه المصيبة السكانية . . ، أما الحقيقة فإن هذه الزيادة مفزعة مروعة ونحن غير قادرين على إطعام كل هؤلاء المواطنين . . فالزيادة أكبر من أن تتحملها مصر . . ولابد من التوقف . . كيف؟ بأن نجعل شعارنا : طفلين لكل أسرة . .

ثم طفل واحد لكل أسرة . . وبعد أن تتوقف الزيادة مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا . . ونصبح قادرين على إنتاج وفرة من الطعام والخدمات لكل الناس . . ويصبح عندنا فائض إنتاج نصدره . . ثم فائض استهلاك فإننا نطالب الناس بأن ينجبوا أطفالاً وسوف نشجعهم على ذلك بالمال ونخفف عنهم الضرائب . . كما تفعل

دول أوروبية كثيرة . . وربما يتحقق لنا ذلك عند منتصف القرن القادم أو نهايته . . هذا إذا لم تقع حروب فى الشرق الأوسط بسبب الأعمال العدوانية التى سوف تقوم بها إسرائيل ضد الشعب الفلسطينى . . فقضية فلسطين لا تزال بلا حل . . ولا يزال الحل الذى يبشر به حزب العمل ، هو ما كان يقوله مناحم بيجن زعيم الليكود والمتشددين . . ولكن حزب العمل اتخذ شعارًا مصريًا يقول : لاقينى ولا تغدينى . . أى أن الحفاوة والترحيب أهم من الدعوة إلى الغداء . . وهم يرحبون ولكنهم لا يقدمون طعامًا .

وسوف تتضاعف الحفاوة ويندر الطعام . . وهنا يتكرر ما تمنينا ألا يقع وهو النزاع المسلح الذى يأكل مئات الألوف من جميع الأطراف . . ومن المصريين أكثر . . فهم أكثر تعرضًا لكل مصائب الشرق الأوسط !

وعندما سألونى فى الإذاعة البريطانية إن كنت من أنصار تنظيم الأسرة وتحديد النسل قلت : لا طبعًا !

ولما سألونى كيف ؟

قلت : أنا الآن ضد زيادة النسل . . ولكن أحمد الله أن هذا ليس رأى والدى . . فنحن أحد عشر أخًا وأنا ترتيبى التاسع !

الذين اختشوا لا يدخلون
البيت الأبيض !

قال صلى الله عليه وسلم : إذا لم تستح فاصنع ما شئت ..

وقال الشاعر :

إذا لم تخش عاقبة الليالى
ولم تستح ، فاصنع ما تشاء
فلا والله ما فى العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

والمثل الشعبى يقول : اللى اختشوا ماتوا ..

أى لا حياة لمن لا حياء له ..

أقول قولى هذا وأتذكر ثلاث حوادث عالمية :

الأولى : لوزير الثقافة البريطانى دافيد ملورز ويسمونه (وزير الفرفشة) كان له علاقة بواحدة ممثلة .. والممثلة لها أفلام جنسية عارية شنيعة . وتقول أنها كانت عشيقة له سنوات طويلة .

والرجل ينكر . ورئيس الوزراء يتمسك به حتى لا يستقيل ، على أساس أن هذه مسائل شخصية !

ولكن أبو زوجة الوزير يقول : بل يجب أن ينفصل عن زوجته فورًا لأنه خان الأمانة .. ويجب أن يترك موقعه الرسمى .. لأن رجلاً يخون عقدًا مع امرأة ، كيف يكون أمينًا على واجبه أمام الشعب !

ولكن الرجل لا يضع فى عينه حصوة ملح . . فهو لا يقدم استقالته لأنه غلطان ولأنه خائن . . ولأنه يجب أن يكون قدوة حسنة . .

وما دام لم يستطع ذلك فالواجب أن يرحل !

والمثل الثانى : كلينتون مرشح الحزب الديموقراطى لرئاسة الجمهورية كانت له علاقة بإحدى فتيات الكباريه . . واسمها جينفر . . والفتاة قدمت تسجيلاً صوتيّاً لمكالمات طويلة بينهما . . قال وقالت . . وهناك صور لهما . . وقد تلقت الفتاة مئات الألوف من الدولارات لكى تفضح الرجل حتى يسقط فى مشواره إلى البيت الأبيض . والمجتمع الأمريكى فى أعماقه متدين ويؤمن بالفضيلة ويؤمن بالأسرة . ولكن هذا الرجل وزوجته يقفان معًا ليقولا إن الذى حدث كان نزوة ولكنه متمسك بزوجته وأولاده . . وعينه تندب فيها رصاصة !

فبالله أين ذهب الحياء . . أين ذهبت القدوة . . ما الذى يمكن أن يقدمه رجل ضحكت عليه بنت لا هى هنا ولا هى هناك . . ماذا يفعل أمام مغريات أخرى لا أول لها ولا آخر . . كيف يوهم الناس أنه مخلص لزوجته هذه التى تعانقه وترقص معه أمام الناس . .

سألوه : ما رأيك ؟

قال : ولا حاجة . . إنها حكاية لا تستحق كل هذه الضجة !

ولكنها حكاية حصلت . والرجل لا يزال فى موقعه يلهث ناحية البيت الأبيض . . والرجل الإنجليزى قابع فى مقعده

ويجرجر زوجته وأولاده فى كل مكان ليؤكد أنه قوى وأنه لا يعبأ بما حدث . . .

ولكن الناس ينتظرون منهما أن يحترم كل واحد نفسه ويلم أوراقه ويرحل إلى أى مكان آخر . . ولكن الرجلين باقيان لأنهما لا يستحيان !

أما الحادثة الثالثة فهى عن واحدة كانت تعمل سكرتيرة للرئيس بوش أيام كان سفيرًا لبلاده فى الصين وبعد ذلك عندما أصبح رئيسًا للمخابرات ثم نائبًا لرئيس البروتوكول فى الخارجية الأمريكية .

ولما نشرت الصحف هذه القصة القديمة سألوا سفير أمريكا فى سويسرا عن حقيقة زيارة بوشٍ ومعه هذه السكرتيرة عندما كان نائبًا للرئيس . فقال السفير : فعلاً جاء الاثنان معًا . . وناما فى غرفتين متجاورتين . ولم يكن يعلم أنهما عاشقان . .

وأنكر الرئيس بوش هذه العلاقة العاطفية . .

وأنكرت السيدة جينفر أية علاقة غير عادية مع الرئيس . . قالت : ولا دخلت غرفته ولا دخل غرفتى . وتقسم على ذلك . .

وطلبت إليها وزارة الخارجية أن تسافر إلى أمريكا اللاتينية وألا تعود إلا بعد نهاية الانتخابات فى نوفمبر القادم . وأعلن الرئيس بوش : أن الخصوم قد فبركوا هذه القصة الكاذبة . .

وتذكر الأمريكان أن للرئيس أيزنهاورٍ سائقة أثناء الحرب العالمية الثانية . وكانت السائقة ضابطاً بريطانيّاً . وأنه فكر فى الزواج منها . ولكن أصدقاءه نصحوه ألا يفعل . .

وقد شعر الرئيس بوش بالخجل وشعرت جينفر بالخجل أيضًا . . ولكن زوجة المرشح الديموقراطى لم تخجل وقالت : إذا كانت صديقة زوجى اسمها جينفر بالجيم الثقيلة فإن عشيقة بوش جنيفر بالجيم الخفيفة . . وعندنا قصص أخرى . .

ويقول مساعد بوش : بل نحن لدينا أيضًا حكايات عن زوجة المرشح الديموقراطى كلينتون . . ومن الممكن نشرها بالصور إذا لم تسكت !

وسكتت زوجة المرشح الديموقراطى . .

قرف ؟! طبعًا قرف وقلة أدب . . ولكنها الانتخابات الرئاسية فى أمريكا ! .



سيارة تمشي إلى الوراء من مصر إلى الكونغو ؟!

أنا أول كاتب يدور حول الكرة الأرضية وحده فى ٢٢٨ يومًا . . خرجت من القاهرة إلى الهند إلى التبت إلى كمبوديا وفيتنام ولاوس وسنغافورة وأندونيسيا وسيريلانكا واستراليا والفلبين وهونج كونج واليابان وهاواى وأمريكا وأوروبا . . وعندما وصلت إلى مطار القاهرة كان الناس يتفرجون علىَّ . . فقد كانت أخبار اليوم تنشر مقالاتى فى ركن (أخبار الأدب) ومجلة (الجيل) ومجلة (آخر ساعة) ومجلة (أخبار اليوم) وجريدة الأخبار . . فقد كان العالم العربى يعرف أين أنا كل يوم . . وكانت أخبار اليوم ترسم خريطة لتحركاتى . . والناس يندهشون كيف أن أحدًا غير ابن بطوطة وماركو بولو يدور حول العالم هكذا . . بل أن المشير عبد الحكيم عامر قال لأستاذنا مصطفى أمين : أنا مستعد أتنازل عن كل ما أملك وكل وظائفى وأقوم برحلة كالتى قام بها أنيس منصور !

وقد اندهش رجل الجمرك فى مطار القاهرة عندما سألنى إن كانت معى حقائب . . فلم يجد إلا التى فى يدى . والتى فى يدى بها ماكينة حلاقة وفرشاة وبعض الصحف فقط . . أما ملابسى فكنت أرميها أولاً بأول وأشترى غيرها . . وأما الكتب فقد كنت أبعث بها بالباخرة إلى القاهرة . وتذكرت الكاتب الساخر أوسكار وايلد عندما وصل ميناء نيويورك وسألوه إن كان معه شىء ممنوع فقال : نعم . عبقريتى !

ولم يكن فى نيتى أن أعود إلى مصر بعد نهاية الرحلة مباشرة . فقد ذهبت إلى الريفييرا الإيطالية واخترت مدينة جميلة اسمها (بورتوفينو) التى جاءت فى أغنية داليدا المصرية الإيطالية : وجدت حبى فى بورتوفينو . .

وفى إحدى الليالى وأنا متمدد على الرمل على الشاطئ بملابسى الثقيلة وكل شيء حولى شاعرى جميل جاء من يقول لى : تليفون من القاهرة .

وأصبت بذهول . فلا أحد يعرف مكانى . وكل الذى خطر على بالى هو أن أمى ماتت . . وبكيت قبل أن أمسك سماعة التليفون . وكان المتحدث هو أستاذنا المرحوم على أمين : يا أنيس . . زملاؤك اختاروك رئيسًا لتحرير مجلة (الجيل) . . ارجع حالاً . . ولا تحاول أن تقول إنك مش سامع باقول إيه !!

وكانت غلطتى أننى أخبرت مستشارنا الثقافى فى روما صلاح يوسف كامل بمكانى وسأله على أمين فعرف مكانى . . وحمدت الله أن أمى بخير . . وتضايقت من نهاية إجازتى بهذه السرعة . .

وعدت لأقرأ أعظم مقال كتبه مصطفى أمين عنى وهو يهنئنى برئاسة تحرير مجلة الجيل ويختم مقاله : اعرف ونحن معك . . فأنت الآن تجلس على أكبر خازوق فى مصر !

ولم تمض أيام حتى سألنى على أمين : تسافر الكونغو ؟

قلت : فورًا !

وكانت رحلة قصيرة شاقة . . فالرحلة استغرقت ثلاثة أيام . . ركبت فيها طائرة حربية أمريكية مع القوات التابعة للأمم المتحدة

بقيادة اللواء الشاذلى . . ولم تكد الطائرة تصل إلى أسيوط حتى عادت إلى القاهرة ، فقد ارتفعت درجة الحرارة فى داخلها لدرجة أخافت الطيار على الديناميت الذى يحمله المصريون . . وأصلحوا جهاز التكييف لتعود مرة أخرى إلى القاهرة فقد فسد الجهاز فانخفضت درجة الحرارة لدرجة أن الطيار خاف على القوات المصرية أن تتجمد من البرد . .

وكانت هذه المرة الأولى فى التاريخ التى أسافر فى سيارة جيب من القاهرة إلى الكونغو لأصلها بعد أربع ساعات - علمًا بأن السيارة كانت تمشى بظهرها عبر الأراضى المصرية والسودانية والأوغندية ؟!

تفسير هذا اللغز : هو أننى كنت أركب سيارة جيب فى داخل الطائرة . وكانت السيارة قد اتجهت بمقدمتها إلى مؤخرة الطائرة !!

المدارس يجب أن تعلّمنا فنون السياحة !

أين يبدأ الطريق إلى مصر ؟

يبدأ الطريق إلى مصر من السفارة المصرية فى أى بلد .. أو من مكتب مصر للطيران .. أو مكتب مصر السياحى .. من هذه الأماكن يرى السائح مصر .. يرى النظام والنظافة وحسن الاستقبال .. ويرى إن كان المصريون جادين .. وإن كان ما سيلقاه فى هذه المكاتب هو بالضبط ما سوف يلقاه فى مصر ..

ولذلك فمكاتبنا فى الخارج يجب أن تكون نموذجًا رفيعًا لما سوف يراه السائح فى بلادنا . وأى إهمال أو إستخفاف سوف يصدمه .. وبعملية حسابية بسيطة يقول : إذا كان المصريون يفعلون ذلك فى بلادنا ، فماذا سوف يفعلون فى بلادهم ؟

ولذلك يجب أن نضع أحسن الناس فى هذه المكاتب .. وتكون هذه المكاتب جذابة . لا كذابة .. وهذا الانطباع الذى يتركه هذا المكتب على عينى السائح وأذنه هو الذى سوف يبقى معه حتى يدخل مصر .

وفى مطار القاهرة المزدحم بأشكال وألوان من الناس سوف تكون الصورة الثانية .. هل هناك نظام .. نظافة .. حفاوة بالسائح .. عدم إضاعة وقته .. وعدم استغلاله أيضًا .. وهل مندوبو شركات السياحة ينتظرون السائح ومعهم المعلومات الضرورية .. جدول الانتقال .. ورقم الغرفة .. وبيان لكل تحركات

السائح فى القاهرة وخارجها . . فإذا ذهب إلى الفندق ، فالطريق إلى الفندق هو أكبر معرض حى لمصر . . الناس أشكالهم وألوانهم وملابسهم واحترامهم لإشارات المرور . . والعربات والضوضاء والتراب والهباب والنظافة . . ثم الفندق وكم من الوقت يلطعونهم فى انتظار الغرف حتى يخرج منها النزلاء السابقون . . وكم من الوقت يستغرق ذلك ويتم استدعاؤهم إلى غرفهم . . وهل هى نظيفة منظمة مكيفة . . وهل حنفيات المياه صدئة . . لقد رأينا فيلم (حول العالم فى ٨٠ يومًا) . . ورأينا بطل الفيلم هنا فى القاهرة الحديثة . . وفى أحد فنادق الدرجة الثالثة . . الحنفيات تخر . . والسيفون لا يعمل . . والضوضاء والسرير ممزق البياضات . . أما الصورة السيئة فهى تجعل السائح الأوروبى لا يجىء إلى مصر .

كما عرض التليفزيون الألمانى فى العام الماضى فيلمًا موثقًا عن (الزواج فى مصر) . . الفيلم أسوأ صورة من الممكن أن يراها الإنسان عن بلادنا . . المصور والمخرج قد أقاما فى إحدى القرى والتقطا صور المياه الراكدة والفلاحات والبيوت وعادات الزواج والطلاق ودفن الموتى . . إن الصور كلها صحيحة ولكنها مؤلمة لأن الفيلم لا يعرض صورًا أخرى جميلة لمصر . . ومن الممكن أن يؤدى هذا الفيلم إلى الهروب من مصر . . الهروب من مكاتبها قبل زيارتها !

ولكن مهرجان (الأستا) الذى كان فى القاهرة أخيرًا ويضم ستة آلاف مندوب لشركات السياحة فقد رأوا الجمال والجلال فى بلادنا . . ورأوا كفاح الشعب المصرى من أجل أن يكون أفضل . .

فمصر لا تزال تعيش فى عصر ما بعد الحروب . . الأوروبيون والأمريكان يعرفون حال الشعوب بعد الحروب .

ولكن السائح مع احترامه لمشاعرنا ليس عنده استعداد أن يضيع فلوسه علينا . . إنه يريد أن يفرفش . . وأن يضيف جديدًا إلى معلوماته . . وأن يحكى أجمل ما حدث له . . وأن يكون داعية لمصر وأن يعود إلينا ومعه مزيد من الأصدقاء .

ولذلك فمعاملة السائح . . حسن معاملة السائح يجب أن نتعلمها فى المدارس وفى البيوت . . فالسياحة هى الدخل القومى الثانى . ومن الممكن أن يكون الأول إذا تعلمنا علم السياحة وفن السياحة . . أى أصول السياحة وفن التعامل مع السائح ، من أجل أن نحتفظ به صديقًا لمصر !

الجنس اللطيف

أكذوبة اخترعناها ؟

نحن الذين ضحكنا على المرأة وقلنا إنها : الجنس اللطيف . وأرضينا غرورنا بأن وصفنا أنفسنا بالجنس العنيف . .

المصيبة أننا صدقنا هذه الأكذوبة - فالمرأة ليست لطيفة ولا شىء يدل على ذلك .

فهى أقدر على تحمل الآلام من الرجل . . الولادة مثلاً . . شىء فظيع . . ومؤلم جداً .

والمرأة تقوم من الولادة وتقسم ألا تعود إليها مرة أخرى . . ثم تعود مرة وعشرين مرة . . ولو استطاعت المرأة لظلت تلد بلا توقف!

وأكثر الأمراض التى يصاب بها الرجل لا تصاب بها المرأة . كل أمراض القلب لا تصاب بها المرأة دون الخمسين . لسبب بسيط جداً . . وهو أن المرض الشهرى للمرأة يجعلها تنزف دمًا كثيرًا . ونزيف الدم هو أعظم صحة . . لأنه يخلص المرأة من كثير من عنصر الحديد الموجود فى الدم والذى هو أحد أسباب أزمات القلب والذبحة . .

ولذلك يطلب الأطباء من الرجال أن يتبرعوا بالدم . . أى يستغنوا عن الحديد الزائد فى دم الرجل - تمامًا كما تفعل المرأة كل شهر !

ثم إن المرأة أطول عمرًا من الرجل . . هات صفحة الوفيات فى جميع الصحف . . وهات ورقة وقلما واحسب كم عدد الموتى من الرجال وعددهم من النساء . . إن أيامًا تمضى دون أن تجد امرأة واحدة قد ماتت !

وليس صحيحًا أن قلب المرأة ضعيف وأنها رقيقة . لا تستطيع أن ترى منظر الدم . إنها تعمل ممرضة . . وهى وظيفة شاقة ومؤلمة . . وهى تسمع صرخات الموتى وترى جثثهم كل يوم ثم تقفل الباب على نفسها لتأكل بلذة وهى تستمع إلى أغنية أم كلثوم افرح يا قلبى !

ومن الحوادث الغريبة أن امرأة أمريكية فازت فى إحدى الجوائز . ولكنها طلبت جائزة أخرى وهى أن ترى رجلاً ، أى رجل وهو يموت على الكرسى الكهربى . . فلما قالوا لها : مستحيل قانونًا !

قالت : أريد أن أرى رجلاً يغرق . .

قالوا لها : ولا هذا .

قالت : إذن أريد كمية من الديناميت أنسف بها أحد الكبارى القديمة !

أستاذنا العقاد وهو أعدى أعداء المرأة قال : إن المرأة تبكى طول عمرها ولأتفه الأسباب . . ولكن الرجال هم أقدر الناس على نظم شعر البكاء والرثاء . .

وقال : إن أعظم من يصمم أزياء المرأة هم الرجال . . وأعظم أطباء الولادة هم الرجال . . وأعظم الطباخين من الرجال . .

والمرأة لم تتقن أى عمل ولا تفوقت فى أية مهنة . . حتى الدموع التى برعت فيها من الممكن أن ينافسها الرجل إذا وضع فى عينيه عصير البصل أو الجليسرين . .

وهناك بعض الحيوانات يقوم فيها الذكور بحضانة الصغار وتربيتهم . . وليست أنثى هذا الحيوان !

والرجل من الممكن أن يقتله الحب . . ولم نسمع عن امرأة ماتت من الحب . . والرجل من الممكن أن يحزن فيطق ويموت . . ولكن المرأة لا يحدث لها شىء من ذلك . .

فالمرأة عندها قدرة فائقة على امتصاص الألم . . أما الرجل فلا يقوى على ذلك . إنه يسكت حتى يسقط ميتًا !

والمرأة هى التى اخترعت لطم الخدود والرقص عند الجنازة . وهذه الحركات اليدوية والعصبية هي التى تخفف وقع الألم عليها . . وتعيش بعده سنوات ، وكأن شيئاً لم يحدث !

ناموا جميعا واخترعوا !

لابد أنك تنظر إلى المخترعين والمكتشفين بشيء من الإعجاب أو الحسد . كيف يستطيع هؤلاء الناس أن يعرفوا كل الذين عرفوا ، وكيف غيروا الدنيا . . ماذا يأكلون ماذا يشربون كيف ينامون أو هل كانت لهم حياة عادية مثل بقية خلق الله .

فإن لم تكن تريد أن تكون أنت شخصًا مخترعًا ، فما الذى يمكنك أن تفعله لكى يكون ابنك مخترعًا ؟

هناك علم اسمه (هوريتسكس) - أى علم مبادئ الإبداع . . واسم هذا العلم مأخوذ من الكلمة اليونانية (أويركا) ومعناها . . وهى الكلمة التى قالها العالم اليونانى أرشميدس . . عندما كان فى البانيو يستحم ثم خرج عريانًا ملطًا يجرى فى شوارع أثينا يقول : وجدتها . . وجدتها !

أما الذى وجده فهو أنه كان يريد أن يعرف كيف يحسب حجم الإنسان . فوجد الإجابة عن هذا السؤال . فهو عندما ألقى بنفسه فى البانيو المليان بالماء ، طفحت من البانيو كمية من الماء تساوى بالضبط جسم الإنسان . . هذا هو الذى وجده العالم اليونانى .

أما مبادئ علم الاختراع . . أو الأسباب التى تجعل الإنسان مخترعًا فهى :

١ - اقعد فى البيت . فهذا هو المكان الذى تنظر منه إلى العالم الخارجى بهدوء وتأمل . . أى تتأمل الماء فى البانيو . . أو

النجوم فى السماء . . فلولا أن أرشميدس قعد فى البيت يستحم ما اكتشف هذا القانون . . ولولا أن كارل ماركس قعد فى البيت طويلاً وجعل المكتبة البريطانية بيتًا ما عرف القوانين التى شقلبت الحياة الإنسانية وخربت الدنيا حتى جاء من يلقى به فى النار وكتبه . . جاء شيوعى جدًا اسمه جورباتشوف هدم الماركسية والاشتراكية والجمهوريات السوفيتية . .

والرجل الإنجليزى الذى اخترع الكاوتش اسمه دنلوب كان يحاول اصلاح لعبة واحد من أطفاله .

٢ – حاول أن تكسر الأدوات الموجودة فى البيت ، فى غياب زوجتك طبعًا . أو أمام عينيها إذا أردت أن تعطيها حق الطلاق . . .فتأتى لك بالجيران لكى يشهدوا معها أنك رجل مجنون . . ولا يهمك فالكثيرون من المخترعين اتهمتهم زوجاتهم بالجنون . . زوجة سقراط وزوجة كارل ماركس وزوجة فرويد وزوجة الفيلسوف الاجتماعى أوجيست كونت . .

فالرجل الذى اكتشف المادة اللاصقة للزجاج إذا تهشم فإنه يظل متماسكًا اسمه بندكتوس . . فهذا الرجل أسقط زجاجة نبيذ على الأرض . لاحظ أنها تهشمت كلها ولكن ظل الزجاج متماسكًا . هنا اكتشف مادة اسمها كولوديون هى التى طورها حتى أصبح زجاج السيارة يتهشم ولكن لا يتناثر فى عيون الناس .

٣ – خذ راحتك على الآخر فى البيت أيضًا . . فالسيدة التى اخترعت السوتيان والكورسيه قد لاحظت أنها إذا تركت نفسها دون رياضة فإنها سوف تترهل . . ولكن لأنها كانت كسلانة وعلى

راحتها تمامًا فى البيت ، فقامت وشدت نهديها وردفيها بحزام متين . . واعتادت على ذلك ولأنها تريد أن تبدو أرشق وأكثر شبابًا شدت صدرها وردفيها . .

والرجل الذى اخترع الكعب العالى لجزم الرجال كان قصير القامة . ولكن الرجل الأعقل والأذكى هو الذى جعل كعب المرأة أطول ومدببًا لكى تتمايل من فوقه . . إن هذا الرجل هو أعظم مخترع فى الدنيا . فلو انكسر ظهر المرأة بسبب الكعب فإنها لن تتنازل عن السنتمترات التى تجعلها تعلو وتطول ويهزها لكى تبرز معالمها الأنثوية .

هذا الرجل يجب أن يستريح ضميره تمامًا ، فقد اخترع للمرأة شيئًا يجعلها تمشى تترقص . . وفى نفس الوقت حطم ساقيها وعمودها الفقرى ، ولكنها لم تفتح فمها بكلمة احتجاج إلا بعد الخمسين والستين عندما تصاب بكل أوجاع العظام!

٤ - حاول أن تجرب أى شىء . . سوف يكون شيئًا جديدًا . . ففى إحدى المعارك لم يجد نابليون طعامًا طازجًا كثيرًا . فأتوا له بأربع بيضات ودجاجة وحبة طماطم . . ثم طبخوها معًا وشيئًا من الملح فكان هذا هو الطبق الفرنسى المشهور (مارنجو الدجاج) . . ولم يكن عن قصد اختراع هذا الطبق وإنما هى محاولة نجحت ولا تزال .

وأثناء حصار النابليون لمدينة عكا حطمت المدافع كل (الشيش) التى يستخدمها الأتراك فى هذه القلعة . ولكن بعض الجنود (الخرفانين) وجد الحل الوحيد الذكى . . لقد جعل

الطباق فى ورق ولفه بيديه ووضعه فى فمه . . فكانت السيجارة . وأصبحت السيجارة أهم وأسهل من الشيشة والجوزة !

حاول وأنت فى البيت ملقى على ظهرك تنظر من النافذة إلى السماء . . كلهم فعلوا مثلك واخترعوا كل شىء من الإبرة إلى الصاروخ !

لأسباب تافهة تشتعل الحروب!

نحن نعرف جميعًا أن (عود كبريت) من الممكن أن يحرق الملايين . . يحدث هذا فى مصر فى نهاية السنة المالية أو عند نهايتها والفاعل يكون مجهولاً . . ولكننا نعرف السبب . . فهو إما أن يلقى بعود كبريت على أوراق مبللة بالجاز . . أو يحدث شرارة كهربية تحرق الدنيا !

ويحدث هذا أيضًا فى المحاكم عندما يجىء ابن الحلال ويريد أن يخفى ملفات قضية من القضايا ويكون قد قبض بضعة ألوف من أجل تبديد معالمها !

والروس كانوا يفعلون ذلك فى كل الحروب خاصة فى الحربين العالمية الأولى والثانية . . يحرقون المزارع والقرى لتكون الحرائق منطقة عازلة بينهم وبين القوات المعادية . . وأستاذ الحرائق جميعًا كان شمشون الجبار . . الذى كان يستخدم أسلوبًا أبشع من ذلك فى مدينة غزة ضد أعدائه . . كان يأتى بالقطط ويشعل فيها النار ويلقى بها فى حقول القمح !

وكما أن الخناقات بين الأفراد قد تحدث لأسباب تافهة ، فبين الدول أيضًا . فالحرب السبعينية (١٨٧٠) بين بروسيا وفرنسا قامت بسبب بسيط جدًا . فالألمان يريدون أن يحاربوا الفرنسيين وهم يبحثون عن سبب لذلك . وأخيرًا جاء السبب . فقد طلب

السفير الفرنسى لقاء الامبراطور الألمانى . فلطعوا السفير ساعتين حتى يخرج الامبراطور من الحمام . نشرت الصحف الألمانية ذلك ، فأعلنت فرنسا الحرب !

وفى يوم من الأيام قامت الحروب الدينية بين المسلمين والمسيحيين واستمرت مئات السنين - الحروب الصليبية - ولم تنتصر مصر على القوات الفرنسية إلا فى معركة عند (عزبة الورد) . . التى أطلق عليها اسم المنصورة ابتهاجًا بهذا النصر . وفى المنصورة أسرنا الملك الفرنسى لويس التاسع الذى أسموه القديس لويس . وذلك فى بيت القاضى ابن لقمان . وبيت ابن لقمان لم يلق ما يستحقه من التكريم الذى يليق به . . والبيت مغلق من خمس سنوات . . وقد اتفقت مع الوزير الفنان فاروق حسنى أن يفرج عن ابن لقمان ويجعل البيت مزارًا سياحيًا لائقًا بالنصر والقيمة التاريخية . . ولم تنته الحروب الصليبية حتى الآن!

والفيلسوف السياسى المعروف ميكيافلى يقول : إنه من السهل أن ندخل حربًا ومن الصعب أن نخرج منها . .

وهو الذى قال أيضًا : إن العالم لم يعرف فى خمسة آلاف سنة إلا ١١٥ سنة من السلام فقط !

وأطول الحروب هى الحروب الدينية . . بين أبناء الدين الواحد أو الأديان المختلفة . . وفى أوروبا لم تسكن الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت ولا تزال الحرب مشتعلة فى أيرلندا . . والحروب الدينية موجودة فى الهند . . والحروب بين أبناء الدين الواحد موجودة فى الخليج بين السُنة فى الدول العربية والشيعة فى إيران؟

وكانت للسيد المسيح عليه السلام فلسفة بسيطة فى تهدئة الناس . . كان يبدأ بأن يجلس الجميع معًا إلى طعام . وعلى الطعام يدور الكلام . . يكون الناس أهدأ وأكثر استعدادًا للتفاهم . .

وفى العصر الحديث وجدوا أن (اللعب) هو الذى يقوم بتهدئة الخواطر . . ويجعل التوتر إلى أدنى درجة . . ولقد لعب الإنجليز والألمان فى المنطقة المنزوعة السلاح فى الحرب العالمية الأولى فى ليلة الكريسماس سنة ١٩١٦ .

وفى سنة ١٩٤٤ كان الألمان يتدربون على لعبة غريبة . . عرفناها فيما بعد أنهم كانوا يتدربون على مواجهة أى عدوان مفاجئ يقوم به الأمريكان . ويقول الألمان بعد ذلك إن اللعب كان أمرًا جادًا ولما عرفوا السبب تضايقوا - فقد كانوا مغفلين (إلى هذه الدرجة !) .

وعندما حاول الرئيس نيكسون أن يصلح ما بين أمريكا والصين بعث بفريق يلعب البنج بنج من الصين - والصين هى سيدة العالم فى هذه اللعبة . . وقد رأى الصينيون أن الأمريكان بشر مثلهم . . وأن هناك شعبين فى أمريكا : شعب يلعب وشعب يحارب . .

والشعوب العسكرية لديها ألعاب من نوع خاص . وترى فى اللعب استمرارًا للروح القتالية . . اليابانيون يقولون أنهم انتصروا على الروس سنة ١٩٠٤ بسبب تدريباتهم الطويلة فى ألعابهم العسكرية . .

ولو تنبه الجنود إلى مهزلة الحروب ما دخلوها . . فالجنود يموتون من العطش والجوع والمرض ، والقادة فى غرفهم المكيفة يضعون النياشين على صدورهم . .

أول إنسان كان ضد الحروب فى التاريخ هو عوليس بطل (الإلياذة) فلما طلبوا إليه أن يحارب ادعى الجنون وراح يحرث فى البحر وينشر الملح بدلاً من القمح !

* * *

وما دام فى الدنيا جشع وما دامت الشعوب تنسى بسرعة ، فسوف تنتقل من حرب إلى حرب . . حتى فناء الإنسانية !

تزوجها أكبر تكسب !

عادى جداً أن يتزوج الإنسان واحدة أصغر منه فى السن وأقصر منه وأفقر منه وأقل تعليمًا . أى أنه يريد أن يكون أطول وأكبر وأغنى وأعلم . . والبنت تحب ذلك أيضًا . فإن كانت فى مثل طوله ارتدت حذاء بلا كعب حتى تبدو أقصر - مثل الأميرة ديانا التى هى أطول من الأمير تشارلز !

ولكن الفيلسوف الأمريكى بنيامين فرانكلين له وجهة نظر أخرى . . وهو رجل أعقل وأحكم . . إنه ينصح بأن يتزوج الرجل امرأة أكبر منه فى السن . وهو لا يذكر كم سنة . . ولكن المرأة التى هى أكبر منك تتضايق جداً إذا أحد ذكرها بذلك . ولكن أكثر الرجال لا يهمهم . . وأحيانًا يسعدهم . على كل حال فإن الفيلسوف الأمريكى بنيامين فرانكلين يلح فى زواجك من واحدة أكبر منك لثمانية أسباب :

١ - أنها سوف تكون أكثر معرفة بالدنيا . وأكثر تجربة . ولها ملاحظات على الناس . والحديث معها ممتع . وهى تعلم أن هذا هو أحد أسباب الزواج منها .

٢ - عندما لا تكون المرأة جميلة أو رشيقة ، فإنها تحاول أن تكون مفيدة نافعة . . وتحرص على أن تحقق مئات الخدمات . وهى التى تكون أكثر حنانًا ورقة . وهى التى تجلس إلى سريرك وأنت مريض . وتكون أحسن عشرات المرات من الأطباء فى التفانى والسهر عليك . .

٣ - وسوف لا يكون هناك مشاكل للأطفال وما تحدثه الأطفال من ارتباك فى الحياة الزوجية وعدم توازن فى العلاقات والارتباطات والنفقات .

٤ - وإذا أنت غلطت . . وارتكبت حماقة خارج البيت ، فسرعان ما يجد لك الناس عذرًا . يقولون : معذور إنه تزوج سيدة أكبر منه . . وهى سوف تجد لك العذر وفى نفس الوقت سوف تسامح وتصلح ما فسد بينكما . وعندها من العقل والتجارب ما يجعلها تنسى بسرعة !

٥ - لا تنس أن كل الحيوانات تمشى مستقيمة فتصيبها الشيخوخة من فوق لتحت . . فالوجه يكرمش ثم الرقبة ثم الصدر ولكن كل النساء تحت الحزام سواء . بل من الصعب أن تفرق بين سيدتين واحدة صغيرة وواحدة كبيرة إذا أخفتا وجهيهما . . فإن السيقان تظل سليمة جميلة إلى سنوات متأخرة جداً من العمر . . وعلى ذلك فسوف تظل المتعة الجسدية بين الرجال والنساء إلى سنوات متأخرة من العمر . . والمثل يقول : كل الأبقار فى الظلام سوداء ؟!

٦ - الزواج من واحدة كانت زوجة قبل ذلك أو كانت أرملة فإنها لا يمكن أن تنسى عذاب الليلة الأولى والأثر السيئ الذى تتركه أحيانًا !

٧ - ليس أسهل من أن تجعل فتاة صغيرة تعيسة . . وليس أصعب من أن تجعل سيدة كبيرة تعيسة . . بل ليس أسهل من إسعادها . .

٨ - أهم من كل ذلك أنها سوف تكون شديدة الامتنان لك . . فأنت فضلتها على كل الصغيرات . . وأنت لا تزال تعطى وبحرارة هى محرومة منها . أما الصغيرة فهى ترى أن الذى تعطيه « عادى » وليست له ميزة . . فأنت مثل كل الشبان . . لا أكثر ولا أقل - وربما أقل . . عادة ترى المرأة الصغيرة أنك أقل ! رغم أنها لا تعرف ما الذى يفعله الآخرون مع زوجاتهم . . ولكن شعور المرأة الصغيرة بأنها مظلومة وبأنها أحسن الناس وزوجها أسوأ الناس ؛ هى إحدى البديهيات المتوارثة عند المرأة .

يقول الفيلسوف الأمريكى : ابعد عن الصغيرات تكسب !

وقبل وفاته أضاف أشياء أخرى :

أولاً : إذا مت أنت فلن تتزوج من بعدك . لأنها ترى أنك كنت كريمًا معها فى حياتك ، فلن تهينك بعد موتك .

ثانيًا : لن تكون أرملتك مطمعًا لأحد من بعدك . . لا من إخوتك ولا من أولاد عمك . . بل إنها سوف تكون حارسًا لذكراك بين الناس . فهى تقوم بدور الزوجة والأم معًا . فالذى يتزوج امرأة أكبر سناً فقد اختار الزوجة والعشيقة والأم فى نفس الوقت . . وهى تكون قد اختارت الزوج والعشيق والابن معًا .

ثالثًا : ليس صحيحًا ما يقال من أن الصغيرة تنعش الإنسان جسميّاً ونفسيّاً . بل هى مرهقة له . ولكن التى ترعاك نفسيّاً وصحيّاً والحريصة على راحتك واعتدال مزاجك هى الأكبر سنّاً . .

الدوسة والحوسة

رأيتهم فى الهند وفى جزيرة سيرى لانكا يمشون على النار الوالعة . . وبعد أن يمشوا على أقل من مهلهم يعرضون علينا أقدامهم فلا نجد أثرًا للنار فيها . فكيف؟! لا إجابة عند أحد . .

ورأيتهم أيضًا يأتون بعود من الحديد الساخن ويضعونه فى جانب من الوجه لينفذ من الجانب الآخر . . يظهر دخان وتشم رائحة الجلد المحروق وبعد ذلك لا ترى أثرًا لهذا الاحتراق فى الوجه . كيف ؟! لا إجابة عند أحد . .

ورأيتهم ينامون على المسامير ويجىء رجل بكرش يزن ١٥٠ كيلو جرامًا لكى يمشى فوق هذا النائم على المسامير . . ولا يدخل مسمار واحد فى جلد هذا الرجل النائم . . ولا حتى نقطة دم . كيف؟! لا إجابة عند أحد . . أو أن هناك إجابات لا معنى لها مثل : إن هذا النائم يقول لنفسه بشكل قوى : لن أتأثر بالمسامير . . لن أتأثر بالنار . . وهذا الذى يقوله لنفسه يكون له فعل السحر . . أو يكون قوة هائلة تضاف إلى قوته العضلية ، تجعل المسمار لا ينفذ والنار لا تحرق .

ويقولون أيضًا : لو كان إنسان قال لنفسه . لن أمرض . لن أتعب . لن أتوجع . . فإنه من المؤكد لن يتوجع ولن يتعذب . فالألم إرادة ، والعذاب إرادة ، والسعادة إرادة ، والصحة والعافية إرادة الإنسان . . وكذلك المرض إرادة .

ولابد أن هذا المعنى وراء تلك الصورة القبيحة جداً لما فعله الدراويش فى مصر فى القرن الماضى . .

كان ذلك يحدث فى ليلة المولد النبوى من كل سنة . . وكان ذلك أمام بيت الشيخ محمد البكرى نقيب الأشراف . كان يحدث . وكان الشيخ لا يطيقه . وكان يرى فى ذلك شيئًا حقيرًا مهينًا لآدمية الإنسان .

الشيء الحقير اسمه (الدوسة) . . والدوسة هى أن عشرين شخصًا ينامون على الأرض على بطونهم مرصوصين تمامًا . . هؤلاء الناس اسمهم الدراويش . . ويجيء نقيب الأشراف يمشى فوقهم . . يدوسهم لا برجليه ولكن راكبًا حصانه . . أى هو يركب الحصان ثم يدفعون الحصان ليمشى فوقهم . . والحصان يتردد أول الأمر . . ثم يدفعونه من الخلف ويسحبونه من الأمام . حتى يمشى الحصان فوقهم . وهؤلاء الناس يبتهلون ويصرخون . بعضهم يكون الحصان قد مزق ظهورهم وأسال دماءهم . . والذين داسهم الحصان يجرون وراء النقيب وهم يبتهلون ويصرخون . . وآخرون لا يقومون من الأرض فقد ماتوا . ونقلوهم سرّاً ودفنوهم . .

ويقال فى كتب التاريخ إن أحد مشايخ الطرق الصوفية قد رفض هذا العمل الوحشى اللا إنسانى ولكن الدراويش أصروا على ذلك . . وإلا كان ذلك احتقارًا لشأنهم أو شكاً فى قدرتهم على الموت فى سبيله . . ولذلك كان يدوسهم مضطرًا والنتيجة معروفة .

ولكن قبل ليلة المولد ، فإن هؤلاء الدراويش يظلون يصلون ويذكرون الله . . ويقال يتعاطون المخدرات حتى إذا داسهم

الحصان والدراويش من بعده ماتوا دون أن يشعروا بشىء .

أما الذين يجرون وراء الحصان فهم الذين لم يدسهم الحصان أو لم يصبهم بأذى بالغ . .

وقد اختفت هذه (الدوسة) لأنها صورة من صور الهوان . . وليست من صور قدرة الإنسان على الاحتمال والصبر . . وليست نوعًا من ترويض الإرادة . . إرادة الصبر والمقاومة والانتصار على الألم . .

وكان الناس فى (الدوسة) ينامون على بطونهم . . ولكن بعض مجانين الدراويش كانوا ينامون على ظهورهم حتى إذا داسهم الحصان ماتوا فورًا . . وحتى لا يتأذى الناس بمنظر الدم أو المصارين فإنهم بسرعة يجرجرونه إلى أقرب مقبرة مع الصلاة والدعاء لهم بدخول الجنة!!

وفى العصور الوسطى فى أوروبا كان سيد الإقطاع إذا داس حصانه بطن أحد الفلاحين فاتسخت حوافر الحصان بدمه ، فرض على أهله تعويضًا ماديّاً لغسل حوافر الحصان؟!

ولا تزال عند الدراويش صور أخرى أقبح من ذلك . . مثل تفريغ الماء الذى كان يستحم فيه (الإمام) فى زجاجات ليشربها الناس كدواء لكل مرض . . أو مثل وزن الإمام بالذهب والفضة حسب احتياجاته كل سنة؟!

إن الذى نراه فى المولد النبوى وفى الموالد فى الريف ليست إلا صورة مخففة جدّاً من تلك الصور البدائية البشعة ، التى هى إهانة للدين وإساءة لصاحب الذكرى الكريمة!

هذه اللوحة أعجبتنى !

ذهبت أتفرج على معرض للفن الحديث . صاحب المعرض أعرفه . وأعرف المدرسة الفنية التى ينتسب إليها . وإن كنت لا أستطيع أن أشرح لك بالضبط ما معنى هذه المدرسة . والمفروض أنك تتفرج وأنت ساكت . لأن الفن ليس له معنى واضح عند كل الناس . ولكن له معنى . وهذا المعنى يعبر عنه كل فنان على النحو الذى يريد . .

مثلاً إذا وقفت أمام لوحة لا تعرف لها رأسًا من رجلين . ولا أول من آخر . . فالمفروض أنك لا تفتح فمك . . تفتح عينيك فقط . . وتهز رأسك بما يدل على أنك لم تنم وأنت واقف . . مثلاً . . مثلاً : لوحة مكتوب تحتها : الأبدية !

أما اللوحة فهى عبارة إذا صح فهمى لها : نصفها الأمامى رأس إنسان . . والنصف الثانى كعب حريمى . او بعبارة أخرى الدنيا جزمة : بوزها رجل وكعبها امرأة . . يعنى إيه ؟ يعنى أن الحياة الإنسانية على هذه الأرض رأس رجل يستقر على رأس امرأة . . وهذه الجزمة هى حذاء الحياة من قديم الزمن إلى آخر الزمن . موافق . ولكن ألا توجد صورة أخرى للتلازم بين المرأة والرجل غير الجزمة؟! لابد أن هناك صورًا أخرى . ولكن هذه هى الصورة التى يراها هذا الفنان . . فالمعرض ليس إلا مجموعة من تصوراته وفلسفته فى الحياة . وهو حر فى اختيار الشكل الذى يصب فيه

معانيه . وكان فى استطاعته أن يجعل الدنيا طاقية . . وأن يجعلها فوطة . وأن يقول إن الدنيا مثل فوطة الحمام كل يوم تتلف حول وسط واحد من الناس . أى أنها لا تدوم لأحد . فإن كانت لك اليوم ، فهى لغيرك غدًا . . وإن جففت هذه الفوطة (عرق العافية) اليوم . . فهى غدًا تجفف دموع الحزن عن واحد آخر . . وهكذا !

ومن الممكن لو خطر لك أن تزور هذا المعرض مرة أخرى فسوف تجد أن الفنان قد اختار صورتك أنت ليجعلها رمزًا لهذه الدنيا : أناس يرسمون ولا يفهمون ، وأناس يفهمون ولا يرسمون . . أناس عندهم شجاعة فى أن يؤكدوا أنهم لا يفهمون ، وأناس ليست لديهم الشجاعة فى أن يقولوا ذلك . . وأنت واحد منهم . وهذا واضح فى الصورة الجديدة التى رسمها الفنان وجعلك فيها على شكل ماركة هذه الجزمة الذى كتب تحتها كلمة : الأبدية !

سألنى الفنان : ما رأيك ؟

قلت له : شىء عجيب !

وابتهج الرجل لذلك . وفهمنى على أننى معجب بلوحاته وأسلوبه . ولم يسألنى عن العجب فى الذى رأيت . . هل هو فعلاً فن عجيب؟ أو هو زمان عجيب؟ . . أو هى جرأة عجيبة أن يعرض واحد مثله كل هذه (اللطع) اللونية والبقع الشمسية ويسميها عملاً فنياً . . أو أن العجب هو أن يرى الإنسان ما لا يحب ويسكت . . أو العجب ألا يتصور الفنان أنه ليس مفهومًا . . وأن الناس معجبون به دائمًا مهما فعل بهم . . المهم أن الفنان أسعده جداً أن أتفرج وأن أتوقف وأن أتأمل وأن تظهر الحيرة على وجهى . .

ولكثرة اللوحات البارزة واللوحات الفارغة . . ولأننى ذهبت وقد نسيت منظارى الطبى . . فلم أعد أفرق كثيرًا بين اللوحات والمتفرجين ولا بين المعلقات على الحائط ولا الأكواب الموضوعة على المناضد . . ولسوء حظى وقفت أمام لوحة أعجبتنى جداً فقد كانت ملونة بارزة لامعة . . وكدت أقول : هذه هى اللوحة . . وهذا هو الفن . . وأنا عاوز هذه اللوحة بالذات !

ولحسن الحظ لم أعرب عن رغبتى هذه ولكن عاجلنى أحد أصدقائى وهو يقول : سلامة الشوف يا أستاذ ! .

وهمس فى أذنى أن هذه اللوحة التى بهرتنى ليست إلا (عداد النور) وخرجت وأنا أقول : ولكنى رأيتها لوحة أعجبتنى . . كما أن الفنان نفسه رأى كل لوحاته أعمالاً فنية يجب أن نعجب بها جميعًا !



التاريخ يكتبه الرجل !

ألف ليلة وليلة أساسها أن ملكًا قرر أن يزور أخاه الملك . . ثم نسى شيئًا فى الطريق فعاد إلى القصر ليرى زوجته فى أحضان أحد الزنوج .

وسافر حزينًا إلى أخيه . . فوجد أن زوجة الأخ تفعل نفس الشىء وكذلك كل الرجال والنساء فى القصر !

وكانت هذه المساواة فى الفضيحة نوعًا من العدل الحزين .

وقرر الملكان أن يسافرا بعيدًا . . وفجأة وجدا عفريتًا يخرج من البحر ومعه صندوق ويفتح الصندوق فتخرج منه فتاة جميلة ثم ينام على رجلها . . وهذه الفتاة تنادى الأخوين وتقدم لهما عقدًا من الخواتم . . وتقول لهما إنها اعتادت أن تترك العفريت نائمًا وتلهو وتلعب . . وكل رجل تلهو معه تأخذ منه الخاتم . . إنهم ٥٠٠ رجل !

ومعنى ذلك أن المرأة تستطيع أن تخدع العفريت . . فكيف لا تخدع إنسانًا حتى لو كان ملكًا !

وعاد الملك شهريار وراح يقتل كل يوم امرأة يتزوجها .

هذه هى بداية ألف ليلة . البداية أن المرأة خانت زوجها الملك . . وأن المرأة تخون حتى العفريت !

وهذا كلام قديم عمره أكثر من ٥٠٠ سنة !

أما الجديد فإن مذكرات نشرت فى ألمانيا تقول أن (إيفا براون) عشيقة هتلر والتى تزوجته قبل أن ينتحر ، كان لها صديق . . وهذا الصديق من ضباط حرس هتلر . . وأن هتلر نفذ فيه حكم الإعدام ، لأنه طلب منها يوم حصار برلين أن تهرب بجلدها . . وأن من حقها أن تعيش !

ولم يذكر لنا التاريخ القديم لماذا خانت زوجة الملك شهريار ؟

ما الذى لا يعجبها فى حياة القصور ؟ ولماذا فضلت خادمها على الملك ؟ لا أحد يقول شيئًا ! لأن الذى يكتب التاريخ هم الرجال . ويكتبونه وينشرونه على مزاجهم . ومزاجهم أن المرأة خائنة ولا تستحق كل هذه الأبهة والفخامة التى صنعها الرجل لكى تعيش فيها .

أما المذكرات التى ظهرت فى ألمانيا فتقول أن السبب الحقيقى هو أن هتلر كان يكره العلاقات من أى نوع مع النساء . . ثم إنه كان مهملاً فى نفسه . . لا يستحم كثيرًا ولا يغسل أسنانه الصفراء بسبب شرب الشاى والتدخين . . تمامًا مثل عبقرى الموسيقى بيتهوفن : الذى لا يستحم إلا نادرًا . . ويأكل وينام على الزبالة فى غرفته . . ولا يطيق أن يشغله أى إنسان عن الإبداع . . ولا يجد عند المرأة شيئًا يلهم الإبداع . . وإنما هى عدو العبقرية وأنانية لا تفكر إلا فى نفسها .

فالرجال قد ظلموا المرأة . . واتهموها دون ذكر لحيثيات الحكم عليها قديمًا وحديثًا!



إن الرجل ظالم للمرأة ، وطبيعى بعد ذلك أن يتمرد المظلوم على ظالمه!

أما أستاذنا العظيم سقراط فإنه هاجم المرأة ، كما لم يفعل أحد فى التاريخ . وظل رأيه فى المرأة « زى الزفت » أكثر من عشرين قرنًا . بل إن سقراط كان يحب الشبان كرهًا فى زوجته وأولادهما . . وجعلنا نكره المرأة أيضًا . فهو قد روى عن زوجته أنها مثل السماء رعد وبرق وبعد ذلك مطر . . أما تفسير هذه العبارة الجميلة فهى أن زوجته كانت كل يوم تتشاجر معه ، لأنه لا يؤدى أى عمل . وليس عنده فلوس وأن تلامذته هم الذين يتصدقون على زوجته . . فكل يوم تتخانق معه ثم تأتى بالماء القذر وتلقى به فوق دماغه . . ولكن سقراط رد إلى زوجته هذا الماء القذر ألف مرة . . لها ولملايين النساء فى الألفى سنة الماضية . . فقد جعل المرأة رمزًا للغريزة . . فهى حيوان ، لا عقل لها . . وإنما هى تلد وترضع فقط . . ولا عقل ولا موهبة . وإنها تنصب المصايد للرجل حتى يقع فيها . فإذا وقع جعلته ينجب أولادًا بسرعة لكى تربطه بهذه الأولاد . . فالمرأة هى مصيدة الحياة لكى تستمر طفلاً بعد طفل .

ومن أعظم تلامذة سقراط الفيلسوف الألمانى شوبنهور الذى يحتقر المرأة . . ومن ألمع تلامذة شوبنهور أستاذنا العقاد الذى رأيه فى المرأة أسوأ من رأى سقراط وتوفيق الحكيم .

والسبب زوجة سقراط . . والسبب الأكبر هو سقراط نفسه . . كيف صور زوجته وجعلها بشعة . . وكل النساء من بعدها !

ولكن ابن إياس
ألــذ .. وأكذب !

من أحب الهـوايات أن أقـرأ الكتب القـديمـة . . لأرى كـيف كـانت الدنيـا . . ولأرى كـيف الناس فى ذلك الزمـان يرونهـا . . وكيف أن خيالهم جعلهم يخترعون قصصًا وحكايات يصدقونها . . مثلاً كتاب (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) للمؤرخ المصرى ابن إياس . .

حدثنا ابن إياس عن الملك الكامل ناصر الدين محـمـد ابن الملك العـادل أبى بكر بن أيوب . . يقـول ابن إياس إن فى زمن الملك جاء رجل من المغرب . الرجل حاوى مغربى . . وكـانت له علاقـة بالسحر فاستطاع أن يوهم أحد الأغنيـاء بوجود حديقـة ضخمة فخمة . وباعها له . ولما طلع النهار لا وجد الحديقة ولا وجد المغربى . وحاول الملك الكامل أن يعثر على هذا الحاوى فلم يجده !!

ويقـول ابن إياس : إن ملوك اليـمن قـد أهدوا الملك الكامل شمعدانًا من النحاس الأصفر . وهذا الشمعدان يتحرك ويخرج منه عند طلوع الفجر شخص من نحاس أيضًا لطيف طريف يخاطب الملك قائلاً : صبحك الله بالخير لقد طلع الفجر !

أو يطلق صفيرًا . .

وظل هذا الشمعدان فى حوزة مصر زمنًا طويلاً . .

أى أن اليمن سبقت فى صناعة الساعات اليابان - فاليابان لم تخترع مثل هذه الساعة حتى الآن !

ولكن ابن إياس يؤكد أن المؤرخين رأوا هذه الساعة أيضًا !

وأكثر من ذلك أن ابن إياس حكى لنا أن هذا الملك الكامل الذى كان لا يحسن النطق باللغة العربية كان يرتجل الشعر الموزون والمقفى في أى وقت . . وأن الشعراء كانوا يدخلون ويخرجون ويضربون كفاً بكف كيف أن الملك قد غلبهم جميعًا . . فلا يكاد الواحد منهم ينظم شطرة من بيت حتى يكمل الملك البيت والقصيدة . .

ويقال إن الملك الكامل أتى بالشعراء وقال لهم : أكملوا هذا البيت :

قد بلغ العشق منتهاه

فقالوا : وما درى العاشقون ما هو

قال الملك : وإنما غيرهم دخولى فيه فهاموا وتاهوا

قال الملك : ولى حبيب يرى هوانى

- وما تغيَّرت عن هواه

قال الملك : رياضة الخلق فى احتمالى

- روضة الحسن فى حلاه

قال الملك : أسمر لون القوام البض

- يعشقه كل من يراه

قال الملك : ريقته كلها مدام

- ختامها المسك من لماه

قال الملك : ليلته كلها رقاد

- وليلتى كلها انتباه !

وكان الشعراء يدخلون ويخرجون يترنحون من براعة الملك ومن كثرة الشراب والفلوس التى يلقيها عليهم . . ولابد أنه هو الآخر كان مخمورًا لا يفرق بين الذى يقوله الشعراء ويقوله شاعر آخر جلس وراء كرسى الملك ويقلد صوته . .

وابن إياس يحدثنا عن قاضى القضاه : الرجل العظيم العز بن عبد السلام وهو الذى قرر أن يبيع كل أمراء مصر وحكامها لأنهم من المماليك العبيد أى لم يعتقهم أحد . . وقرر العز بن عبد السلام أن العبيد لا يحكمون الأحرار . . ولذلك باعهم فى السوق جميعًا وأخذ ثمنهم لينفقه على فقراء المسلمين . .

قال ابن إياس عن قاضى القضاه إنه كان ينفخ فقط ، فإذا الهواء الذى يخرج من فمه له قوة العواصف . . وكان يهدم البيوت ويحطم الأشجار . . وأحيانًا نفخ فى القوات الصليبية فأطارها إلى البحر . . وكان الناس يصرخون من الرعب العظيم كان أكبرهم يصلى ليشكر الله على أنه جعله يعيش حتى يرى من المسلمين من يستطيع أن يفعل ذلك .

والمؤرخ المصرى ابن إياس كان يسجل كل الذى يسمعه دون أن يناقشه . . وهذا عيب فيه . ولكن عرفنا عن طريق ابن إياس كل خرافات وأساطير العصر الذى يسير على عقول الناس . وابن إياس

يختلف عن الجبرتى الذى سجل الحملة الفرنسية على مصر . فقد كـان يذهب إلى مـواقع الأحـداث ويسـجل الذى يراه بالضـبط ويقول : رأيت . . شاهدت . . وسمعت والعهدة على الذى قال . . ولكنى لا رأيت ولا شـاهدت . . ولذلك فـالشيخ عـبـد الرحـمن الجبرتى يعتبر من أدق المؤرخين فى العالم . ومن أكثرهم صدقًا وأمانة .

وعلى الرغم من أن الجبـرتى يكره الفـرنسـيين ونابليـون الذى دخل الأزهر بخيوله ، فإنه كان يقول إن الفرنسيين يحبون العدل . ولا يظلمـون أحـدًا فكل منهم من حقـه أن يأتى له بمحـام يدافع عنه . . فإن لم يجد محامياً عينوا له محاميًا .

والجبرتى كان يستنكر القهر الفرنسى وإهانتهم للمسلمين . . ولكنه فى نفس الوقت يشـيـد بالتطور العلمى عندهم . . وبالعـدل فى محاكمة الناس .

وأكاذيب ابن إياس مسلية ، وحقائق الجبرتى جافة - ولكنها مثل صورة بالأشعة لواقع مصر . . بينما حكايات ابن إياس تشبه صورة خرافية ملونة . . أجمل وألذ ولا يصدقها العقل !

حاولت ولم أستطع أن أعوم !

لا أعرف لعبة واحدة من الألعاب التى تسلى الناس . فقط الكوتشينة . . ولابد أن أجد أحدًا ألعب معه . ولكنى لا أجد لأن الذى أعرفه هو (الشايب) . . وهى لعبة عيالى . وحاولت أن أتعلم فنونًا أكثر تطورًا مثل الكونكان والچوكر والبريدچ . . ولكن عقلى (مزرجن) غير قادر على الاستيعاب وغير قادر على الفهم . . وليس عندى صبر . ولذلك لا أجد أحدًا ألعب معه . . فالطاولة والدومينو لا أعرفهما أيضًا . فقط الشطرنج . .

حتى الشطرنج لم أحسن اللعب . فقد أتيت بعدد من الكتب عن قواعد اللعبة . . وعن أشهر المباريات فى التاريخ لأعظم أبطال الشطرنج . . وقرأت ولعبت وحدى . .

ثم أتيت بكتب تعلمنى كيف ألعب وأحاور وأتغلب فى النهاية . ولكن النتيجة واحد / صفر . . أنا الصفر طبعًا . لأننى أفكر كثيرًا جداً فى فتح اللعب ثم الحركة فى وسط رقعة الشطرنج وبعد ذلك أتعب جداً . . وفى هذه الحالة فإن أصغر طفل قادر على أن يغلبنى وكل الذين ألاعبهم يغلبوننى لأننى أتعب بعد وقت قصير . . ولم أعد أجد فى الشطرنج أية لذة . .

وأتيت بالشطرنج الإلكترونى لكى ألاعب نفسى . . أى ألاعب الشطرنج نفسه . . والشطرنج الذى أمامى (مبرمج) تماماً . . ولا يمكن التغلب عليه مطلقًا . وعندما أخطئ فى نقل قطع الشطرنج

فإن الجهاز يطلق إنذارًا وأجراسًا . . فضيحة . . ولكن وجدت أن الخصم هنا ذكى جداً . . فلا أكاد أحرك قطعة حتى يحرك هو قطعة أسرع وقد حدث أكثر من مرة بعد ثلاث نقلات أن وجدت الملك . . – ملكى – قد مات !

وجلسنا ثلاثة نلعب ضد جهاز الشطرنج نفسه . . والنتيجة واحدة : غلبنا جميعًا !

ولم أعد أجده لذيذًا . . فلا تكافؤ بينى وبينه . . فعندى إحساس أننى مثل لاعب كرة شراب وقف يحاور « بيليه » أو «مارادونا » وعندى أمل كاذب فى الانتصار عليه !

جلست إلى جوار الأطفال نلعب (الأتارى) . . وهى معارك برية وجوية وبحرية . . لذيذة . . ولكنها مملة . . حتى الأطفال يتثاءبون عند هذه اللعبة . . وراحت شركات (الأتارى) العالمية تقدم لهم برامج جديدة . . والأطفال يطلبون المزيد والجديد . فظهر شىء آخر اسمه (نانتدو) وبدأ الأطفال يتثاءبون أيضًا . .

ولم أجد إلا الفرجة على كل المباريات من كل الأنواع . . أمام التليفزيون . . الكرة بكل أنواعها وأسمائها . . ولكن من أجمل الألعاب التى أحب الفرجة عليها : السباحة والباليه المائى . . ومازلت أرى أن السباحة هى خرافة الزمان . . ولا أعرف حتى الآن كيف يمكن أن يطفو الإنسان على سطح الماء . . وظللت أعتقد إلى عهد قريب أن راقصات الباليه المائى يسندن بأيديهن إلى أرض الحمام . . فليس معقولاً –عندى– أن تقف الفتيات معلقات فى الماء . ولكن علمت بصورة مؤكدة وعن طريق الأفلام التى شاهدتها أن الفتيات يسبحن واقفات راقصات – معجزة !

فأنا لم أعرف السباحة . ولا أمل فى أن أعرفها . . ومنذ غرقت وأنا طفل صغير فى النيل عند المنصورة وأنقذتنى خالتى التى تكبرنى بقليل ، وأنا على يقين من أننى سوف أموت غريقًا . . وعلى الرغم من هذا الشعور فإننى سافرت إلى أوروبا بحرًا أكثر من مرة . . نحن جميعًا نركب الطائرة رغم أننا بلا أجنحة ولا نستطيع الطيران . .

ولا أنسى يوم تمددت على إحدى الأشجار فى هاواى وغلبنى النوم فنمت . . وصحوت لأجد أن الشجرة بعيدة جدًا عن الشاطئ ، فقد ارتفع المد تحت ضوء القمر . . وارتفع الماء وباعد بينى وبين الشاطئ . . ولم أجرؤ على النزول من الشجرة خوفًا من الغرق . . إلا عندما رأيت طفلاً يلعب بالقرب منى وكان الماء حتى ركبتيه!

ويوم كان وفد الأدباء فى مدينة الحديدة فى اليمن . . ووجدت كل زملائى قد نزلوا إلى الماء القذر : نجيب محفوظ ويوسف السباعى وصالح جودت ومحمود حسن إسماعيل . . ونزلت أنا أيضًا . . وجاء نجيب محفوظ من ورائى ودفعنى إلى الماء فنزلت تحت الماء وحاولت أن أصل إلى السطح فى حالة جنونية . . وظن الزملاء أننى أتظاهر بالغرق فتركونى . . والحقيقة أننى كنت أغرق . ولكنى لم أقل ذلك لأحد حتى لا يعاودوا هذه اللعبة الخطرة .

قل لى من فضلك :

ألا أجد عندك أحدًا يعلمنى العوم ؟!

سعد زغلول قاوم كل شئ إلا القمار!

ليس كل عظيم ، عظيمًا فى كل شىء . . وإنما هو عظيم فى مواجهة الناس ، ضعيف فى مواجهة نفسه أو زوجته أو أولاده أو الكلب الصغير الذى يملكه أو الذكريات التى يحتفظ بها . .

إن أحدًا لا يتصور أن الأستاذ العقاد الجبار الذى يمسك القلم ويتكلم عن كل القضايا وكل الخصوم بمنتهى الجرأة ، هو كذلك فى كل الظروف . . فعندما مات كلبه راح يبكى . . وإذا رأى طفلاً يبكى فإنه يكون أسبق الناس إليه . . ويبكى أيضًا ؟!

وكان نابليون العظيم الجبار إذا رأى طفلاً وسط الناس نزل وراح يداعبه . . ويشغله هذا الطفل عن أى شىء آخر . .

ويقال إن نابليون أثناء انعقاد مجلس الحرب الأعلى فوجئ بوجود قطة صغيرة تحت المائدة ، فترك الحرب والإعداد والاستعداد وراح يجرى وراء القطة !

وكان يوليوس قيصر إذا رأى ابنه الصغير فإنه ينهض واقفًا ورافعًا يده بالتحية . . ويضحك الذين حوله . . ثم يتوقف عن الكلام ويأتى بالطفل الصغير ويجلسه على كتفه . . أو على المائدة فوق الأوراق . . وأحيانًا كان الطفل يتبول على هذه الأوراق وملابس والده الإمبراطور . . وكان الوزراء يحاولون إنقاذ الأوراق أو ملابس الإمبراطور الذى كان يضحك قائلاً : لو عرفتم الحقيقة لتركتموه يفعل ما يشاء . .

وينتظر الوزراء أن يحدثهم الإمبراطور عن الحقيقة فيقول - وقد ترك ابنه يتبول ويفعل ما بدا له :

إننى أحكم العالم وأمه تحكمنى . . وهو يحكم أمه !

ومنذ أيام رحت أقرأ الجزء الخامس من (مذكرات سعد زغلول) الذى صدر أخيرًا . . فوجدت أن سعد زغلول هذا الزعيم الذى أيقظ الوعى فى مصر ضد الإنجليز وضد الملك وأنه ضعيف جدًّا أمام الكوتشينة فهو رجل مقامر . . يريد أن يتوب ولكنه لا يستطيع . .

بتاريخ ٣ يناير سنة ١٩١٦ كتب يقول : « ذهبت إلى نادى محمد على ووجدت نفسى متشوقًا إلى لعب الورق فلعبت مع الرئيس فؤاد وقطاوى وليفى . . بارتيتة صغيرة . . وخسرت ٣٥٠ جنيهًا . فندمت على ما فعلت وعزمت على ألا أعود أبدًا » .

ويوم ٣١ مارس سنة ١٩١٦ كتب : « تلك الندامة لم تفد . ولم تنفع . فأنا لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسى من التردد على النادى . ومن اللعب . وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود . وخسرت فيه مبلغًا طائلاً . . وما كنت أصغى لنصائح زوجتى ولا أرق لتألمها من حالتى . . وما كنت أجد عندما أفتش عن السبب الدافع لى ، إلا حب المال ، لا الميل إلى اللهو ولا محبة الاجتماع بإخوان ، لأن اللاعبين لم يكونوا من إخوانى ولا ممن تميل نفسى إلى معاشرتهم . وقد لمت نفسى كثيرًا وزجرتها طويلاً . . ولكن بعد أن تعذبت شعرت بخاطر يشجعنى إلى اللعب لعلى أكسب شيئًا يعوض ما فات . فطردت هذا الخاطر ونمت فعاودنى بشدة

عند يقظتى فى الساعة الرابعة ورأيت فؤادى يخفق وأحسست بضيق فى الصدر النائم - فيما أظن - عن حرب بين ما يدفعنى إلى اللعب وما يمنعنى عنه » .

وفى يوم من أيام أبريل سنة ١٩١٦ كتب : « ذهبت اليوم إلى النادى ، فى نحو السابعة والنصف مساء لعبت لعبًا صغيرًا . فخسرت فيه ٢٤ جنيهًا . فلعنت نفسى المغامرة . وفى اليوم التالى ذهبت إلى النادى ورأيتهم يلعبون اللعب الكبير فقلت فى نفسى : جرب ! »

وجربت وكسبت ١٨٣ جنيهًا ، وعدت إلى البيت سعيدًا .

ولكن نفسى حدثتنى أن أعود بعد العشاء . وخسرت جميع المبلغ وفوقه سبعة جنيهات! ولمت نفسى كثيرًا وعزمت على ألا أعود .

وفى يوم ٢٩ مايو سنة ١٩١٦ قال : « لا أزال أتردد بين الرغبة فى اللعب والرغبة عنه » .

وكلما اقترب موعد النادى ، خف الندم . فأميل إلى النادى ، تدفعنى شهوة قوية ويمنعنى عقل ضعيف . وما أشعر إلا وأنا وسط اللاعبين! وسافرت وابتعدت . وقد قررت ألا ألعب نهائيًا . . ولكن عندما دعونى إلى اللعب وافقت فورًا وخسرت وكسبت وخسرت وكسبت . ولم أعد أشعر بالندم فى ذلك اليوم ! » .

وأخيرًا فى يوم أول مايو كتب يقول : « قالت حرمى أنها رأت فى المنام أخى كأنه شمعة لا أثر لحمرة الدم فى وجهه فقال لها : انظرى كيف امتص اللعب دمى . امنعى أخى منه . ولا تتركيه

يصر إلى ما حدث لى !

فتأثرت لذلك . ولكن ما رأيتهم يلعبون حتى لعبت وخسرت ١٥٠ جنيهًا ! » .

وسعد زغلول فى مذكراته طبيعى جدًا . وساذج أيضًا . . ففى هذه المذكرات يتحدث إلى نفسه ويلومها ويعاتبها ، كأنه لا يتصور أن أحدًا سوف يطالعها من بعده . . وفى هذه المذكرات يتحدث سعد زغلول عن كل ما يحدث له . . وكل الذى اشتراه والذى أكله وأسعار الخضراوات واللحوم وبمنتهى الدقة !

ويقول إنه انحنى على يد السلطان يقبلها . وسحب السلطان يده . . فتضايق سعد زغلول وأصر على أن يقبلها . وقبلها . . ولم ينتبه سعد زغلول إلى هذه الصورة القبيحة . . صورة الهوان الذى يعيب الزعيم أمام الملايين بعد ذلك !

والرجل لم يكذب وإنما صور لنا آداب العصر . . وصور لنا ضعفه الإنسانى أمام القمار . . وهو فى ذلك صادق تمامًا . . ولأنه صادق مع ضعفه ، يجعلك تصدق كل ما يقول عن نفسه وعن الآخرين !

غباوة على المستوى الرفيع !

١ - كلف الضباط الأحرار المستشار سليمان حافظ أن يطلب من فاروق النزول عن العرش . فذهب إليه ومعه خطاب التنازل . والمطلوب من الملك فاروق أن يوقع على الصيغة التى بعثوا بها . . واختاروا لهذه المهمة الصعبة السيد سليمان حافظ . فذهب إلى الملك فى الإسكندرية . وانحنى أمامه وقدم له الخطاب . فسأله الملك : ما هذا كمان ؟

فقال سليمان حافظ : إنه خطاب التنازل يا مولانا .

- ما المطلوب ؟

- فقط توقع عليه .

- أين ؟

- فى أى مكان . . تحت السطر الأخير . .

وأخرج الملك القلم الذهبى الذى كان قد تلقاه هدية من ملكة اليونان . . وبدلاً من أن يوقع فى نهاية الصفحة وقع فى أعلاها . .

وقدم الورقة لسليمان حافظ وأخذها شاكرًا وانحنى حتى كاد وسطه أن ينكسر . . وبعد لحظات عاد إلى الملك ليقول له : مطلوب إمضاء آخر من جلالتك . .

ولم يسأل الملك عن السبب . أما السبب فهو أن يد الملك ارتعشت وهى توقع على هذه الوثيقة . وطبيعى أن يرتجف الملك . ولكن الإمضاء واضح . وارتعاشة يد الملك خبر هام . . فهى بالضبط تدل على حالته النفسية . .

ولكن سليمان حافظ أحس كما لو أنه موظف فى الشهر العقارى وجاءه أحد المواطنين وارتعشت يده وهو يوقع ، فطلب إليه أن يسجل توقيعًا آخر أوضح !

وبالضبط هذا ما طلبه من الملك . . ولأول مرة فى التاريخ نرى ملكًا يوقع مرتين على وثيقة واحدة . والسبب أن سليمان حافظ كان أصغر من الحدث التاريخى . . وأنه قد تقمص شخصية الموظف الصغير الذى خاف أن يطعن أحد فى صحة الإمضاء !

٢ - كنت أعمل بالإضافة إلى عملى فى جريدة الأهرام سنة ١٩٥٠ فى مجلة اسمها (الشهر) رئيس تحريرها الأستاذ أحمد الصاوى محمد وسكرتيرو التحرير الفنان عبد السلام الشريف وحسن فؤاد وأنا . . وكنت قد طلبت من الأستاذ العقاد أن يكتب مقالاً فكتب مقالاً طويلاً شتمنى فيه ككاتب شاب ينادى بالفلسفة الوجودية . ولم تضايقنى الشتيمة ولكن أسعدنى أن يساهم العقاد بالكتابة فى هذه المجلة . وكانت صاحبة المجلة اسمها السيدة لطيفة العبد . . وأعطتنى شيكًا بمبلغ عشرين جنيهًا للأستاذ العقاد . وقد رجوتها أن تجعل المبلغ أكبر لأن الأستاذ العقاد يساوى أكثر من ذلك . . فأمسكت القلم وغيرت المبلغ إلى خمسين جنيهًا . وذهبت سعيدًا إلى الأستاذ العقاد . وسرت معه حتى ذهبنا إلى البنك . . ووقف العقاد أمام الصراف وأعطاه الشيك واحمر وجه الصراف الشاب . . وظهرت الحيرة والقلق على وجهه . فقال له الأستاذ : فيه إيه ؟!

- الشيك فيه شطب يا أستاذ !

- يعنى إيه يا ولد ؟!

- لا يدل على أى شىء . . ولكن القواعد فى البنك أن الذى يشطب فى الشيك يجب أن يوقع مرة أخرى إلى جوار الشطب . . فنعرف أنه هو الذى شطب . .

وخطف العقاد الشيك من يده ومزقه . . ولم أتمكن من السير وراءه . . وعدت بسرعة إلى السيدة لطيفة العبد . وقلت لها ما حدث . . فما كان منها إلا أن حررت شيكًا بسبعين جنيهًا . أسعدنى جداً . وذهبت للأستاذ العقاد ولم يكد يرى الشيك حتى مزقه مرة أخرى وهو يقول : من هذه السيدة يا مولانا . . إنها لا تعرف قدر العقاد . . لقد كان الشيك بعشرين ثم بخمسين والآن بسبعين . . أنا لا أحب أن أتعامل مع مثل هذا الطراز من الناس !

٣ - قال لى الشاعر الروسى بفتشنكو أن السناتور كيندى قد دعاه لتناول العشاء فى بيته . وقدموا له الشمبانيا فسأله الشاعر الروسى هل أشرب الشمبانيا على طريقة الروس أو على طريقة الأمريكان ؟

وسأله كيندى : وما هى طريقة الروس ؟

فقال له بفتشنكو : بعد أن أشرب الكأس فإننى ألقى بها فى الأرض !

وصرخ كيندى وهو يقول : لحظة واحدة من فضلك . . سوف أسأل زوجتى إن كان من الممكن تحطيم الكؤوس بعد شربها ؟

قال لى الشاعر الروسى : أن رجلاً بهذا الغباء كيف يصلح أن يكون رئيسًا لأمريكا ويقرر استخدام القنابل النووية ضد روسيا . . إن رجلاً لا يعرف كيف يقرر تحطيم كأس . . كيف يقرر تحطيم الدنيا كلها أو إنقاذها من الدمار ؟!

ابن الإيه
فى الفولى برجير !

إن كنت قد سافرت إلى باريس . فلابد أنك رأيت مسرح (لافولى برجير) أعظم مسرح استعراضى فى الدنيا . . فإذا لم تكن قد رأيت هذا المسرح فأنت لم تر باريس ، وإذا لم تكن قد رأيت فرنسا فأنت لم تر أوروبا ، وإذا كنت لم تر أوروبا فأنت ناقص عمر !

على كل حال يمكنك أن تعزى نفسك وتواسيها وترضى بقدرك . فالمسرح الذى فتح أبوابه يوم أول مايو سنة ١٨٦٩ سوف يغلق أبوابه قريبًا جدًا . .

وفى سنة ١٨٦٩ هذه فتحنا قناة السويس وولد غاندى والأديب اندريه جيد والرسام ماتيس ومات الشاعر الرومانسى لامرتين . .

وقد كان مسرح (لافولى برجير) أروع مسارح أوروبا ، منذ البداية . وإن كان الفرنسيون قد استخدموه بعد الحرب السبعينية بين فرنسا وبروسيا قاعة للنشاط السياسى . . وبعد نهاية هذه الحرب استأنف نشاطه الليلى الجميل . . وفى البداية كان أقرب إلى السيرك ، وإن لم تظهر فيه الخيول والأسود والكلاب . . وبعد ذلك تنوعت فقرات البرنامج . . حتى تطور فى سنة ١٨٩٤ إلى ظهور الفتيات الجميلات العاريات . وما زالت الفتيات يتعرين والناس تصرخ وتتزاحم على شباك التذاكر حتى أصبح (العرى) من أهم معالم هذا المسرح . وظهرت إلى جانب الفرنسيات

الجميلات ، فتيات سمراوات من أمريكا اللاتينية ومن آسيا . وأصبح (لافولى برجير) مصدر الإثارة والمتعة فى باريس بل وفى أوروبا كلها . .

وظهرت فى باريس مسارح أخرى أكثر عريًا . . بل ظهرت الفتيات يخعلن ملابسهن ويدخلن أحواض السباحة . . ولكن (لافولى برجير) ظل أكثر هذه المسارح الليلية احترامًا وجدية أيضًا . . وقد تطورت الحركة المسيحية باستخدام الضوء والأجهزة الإلكترونية . . وهذا يتكلف الكثير من الأموال . وهذا ما لا يستطيع أى مسرح آخر أن ينافسه فى الفخامة والأبهة والتكاليف الفادحة فى الأزياء وتصميمها . .

وظهر على هذه المسارح أروع نجوم الرقص والاستعراض فى العالم . . ظهرت الزنجية الفاتنة الساقين : جوزفين بيكر . . وظهرت الجاسوسة الشهيرة مستنجيت الفرنسية البلچيكية وكان معها المطرب والممثل الفرنسى الشهير موريس شيفاليه . . وبدأ الاثنان يتلازمان فى كل العروض المسرحية ابتداء من سنة ١٩١٠ . وقد امتازت مستنجيت بجمال ساقيها وفساتينها الفخمة العارية والمثيرة والأنيقة معًا . .

كما ظهرت راقصة الباليه الروسية العالمية بافلوفا . . والتى ظهرت على مسرح الأوبرا فى القاهرة أيضًا . .

وقد بلغ من حرص مسرح (لافولى برجير) على الإبداع أن العروض التى كان يقدمها كان يستغرق الإعداد لها سنة على الأقل . . فإذا كان عرضًا جديدًا تغيرت الأزياء كلها . . أكثر من ١٢٠٠ فستان مع كميات كثيرة من الاكسسوارات والعطور أيضًا . .

فهذا المسرح فادح التكاليف . لذلك رفعوا ثمن التذكرة حتى بلغت ما يعادل ٣٥٠ جنيهًا مصرياً . . وفى نفس الوقت انصرف أهم السياح عنه : الأمريكان واليابانيون ! فكانت الخسارة فادحة . واقترض هذا المسرح من البنوك اعتماداً على سمعته العالمية . . ولكنه الآن عاجز تمامًا عن سداد ديونه . وقد حاول المسرح أن يجد سندًا من الدولة . . ولكنه فشل .

وفى نفس الوقت أقام الأمريكان مدينة (دزنى لاند) التى تكلفت ألفى مليون دولار . . والتى يجىء إليها الناس من كل أوروبا . حتى مدينة يزنى الأوروبية تعانى من الخسائر الفادحة أيضًا . فقد قضى التليفزيون على كل المسارح . . فالتليفزيون بقنواته الكثيرة ، والبيوت بما فيها من أطعمة جاهزة وجلسة مريحة ، لم تجعل الناس يغادرون بيوتهم كثيرًا . .

فإذا كنت لم تر هذا المسرح فأنت والملايين ابتداء من هذا العام لن تروه بعد ذلك ، وكأن شيئًا لم يكن !

وفى العام الماضى ذهبت ألقى نظرة الوداع على هذا المسرح الجميل الذى رأيته قبل ذلك عشرات المرات . . وتلفت حولى لعلى أرى أحدًا أعرفه . وياليتنى ما فعلت . . فقد وجدت على يمينى أحد الرجال وقد ارتدى بدلة وقبعة على الرأس ووردة فى صدره ، فتواريت أنا حتى لا أحرجه . . وأرجعت رأسى إلى الوراء أسمع . . فقد كانت الشقراء الجالسة تتكلم العربية المكسرة – يا ابن الإيه !!

وعندما يظهر فى التليفزيون يقول ويقول وأنظر إلى عينيه فأجده يعنى كل حرف . . إنها إذن قدرة عظيمة على التمثيل تعلمها من كثرة تردده على (الفولى برجير)!

اللى بنى مصر كان فى الأصل إيه ؟!

العلماء ينظرون إلى الأهرامات ويرون أنها معجزة . ولأنها معجزة فلا يمكن أن يكون أجدادنا الفراعنة قد أقاموها وحدهم . أى دون مساعدة من أحد . وهذا الأحد يجب أن يكون أعظم وأبرع منهم . مثل من ؟ ليس أعظم منهم إلا كائنات تعيش فى أماكن بعيدة . . وقبل طوفان نوح عليه السلام أقامت الأهرامات حتى لا تغرق ، وبعد أن جفت مياه الطوفان عادت إلى مكانها المجهول من هذا الكون !

هذه نظرية . .

ونظرية أخرى تقول : لا يوجد عندنا تفسير واحد معقول لنهضة فرعونية مفاجئة . . وبعد ذلك اضمحلال مفاجئ أيضًا . فما الذى نفخ فى صورة الفراعنة فأقاموا معجزة العمارة - أى الأهرامات - ثم انحدروا وانهاروا حتى صاروا المصريين الفلاحين المعاصرين ؟

ولكن علماء الآثار يقولون إن ظهور الأهرامات لم يكن مفاجأة . وإنما ظهرت مراحل تدريجية لبناء الهرم . . ابتداء من المصاطب إلى هرم سقارة المدرج حتى كان عندنا ٩٦ هرمًا - آخرها الذى اكتشفوه منذ شهور بالقرب من الهرم الأكبر - اكتشفوا قاعدة هرم جنائزى . .

أما الأهرامات الموجودة فى المكسيك فهى صغيرة ومتواضعة جداً . . ولم يقمها الفراعنة . .

أما النهضة والانحطاط . . فهى مثل الصحة والمرض عند الإنسان . كما أن الإنسان يكبر وينضج ويضعف ويموت . . فكذلك الحضارة الإنسانية تزدهر وتنتعش وتستنفد كل ما فى طاقتها وتموت . . ما هى القاعدة ؟ لا نعرف لها قاعدة . . حدث ذلك فى كل الحضارات القديمة : المصرية والإغريقية والرومانية والبابلية والآشورية والفارسية . كما يتوالى الليل والنهار ، والربيع والخريف والطفولة والشيخوخة . . فكذلك كل ما فى هذا الكون . .

حتى النجوم . . تولد وتنتشر وتتألق وتموت . . وإذا ماتت أصبحت كتلاً مغناطيسية هائلة تبتلع النجوم الأخرى . . وهذه النجوم الميتة اسمها (الثقوب السوداء) . . وهذه الثقوب السوداء تكون قوتها المغناطيسية هائلة لدرجة أنها تبتلع الأشعة المنبعثة عنها . . وتبتلع كل ما حولها من النجوم والكواكب والسدم . . وبعد أن تصاب هذه النجوم الميتة بالتخمة تنفجر مرة أخرى . . وتتكون منها نجوم وكواكب وسدم شابة تعيش بضع مئات الملايين من السنين لتموت مرة أخرى . .

وهكذا إلى ما لا نهاية !

شىء عجيب حقاً . . إن العالم ينظر إلى حالنا اليوم ، ويستبعد أن يكون أجدادنا هم الذين أقاموا هذه المعجزات . . فنحن لا نملأ عيونهم . .

عندما جاء بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلى مصر صرخ بأعلى صوته : اللهم ارحم أجدادنا الذين أقاموا الهرم !

فقد توهم أن أجداده الذين كانوا عبيدًا للفراعنة فى مصر هم الذين أقاموا الأهرامات . . لولا أن نائبه إيجال يادين المؤرخ الأثرى المعروف قال له : اسكت . . اسكت . . إن البيوت التى أقام فيها أجدادنا هنا فى مصر كانت من الطين . . وليست من الحجارة .

فسأله بيجين : من الذى قال لك ذلك ؟

- إنها التوراة !

- وهنا سكت بيجين . وانكتم . .

وأذكر أننى قلت للرئيس السادات : لقد علمت أن بيجين - سوف يطلب منك حجرًا من أحجار الهرم . . أرجوك يا ريس لا تعطه حجرًا لأنك لو فعلت فسيصبح الحصول على أحد أحجار الهرم أملاً قومياً فى إسرائيل . . وعدد سكان إسرائيل - الآن - بعدد أحجار الأهرام !

وضحك الرئيس السادات وقال : لا أستطيع . . فالهرم ليس ملكًا لمصر وحدها وإنما هو ملك الإنسانية !

ومنذ أيام ذهب الرئيس معمر القذافى إلى منطقة الهرم مع الرئيس مبارك وأصر على أن السودانيين هم الذين بنوا الهرم ! وهم الذين أقاموا « أبو الهول » ولم نعرف إن كان الأخ معمر يهزر أو أنه كان جاداً . . فإن كان يهزر لا بأس . بل أنهم الليبيون الذين أقاموه - لا مانع عندنا فنحن أيضًا نعرف الهزار والنكت والتهجيص !

ولكن الأخ معمر كان على يقين من ذلك . فقد قالوا له فى السودان إنهم هم الذين بنوا الهرم . . وكل الأهرامات !

ولن يمضى وقت طويل حتى يطالبوا بالجيزة ، كما طالبوا بحلايب ؟!

وعن غير قصد وقف د . زاهى حواس مدير الآثار يشرح للرئيس مبارك والقذافى بعض التماثيل . ومن بينها تمثال قزم قال : إنه مضحك الملك . . وإن هذا القزم ، مثل كل الأقزام ، مستورد من السودان . .

وضحك الرئيسان . وكان ذلك هو التعليق الوحيد !

والذين لا نملأ عيونهم يريدون أن يقولوا أن الفراعنة لا علاقة لهم بنا . . إنهم أناس قد أقاموا فى هذه المنطقة التى نعيش عليها . . ثم اختفوا . . فعلاقتنا بهم جغرافية ، وليست تاريخية . . والله معهم حق ، فنحن نستحق مثل هذه الإهانة البالغة . والسبب هو أننا لم نستحق مثل هذه المعجزات فى العمارة أو فى العلوم أو الفنون . .

ولذلك فمن حق كل زائر لمصر ، أن يتشكك كثيرًا فى أن تكون لنا أية صلة من أى نوع بهؤلاء الفراعنة العظماء !

لكن لماذا ؟

أنا أقول لك السبب . إنهم رأوا شارع الهرم . . فهذا الشارع لم يستقر على حال . . فقد تغير شكل الشارع من اليوم الذى رصفه الخديو إسماعيل من أجل سواد عيون الإمبراطورة أوجينى ، حتى زيارة الرئيس القذافى . . هذا الشارع تغير شكله ٧٢ مرة . . مرة نجعله عريضًا ومرة نجعله خانقًا . . مرة نزرع الأشجار على جانبيه . . ومرة فى وسطه . . ومرة نأكل الرصيف ليمشى الناس

فى وسط الشارع أو يلقوا بأنفسهم «تحت» عجلات الأتوبيس . .

ولا أحـد يعـرف حـتى الآن إن كـان الأثريون يحـفـرون تحت الشارع أو أنهم رجال البلدية أو المرور أو المياه أو الكهرباء . . ولا أحـد يعـرف على من نبـحث تحت الأرض . . الملك خـوفـو أو الإسكندر الأكبر ؟!

لقـد رأى الزوار دوخـة مصـر الحديثة فى رصف وهدم وتوسـيع وتضييق شارع واحد فى أكثر من مائة سنة . . وأيقنوا الآن تمامًا أن شعبًا لم يعرف كيف يرصف شارعًا ، لا يمكن أن يكون حفيد الشعب الذى أقام الهرم الأكبر فى عشرين سنة !

والله معهم حق !



الحشرة الفجرية

تهدد أمريكا وكندا !

من أعظم إنجازات أمريكا وروسيا فى السنوات الأخيرة إنهاء اتفاقية حظر الأسلحة الذرية . . فقد اتفقت الدولتان على نزع الرؤوس النووية من صواريخها حتى لا يفاجأ أحدهما بأن صاروخًا قد عبر المحيط ونسف موسكو وواشنطون دون أن يتنبه أحد إلى ذلك . . ولكن الدول العظمى لأنها تعرف الكثير عن قدراتها والقدرات المضادة ، فإنها لا تثق فيما يقال لها . . ولذلك احتاطت أمريكا فأطلقت أقمار تجسس فى الفضاء . . وهذه الأقمار ترصد تحرك النملة والعصفورة فى أرضٍ وسماء روسيا . . حتى إذا ارتكب أحد الزعماء الروس عملاً جنونيّاً بإطلاق صاروخ نووى على أمريكا راحت هذه الأقمار تدس الأجراس فى بيت الرئيس الأمريكى فوزير الدفاع ورئيس المخابرات فى لحظة واحدة . . وبسرعة ترد أمريكا على الصاروخ قبل أن يعبر الحدود الروسية !

وقد أدى الخوف من تلك اللحظة الروسية المجنونة إلى ظهور أفلام أمريكية تصور للناس ماذا يحدث لهم لو راحت نومة على الرئيس الأمريكى . . أو كان عنده إسهال أو إمساك أو أزمة قلبية . .

وعندما انهارت الإمبراطورية السوفيتية كان الرئيس جورباتشوف يحتفظ دائمًا بالحقيبة التى بها الأرقام الشفرية للصواريخ الموجهة إلى كل مدن أمريكا . .

وقطع الروس والأمريكان رؤوس الصواريخ النووية . فأصبحت الصواريخ بلا رؤوس . وانتهت بذلك حرب الخوف وسوء الظن بين

البلدين . . أى انتهت الحرب الباردة ، وكانت أمريكا تنفق على هذه الحرب ما يساوى خمسين ألف مليون دولار .

أسلحة التجسس فى أمريكا وروسيا وأوروبا :

وإن كانت أمريكا قد عاودها الشك مرة أخرى بعد أن احتجزت روسيا علماء الذرة ولم تسمح لهم بالخروج منها . . وفى نفس الوقت لا تزال تبيع الأسلحة لدول العالم الثالث ، ولا تزال تساعد على بناء المفاعلات النووية فى آسيا وفى أمريكا اللاتينية . .

ولكن روسيا وأمريكا تقفان الآن عاجزتين تمامًا أمام كارثة قادمة من روسيا . هذه الكارثة عبارة عن فراشة اسمها (الفراشة الغجرية) . هذه الفراشة انتقلت من روسيا إلى أمريكا . . وقد أدى ظهور هذه الفراشة إلى خسارة فى الخضراوات والفواكه الأمريكية فى العام الماضى بلغت ألوف ملايين الدولارات . . فهذه الحشرة قد جاءت مع البذور وبسرعة فقست وكبرت وانتقلت إلى أوراق الشجر والزهور والثمار وهات يا أكل !

وهذه الحشرة الغجرية قد اتجهت أيضًا إلى كندا . .

والمصيبة أن هذه الحشرة الغجرية (رمرامة) . . فهى لا تكتفى بأكل الثمار والأزهار على الشجر ، وإنما إذا سقطت على الأرض فإنها تأكل الأعشاب أيضًا . . فهى تلتهم كل ما هو أخضر فى أى مكان . .

وقد حاولت أمريكا تحجيم هذه الحشرة بنشر المبيدات . . ثم إطلاق حشرات أخرى تقتل هذه الحشرة . . ولكن هذه الحشرة يبدو أنها قد تدربت على ذلك تمامًا . . فمعظم المبيدات التى

تستخدمها أمريكا لا تقتل هذه الحشرة حتى ظن العلماء أن الروس قد أطلقوها عمدًا على أمريكا بعد أن اكتسبت مناعة تامة . . وقد أصدرت وزارة الزراعة الأمريكية تعليمات بمنع زراعة بعض الخضروات التى تساعد على تفشى هذه الحشرة الغجرية . .

وقد عرفت أمريكا أخيرًا أنهم فى استراليا يطلقون بعض العصافير الشرسة تأكل هذه الحشرات . . وقامت بتجارب على الحشرة الغجرية . فجاءت العصافير تأكلها . . ولكن لأن هذه العصافير شرسة وشرهة ، فإنها لم تكتف بأكل الحشرة وإنما راحت تأكل الفاكهة التى نجت من الحشرة الغجرية !

هذه الكارثة الروسية لم تستطع سفن الفضاء تصويرها أو التحذير منها ، فهى صغيرة جداً . . ثم إنها إذا طارت فإنها لا ترتفع كثيرًا عن الأشجار . . وإن كانت لديها القدرة على أن تطير خمسين كيلو مترًا بلا توقف . . شىء عجيب أن تكون لدى هذه الحشرة الضئيلة مثل هذه الطاقة الهائلة على الطيران وكل هذه المسافة الطويلة . بعض العلماء يؤكد أن هذه الحشرة بها خلايا ضوئية تعتمد على أشعة الشمس التى تتحول فى باطنها إلى طاقة حرارية وكهربائية أيضًا . . فتطير الحشرة حتى لو كانت لم تذق الطعام يومًا كاملاً !

أما الصواريخ النووية فقد أمكن تأمينها ، ولكن هذه الحشرة الصغيرة فالإنسان أضعف من أن يقدر عليها . . أو يواجهها !

عالجونا أيها الأطباء فنحن
عيــــال كبار!

لابد أن ينشغل علماء النفس والاجتماع وعلم النفس الجنائى بحال الشعب المصرى الذى لا يزال (عيلاً) ويصر على أن يبقى كذلك . . وأكبر دليل هو تلك (البزازة) التى يضعها فى فمه كل رمضان . هذه البزازة هى (فوازير) رمضان وألف ليلة وليلة . . وأن يصر على أن يحتفظ بهذا الشكل الطفولى للإثارة . . فالإثارة هى أن تســأل عن مــعنى الكلام الملفــوف بالزجل أو بالرقص والاستعراضات التى يتوه فيها المشاهد حتى يجد صعوبة فى تفسير هذه الفزورة التى لم تستخدم فيها كومبيوتر ولا أى برنامج الكترونى . . إنها صورة حكاية ركيكة مملة . . وماذا يحدث لو غيرناها؟ أو عدلنا عنها نهائيًا؟ ولكن أحدًا لا يريد . ولا يطيق ولا يقدر . ليبقى الحال على ما هو عليه . . وإذا حاولنا أن نقول إن البلاد العربية تحب فوازير رمضان – فالحال من بعضه أيضًا .

وألف ليلة هى الأخرى شكل فولكلورى قديم ،لم يضف إليه جديد منذ خمسة قرون . وهو شكل عيالى أيضًا . . حكاية لطفل يريد أن ينام . . كأن الذى ينقصنا هو النوم . فقد عملنا وتعبنا وأنتجنا وأبدعنا وتطورنا ، فلا يبقى إلا أن نأخذ (تعسيلة) . ونحن نقـول ذلك ونصدقـه . ونطلب إلى الناس أن يصــادروا على هذه المفهومات الساذجة . .

ألا ترى أنه يجب أن ننكسف على دمنا وأن نكبـر شـوية . . والحمد لله أصبح فى إمكان مئات الألوف فى مصر أن يتفرجوا عن طريق الطبق الهوائى على تليفزيونات أخرى . . أكثر حيوية وأكثر تنوعًا وأكثر إيجابية . .

ويمكن الرد على ما أقول بأن الناس فى رمضان بعد أن ملأوا بطونهم أصبحوا فى حالة لا تسمح بالتفكير وإنما فقط بما يشبه النوم أو بحالة من العجز أن يكون لهم رأى أو قرار . . ولذلك يمكن أن تفـرغ أى شىء فى رؤوسـهم ولن يجـد واحـد القـدرة على أن يقول : بم . .

ويمكن أن يقال أيضًا يجب أن نغير من عاداتنا فى الأكل لنغير عاداتنا فى الفرجة وعاداتنا فى الترفيه . .

وهذا صحيح . ولكن لماذا لا يكون هذا أيضًا برنامجًا عامّاً إعلاميّاً أو قوميّاً لكى يفيق الناس من نوم العقل ونوم التخمة . ولِمَ لا ؟ إننا جميعًا فى حاجة إلى إصلاح بالذوق قبل أن يجىء الإصلاح بالقوة !

ولا شىء يدل على أننا غير جادين فى الإصلاح إلا حرصنا على أن نظل أطفالاً ترضع القصص الهايفة . . بما يقدمه التليفزيون والإذاعة كل رمضان من كل عام . . ويكفى أن نقارن بين المسلسلات الجادة المصرية وبين هذه السخافة السنوية التى لا جديد فيها . . إلا فساتين بسلامتها الست شريهان . . هى عندها القدرة المالية لشراء الفساتين بمئات الألوف . . وفى نفس الوقت تجد ملامحها مرهقة مكدودة شاحبة سمراء عصبية

هسيتيرية الأداء . . فلا جمال ولا فن ولا حب . . وهى مصرة على أن ترقص وتلبس وتقلع والتليـفزيون مُـصـر على أن يبـوس القـدم ويبدى الندم على غلطته فى أنه لجأ مرة إلى نيللى ومرة أخرى إلى سمير غانم . .

إنها قضية يجب أن يتناولها علماء الأمراض النفسية . . فشعبنا العتيق العريق مرض بتصلب الشرايين وتجلط فى إبداع المخ .



سجناء أحرار !

اندهشت جداً عندما رأيت أحد عساكر المرور فى مدينة صنعاء يتوسط السيارات ذهابًا وإيابًا والسلاسل فى قدميه !

قالوا لى : إن هذا العسكرى سجين . .

سجين فى الشارع لأن السجون قد امتلأت من ثلاثين عامًا ولا مكان له . ثم إنه سجين مع الشغل والنفاذ . . فالنفاذ هو أن يعمل أمام الناس ومفضوحًا منهم . . وفى نفس الوقت لا يقدر على الحركة . . فقط من نقطة معينة فى الشارع ثم إلى بيته . . يأكل ويشرب وينام فى بيته والسلاسل فى قدميه . . ويذهب إلى مكان عمله . .

منتهى القسوة على هذا الإنسان . . أقسى ما فى هذه العقوبة أنه مفضوح !

ومنذ أيام رأيت فى التليفزيون الأمريكى أنهم فى سنغافورة يعذبون المساجين بنفس الطريقة . . فالمساجين يكنسون الشوارع ويعودون إلى السجن . . وهم يرتدون زياً موحدًا يعرفه الناس . . فهم مفضوحون أمام كل الناس . . وهؤلاء السجناء قد وعدوا أن يعودوا إلى السجن بعد أن يفرغوا من العمل . . طبعًا إذا هربوا ، فإن عقابهم سيكون مضاعفًا . . ولكن أقسى ما فى السجن هو فضيحة السجناء ، ولذلك نجد السجين يخفى معالم وجهه بمنظار أسودكبير . . أو يضع القبعات الغريبة الشكل فوق رأسه . . أما

السجينات فهن يطلقن شعورهن لكى تخفى معالم الوجه إلى جانب المنظار الأسود والإيشارب .

إذن لقد تحقق الهدف وهو : فضيحة السجين حتى لا يعود إلى غلطته . .

أما ألطف سجين رأيته فى حياتى فكان فى إحدى المدن الإيطالية . . المدينة اسمها بورتو فينو - وهى المدينة التى جاءت فى أغنية المطربة المصرية داليدا : لقد وجدت قلبى فى بورتو فينو .

فعند أطراف هذه المدينة الجديدة وجدت قلعة . . هذه القلعة بها سجين واحد . . هذا السجين يدير مطعمًا صغيرًا . . ثم يغلقه آخر الليل ويدخل السجن . . ويغلق السجن على نفسه حتى اليوم التالى - حكاية غريبة مثيرة تغرى أى إنسان بأن يذهب ويتفرج .

ذهبت . . ودار حديث بينى وبين السجين . . فقد كان فى مثل سنى دون الثلاثين . . قال لى إن غلطته هو أن أحب جدًّا وكان يغار على حبيبته . . ورآها فى يوم مع أحد أصدقائه فضرب الاثنين . . ولكن الاثنين تغلبا عليه . . وأسفرت المعركة غير المتكافئة عن كسر أنفه وأنف معشوقته . . ولكنه كان أديبًا وشاعرًا رقيقًا وعازفًا للجيتار . . وأنه كان ضعيف النظر ، انكسر منظاره الطبى ، فكان يدافع عن نفسه دون أن يدرى بوضوح ما الذى كان يفعله . . وبعد مناقشات ومقالات دفاع عنه . . أودعوه هذا السجن . . وربطوه بكلمة شرف وهى ألا يهرب .

وصديقى السجين (استيفانو كاريللى) راح يدير هذا المطعم

لمدة أربع سنوات دون أن يفكر لحظة فى الهرب . . فهو ينزل إلى السوق ويشترى الخضراوات ويمسك الدفاتر ويحاسبونه على النفقات وعلى مكاسبه . . وكان دقيقًا أمينًا شريفًا . .

وقد كافأته وزارة العدل بأن منحته المفتاح والقفل لهذا السجن . . يعيش فيه مدى الحياة . . فإذا مات انتقل إلى سجين كما كان من مائة عام !

مسلسل الأرنب فات
وفى ذيله سبع عباطات

فى التليفزيون مسلسل اسمه (الثعلب) وهو من ملفات المخابرات المصرية . . يعنى أنها قصة حقيقية . . مع أنه ليس من الضرورى أن تكون هذه القصة قد وقعت . . فالإنسان يستطيع أن يخترع قصصًا محبوكة ذات خيال علمى . . وقد رأينا مئات المسلسلات البوليسية والمخابرات كانت تحفة فى الأداء والاختراع . .

ولكن فى مصر عادة سخيفة جدًا . . وهى أنه إذا ظهر محمود عبد العزيز فى فيلم عن الجاسوس (رأفت الهجان) لابد أن يظهر نور الشريف فى فيلم عن (الثعلب) وقبل ذلك فيلم عن (الصعود إلى الهاوية) لا مانع . فمن حق أى واحد أن يكتب وأن يمثل ما يعجبه . والناس أيضًا لهم نفس الحق فى الفرجة أو التحول إلى أى مسلسل آخر فى أى تليفزيون مصرى أو أجنبى . .

وكانت فى معظم هذه المسلسلات أخطاء فنية . . أو أخطاء منطقية . . وهذا يدل على أن رجال المخابرات لم يتدخلوا فى التنفيذ . أو أنهم عرضوا على المخرجين المصريين قصصًا مختلفة عن الأحداث الحقيقية إمعانًا فى التغطية والتمويه .

أما مسلسل الثعلب بطولة نور الشريف فهو نموذج للسذاجة والعبط . وليس هذا رأيى وحدى ولكن رأى الألوف الذين شاهدوا المسلسلات الأجنبية المحبوكة المسبوكة . والمخابرات اسمها

بكل اللغات الأجنبية : لعبة الذكاء . . أو حرب الذكاء . . والذكاء المضاد . . قصة الذكاء والدهاء ! وهى لعبة خطيرة ولكنها ضرورية للأمن القومى . .

ففى مسلسل الثعلب كلام كثير وثرثرة لا معنى لها كأن المشاهد طفل رضيع . فهم يعيدون ويزيدون . ورئيس المخابرات لأنه ليس بطل المسلسل فهو آخر من يعلم . . لا عنده فكرة ولا عنده تجربة ، إنه أقل وعيًا وفهمًا من جميع المشاهدين؟!

مثلاً : فى إحدى الحلقات كان لابد أن يتابع نور الشريف الجاسوسة الإسرائيلية . وسار وراءها إلى إحدى الجزر . . ودخل وراءها البيت التى تذهب إليه مع أحد الزنوج الذى يضربها بالكرباج إلخ . . ودخل وهو باسم الله ما شاء الله قد زاد وزنه . . ومعه مصور سينمائى يحمل كاميرا فى حجم ماكينة الخياطة . . دخل الاثنان . . وفتحا الباب على الجاسوسة والزنجى . . ومن الباب التقطا لها صوراً لاستخدامها ضدها وإذلالها بعد ذلك - والخوف من الفضيحة هو إحدى الخطوات لتهديد الرجل أو المرأة التى سوف تكون عميلة للمخابرات . .

تصور أنه لم يذهب بنفسه قبل ذلك ثم دخل البيت فى غيابها ودرسه وعرف مداخله ومخارجه . بل لم يكن من الضرورى أن يدخل إطلاقًا . . وإذا دخل فلابد من أن يقنع المتفرج أن دخوله ضرورى . وأن الذى فعله أمامنا لا يستطيعه أحد سواه . .

وقد أحدث نور الشريف والمصور أصواتًا . . وخرج الزنجى . وهو الآخر لم يشاهد شيئًا . .

ونتساءل : كيف أن جاسوسة إسرائيلية تذهب وحدها دون حراسة . . وكيف أن بيتاً كهذا الذى تذهب إليه ليس معروفاً ولا مرصوداً . . ولا خاليًا من الكاميرات . . ولا كيف تستطيع جاسوسة أن تكون لها حياة خاصة لا تعرف عنها المخابرات شيئًا . .

وكلام كثير عبيط . . كما أن الحيل التى تستخدمها المخابرات المصرية ساذجة ومتخلفة جداً عن الذى نراه فى المسلسلات الأجنبية والواقعية أيضًا . . ولا شىء يبعث على الضحك إلا منظر كبار رجال المخابرات المصرية ورئيسهم وهم فى حالة من الانهيار للحيل الساذجة التى يستخدمها الجاسوس المصرى نور الشريف . .

فهل الذين أخرجوا الفيلم لم يروا مسلسلاً واحدًا أجنبيّاً ؟ هل هم التزموا بحرفية ما حدث فى مصر فى السبعينات ؟ وهل الذى حدث بهذه الدرجة من السذاجة؟ وهل من رأى مصر أن مخابرات إسرائيل بهذا العبط ؟

طبعًا البطء شنيع فى هذه المسلسلات كأنها قصة غرامية وليست قصة صراع جبار بين عقول متوحشة هنا وهناك .

الشىء المضحك أيضًا دخول المخابرات المصرية جناح جاسوسة إسرائيل فى أحد الفنادق المصرية . . ألم يتصور واحد أن الجاسوسة الإسرائيلية وراءها من يحرسها ومن يوجهها ومن يراقبها؟! هل لم يتصور أحد أن جناحها ليس مليئًا بأجهزة رصد الصوت والصورة؟! هل يمكن أن تترك المخابرات المصرية كل شىء للصدفة؟! كيف لم يكن عامل الأسانسير والجرسون وكل

من يتـصل بالجـاسـوسـة الإسـرائيليـة من عـمـلاء الـمـخـابرات المصرية . وكذلك سائق التاكسى وعدد من سفرجية الباخرة التى تناولت فيها الغذاء؟!

إن الذى شـاهدناه لا هو ثعلب ولا هو كلب ولا هو قط ولا هو أرنب . . إنما هو عبط قائم على استعباط المشاهد المصرى الذى انفتحت أمامه الدنيا فيرى عشرات القنوات العالمية . . ليستمتع بالإعجاز فى الفكرة والتنفيذ والأداء . . إنها حرب العقول العالمية وليست حرب الحملان والعجول !

أطفالنا مجرمون تحت التمرين

انقلبت الدنيا فى بريطانيا لأن اطفالاً قتلوا طفلاً . كيف فكر طفل؟ كيف دبر ؟! كيف استدرج طفلاً وكيف تعاون المجرمان الصغيران على قتل الثالث البرىء ؟!

لقد كان هذا الحادث زلزالاً أخلاقيّاً دينيّاً وتربويًا . . كيف أصبح الأطفال مجرمين؟ ما السبب ؟ من السبب ؟

رجال الدين قالوا : نقص القيم الأخلاقية ونقص التوعية وعدم التمسك بالدين .

علماء الاجتماع قالوا : غياب الأبوين . . قد قتل هذا الطفل الصغير عندما ذهبت الأم تتفسح على الشاطئ . . ولما استدعوا الأم أغفلها البوليس وراح يسألها عن هذا الإهمال الذى أدى إلى مقتل مواطن برىء ؟

ورئيس الوزراءجون ماجور قال : إنه التليفزيون وما فيه من مسلسلات العنف على جميع القنوات . . الجرائم وقصص الأشباح . . وسلاسل الرعب . هى التى جعلت الأطفال يعتادون على رؤية الرصاص والدم . . ويرون ذلك شيئًا عاديّاً . . أو من مظاهر البطولة . . وطبيعى أن يقدموا ذلك . وهنا تكمن خطورة التليفزيون ونصبح شركاء فى الجريمة . . وغيرها من الجرائم . .

ورجال التليفزيون قالوا : إن رئيس الوزراء يعلق الجريمة كلها على عنق التليفزيون . . كأنه لا توجد مصادر أخرى للجريمة فى

الصحف . . وفى بريطانيا صحف تعيش على الجريمة وعلى الفضائح . . ثم أن هناك الكرتون الذى تموت فيه الأطفال . . وفى الكرتون يوجد الصراع الأبدى بين توم وجيرى . . والطفل يتفرج على الصراع . . ويرى الأعمال العنيفة التى يفعلها القط بالفار . . وانتقام الفأر الضعيف من القط . . هذه صورة من العنف !

ورئيس وزارء بريطانيا يقول لا سلطان على التليفزيون ولا أتدخل فى كل ما تكتبه الصحف !

والصحف تقول : ليس من واجبنا أن ننشر صورة مزيفة للواقع . . فإذا قتل رجل عشيقته نشرنا أنه قرر أن يتزوجها وأن ينجبا صبيانا وبنات وأن يعيشا فى التبات والنبات . . وكل هذا كذب وتزييف للواقع . . ولابد من عرض الواقع كما هو لكى يعرف الناس ماذا يفعل الناس بالناس . . ولكى يفكر علماء التربية والدين والسياسة والاقتصاد فى علاج لكل ذلك !

وكلهم مسئولون عن الذى حدث والذى من الممكن أن يحدث غدًا وسوف يحدث . .

ولكن بالنسبة للأطفال فى بريطانيا وفى مصر فالواجب يحتم على الآباء أن يرقبوا ما الذى يراه الطفل . . ما الذى يجب أن يراه . . وكم ساعة أمام التليفزيون ليتفادى الطفل وهج الوميض الإشعاعى الذى يهدد نور عينيه ويهدد برمجة خلايا الجسم الذى ينمو ولا يزال ينمو .

لمعلوماتك كل خلية فى جسم الإنسان قد أودع الله فيها برنامجا خاصا بطول عمرها ووظيفتها . وهى لاتخرج عن البرنامج فهو الذى نسميه السرطان . . فالسرطان نمو مجنون غير مبرمج

للخلايا ثم استدراج لخلايا أخرى ليقوم بنفس الفوضى المهلكة فى جسم الإنسان . .

فالمشكلة تبدأ من البيت وتعود إلى البيت . . وهذا يجعل المسئولية الثقيلة فوق دماغ كل من قرر أن يكون له طفل ثم يترك البيت هو وزوجته لكى يعملا . . أما الطفل فهو كلب ضال تعلمه الخادمات ، ويصيبه التليفزيون فى جسمه وفى عقله . . وما دامت المرأة قررت أن تعمل وأن يكون لها دور قيادى ، فالمصيبة تقع فوق دماغ طفلها . . فإما أن تكون أما لطفل سليم ومواطن كريم ، وإما أن تكون سيدة عاملة ، مهما كان الثمن . . من فشل حياتها الزوجية ودخول أطفالها إلى السجون مجرمين ولصوصا يلعنون اليوم الذى تزوج فيه أبوهم من أمهم . .

إننا نطلب من التليفزيون أن يعلن من حين إلى حين أن التليفزيون ضار بعيون الأطفال وبصحتهم ، وأن الطفل يجب أن يجلس بعيدًا عن الشاشة مترين وفى غرفة مضاءة ولمدة ساعتين فقط من كل يوم . .

إننا نحذر المدخنين من أضرار التدخين . ونكتب ذلك على كل علبة .

ونكتب تحذيرات أيضًا على الأدوية ونطلب أن تكون بعيدة عن أيدى الأطفال وأن نحتفظ بها فى مكان بارد وألا تبتلع شيئًا منها إلا بإذن من الطبيب . .

وإلا فلن نلوم إلا أنفسنا إذا حدث لأطفالنا ما يحدث فى العالم . . والسبب هو : إهمال الأبوين !

هذه العفاريت
صناعة إنسانية !

نحن الذين نخلق العفريت لكى نخاف منه .. كأننا قررنا أن نكون دائما فى حالة خوف .. فلا يوجد أى اختراع جديد ، إلا تحدث العلماء عن أضرار هذا الاختراع .. سواء كان الاختراع هو الراديو أو هو التليفزيون أو هو التليفون المتنقل الذى يسبب سرطان المخ .. أو هو الفرن الميكروويف ..

وكل الأدوية ابتداء من الإسبرين حتى المضادات الحيوية كلها ضارة .

ولو قرر إنسان أن يشرب الماء من الحنفية أو من الترعة مباشرة فسوف يجد ألف واحد - أنا من بينهم - يقول له : إن الماء الذى تشربه مسموم لأن ألف مصنع تصب فيه النفايات الكيماوية من أسوان إلى رشيد .. وتصب فيه كل المخلفات الإنسانية والحيوانية من المزارع والفنادق العائمة .. والفلاحون يلقون فى النيل بالأبقار الميتة والكلاب والحمير .. وبين هذه الجثث ينزلون فى الماء ويستحمون ويشربون ويتبولون أيضا ؟!

وهناك رأى بأن الشاى أكثر ضررا على الكبد من المشروبات الكحولية .. وأن (الكافيين) الموجود فى الشاى والقهوة أكثر ضرراً من النيكوتين الموجودة فى السجائر ..

وأن الخضروات التى نأكلها والموالح التى نشربها أكثر ضرراً من المواد الكيماوية التى نشربها على شكل عقاقير ..

والخلاصة : أن الأدوية تسبب الأمراض أكثر مما تشفى من الأمراض . . أو بعبارة أخرى : كل دواء له داء ، وكل داء له دواء!

والتليفون مثلا هو أحد الأسباب إلى تؤدى إلى الصمم ! وهو أحد الأسباب التى تؤدى إلى الصداع المؤقت . . ثم الصداع المزمن . . ثم الصداع النصفى . . وهذا يفسر سر إصابة السيدات بالصداع أكثر من الرجال . . ومهما قلنا للمرأة أن تعتدل فى الرغى فى التليفوم فلن تسكت ، ولو انقطعت حرارة التليفون فإن مئات الملايين من النساء يمتن من البرد - والله فكرة .

أما كل أدوات التجميل التى تستخدمها المرأة فضارة : المواد الكيماوية التى تضعها على الجلد . . والتى ترسم بها عينيها . . والتى تصبغ بهل شفتيها . . والمادة السامة مائة فى المائة - الأسيتون - التى تمسح بها أثر اللون فى أظافر قدميها ويديها . . وكذلك الصبغة التى تستخدمها مع السشوار الساخن جدا فإنه يصيب شعرها بالتقصف . . ويصيبها أيضاً بالصلع . . ولذلك اخترعوا لها (الباروكة) التى هى مرض وليس علاجا . .

أما أعظم اختراع فى تاريخ الأناقة الأنثوية فهو الكعب العالى الذى اخترعته الأميرة كترين دمديتشى والذى يرفع طول المرأة عن الأرض بضعة سنتيمترات . . . . ويجعلها تميل إلى الأمام والخلف . . فيظهر صدرها وردفيها . . ثم أن كل ذلك يترجرج أثناء المشى . . فالكعب سبب أوجاع العمود الفقرى وسبب االصداع النصفى . . ولكن لن تسمع المرأة كل هذه التحذيرات ؟ أبدا . . ولن تسمع ، وسوف تنتقل من كعب طوله سنتيمتر إلى

خمسة وستة وعشرة كمان . . وسوف تتعاطى جميع المسكنات بسبب الألم فى عنقها وفى ظهرها وفى ركبتها وفى دماغها . . والسبب الكعب العالى . .

فالسيدة الأولى فى أمريكا هلارى كلنتون ماذا فعلت عندما أصبحت زوجة الرئيس؟ . .

أطالت كعب جزمتها ، ووضعت عدسات ملتصقة على عينيها . . وغيرت لون شعرها ورسمت شفتيها بما يجعل فمها الواسع ضيقاً قليلا . . وكانت عندها سنة مكسورة فوضعت سنة من البلاتين . . ثم غيرتها بسنة من الذهب . . وغيرتها ووضعت سنة من الخزف ، وشكت من الصداع ، فنزعوا لها السنة .

وبعملية حسابية جدا سوف تجد أن الإنسان مخترع عظيم ، مخترع الإسبرين والقنابل الصاروخية والعنقودية والجرثومية والنووية وهو الذى اخترع لها الأسلحة المضادة أيضا . .

فنحن - إذن - نعيش فى عصر الرعب . . فنحن نخترع الرعب ونخترع الوقاية منه . . نكتشف الميكروبات ونخترع الأدوية الواقية والتى تخيفنا من أمراض جديدة !

إن الإغريق قد صوروا من ألوف السنين هذا المعنى . . فآلهة الإغريق عاقبوا البطل بروميثيوس وربطوه بالسلاسل وأتوا بنسر عظيم يأكل قلبه . . وكلما اختفى القلب ظهر له قلب جديد وراح النسر يأكله إلى الأبد ، لماذا ؟ لأن بروميثيوس هو الذى سرق الشمس وأعطاها للإنسان . . سرق النار . . وأعظم اكتشافات الإنسان هو :

النار . . فهى التى أضاءت لياليه وهى التى أنضجت طعامه . . وهى التى دفعت فوق القضبان القطارات ، وهى التى دفعت إلى السماء الطائرات والصواريخ . .

وكانوا لا بد من أن تعاقب الآلهة برومثيوس بسبب هذا الاكتشاف العظيم . .

وأصبحنا نحن الذين نعاقب أنفسنا على كل اكتشاف واختراع ، وبذلك نحن نملأ الدنيا حولنا بالعفاريت ونملأ نفوسنا بالخوف منها . . عجبى !!

البقية في شعر رأسك!

هل أعتذر عن أننى أول من لفت نظر الصحف العربية إلى العراف الفرنسى الشهير نوستراداموس (١٥٠٣ - ١٥٦٦) والذى توقع بكل ما حدث فى العالم فى القرون الستة الماضية . . لقد كان نوستراداموس ، وهو من أصل يهودى ، طبيباً وقارئًا للطالع . . وكان بارعاً . فقد ساعد على شفاء كثيرين وخاصة أيام إصابة أوروبا بالطاعون سنة ١٥٥٥ . ولكنه انتقل من شفاء المرضى ، إلى معرفة المستقبل . . مستقبل الملوك والأمراء والشعوب . .

وقد اختاره الملك العاشر عرافاً له . .

وقد كتب نوستراداموس توقعاته على مراحل . . كل مرحلة هى قرن من الزمان ، ولذلك نشر كتاباً بعنوان (القرون) . . عشرة قرون . .

وقد فزع الناس من توقعاته الصحيحة وقد خاف من الرؤساء على نفسه . ولذلك كتب توقعاته باللغة الفرنسية القديمة وأدخل فيها كلمات لاتينية ويونانية وعبرية وعربية أيضاً . مما جعلها صعبة على الفهم . ولذلك صدرت تفسيرات عديدة لهذه التوقعات . أحدثها كتاب صدر فى ألمانيا عن تفسير هذه التوقعات فى ضوء الأحداث الجديدة .

وكنت أيضاً أول من نقل توقعات نوستراداموس عن حرب الخليج . .

فهو تحدث عن النار حول الآبار وعن النار فى الماء تقتل الأسماك . . ووصف الطائرات بأنها قطع من النار تنزل من ارتفاع خمسة أدوار فما فوق فى القرن السادس عشر يعتبرونه ناطحة سحاب . وهو يقصد نيويورك الجديدة أى بغداد . .

وكتب اسم صدام – صيام . . كما كتب هدلر بدلاً من هتلر . . ووصف الغواصات بأنها أسماك تهبط إلى قاع الماء ولها عيون على سطح الماء وتخرج منها النار . .

ووصف صدام حسين بأنه أمير عربى يشعل النار فى بيوت إخوته . . ولكنه لن يكسب فى النهاية . .

وقال : إن اتفاق دولتى القطب الشمالى سيؤدى إلى السلام – يقصد روسيا وأمريكا . . وتحدث عن انهيار الإتحاد السوفيتى فقال : إنه دولة الدب الأكبر سوف تتفكك وتتحول ذئابها إلى أغنام . . وسوف يؤدى ذلك إلى سقوط شيخ القبيلة – جورباتشوف ؟!

ووصف الصراع بين المسلمين واليهود بأنه طويل . . ولكنه سوف ينتهى لصالح المسلمين . . وأن اليهود سوف يصابون بنكسة كبيرة . وأنهم سوف يتركون أرضهم ويهربون إلى بلاد أخرى . . ولكن العرب سوف يختلفون معاً . مما سيضعفهم وسوف يجعل من السهل على أى واحد منهم أن يتسلط ويتسلطن عليهم . . ولكن هؤلاء العرب مكتوب عليهم ألا يكونوا كتلة واحدة وأن تتفرق بهم اللهجات حتى ليجدوا من الصعب عليهم أن يتفاهموا .

ونشرت كل هذه التوقعات أثناء حرب الخليج . واستراح الناس إلى ما قاله نوستراداموس ، وراحوا يبحثون عن كتبه بكل اللغات

التى يعرفونها . ظهرت ترجمات وملخصات عربية واسعة الإنتشار!

وأخذ الكتاب المصريون والعرب يجتهدون هم أيضاً فى تفسير ألغاز نوسترادموس . .

ورجعت مرة أخرى إلى قراءة توقعات العراف الفرنسى لنهاية القرن العشرين وبداية القرن التالى فوجدت :

١ - أنه يتوقع مشاكل كبيرة فى العالم العربى . . ودماء ودخاناً وقتلا هنا وقتالا هناك . . ولكن لن تقع حروب أهلية . .

٢ - أن هناك كثيراً من الدخان دخان منطلق ودخان مكتوم . . وكل ذلك حول آبار البترول . . شىء هام جداً استقر فى الشرق الأوسط هو الخوف ومن ورائه الكراهية وأن شيئاً هاماً قد اختفى من الشرق الأوسط هو : السلام والأمان !

٣ - ظهور قائد عربى سيقود العالم العربى ويوجهه وينجح أول الأمر ويفشل بعد ذلك . . وينتهى دوره فى منتصف القرن الواحد والعشرين . . والدول الكبرى التى ساعدته هى التى ساعدت على سقوطه وسوف تتدخل من جديد لتلعب دورها التقليدى حتى لا يكون استقرار .

٤ - سعيد من ليس عنده أطفال عند بداية القرن الواحد والعشرين فسوف تنتشر أوبئة ساحقة ماحقة للأطفال الصغار . ولكن الطب الحديث سوف يتدارك هذه الكائنات البريئة ولكن بعد أن يكون قد قضى على الملايين منها !

وسوف أوافيكم بأية اجتهادات جديدة عن قراءة توقعات نوسترادموس . . وكل هذه التوقعات كما ترى فى لون الأسفلت والصبغة الرديئة التى يستخدمها العواجيز فى شعر رأسهم !

ومن يومها :

لا شيكولاتة !

المدرسة هى مدرسة السنبلاوين الإبتدائية .. وكنت أسافر إليها يومياً فى قطار الدلتا الصغير من قرية (نوب طريف) .. وفى القطار تدور مناقشة كل يوم وتنتهى بهذا السؤال : أنت ابن مين ؟

فأقول : بابا محمد منصور مأمور عدلى باشا يكن .

– آه .. طيب يا سيدى .. معلهش .. سلم على بابا !

وسبب هذا الحوار أننى لم (أقطع) تذكرة القطار ذهاباً وإياباً .. ولم أعرف السبب .. لماذا أنا لا أقطع تذكرة؟ .. ولماذا لم يشأ والدى أن يقطع لى تذكرة؟ .. وكذلك الخفير الذى يوصلنى كل يوم على ظهر حمار أبيض إلى محطة السكة الحديد لا يقطع لى تذكرة .. ولا مرة ..

وفى بعض الأحيان يجىء كمسارى لا أعرفه .. ويقول لى : تذكرة ياابنى .

فأقول له أنا ابن محمد أفندى منصور مأمور عدلى باشا يكن ..

– طيب وماله يابنى

– ....

– يعنى مفيش تذكرة .. طيب ياسيدى ..

– ....

وعادة لا أجد ما أقوله لهذا الكمسارى أو أى كمسارى آخر .. إذن هم قد لقنونى أن يكون هذا هو الرد فى جميع الأحوال .. ومن الممكن بعد أن قلت هذه العبارة المحفوظة أن أخرج الساندوتش وأتناول إفطارى كأن شيئاً لم يكن .. وأمام هذه (البديهية) اليومية فإن الكمسارى لا يجد ما يقوله .. فالمبلغ المطلوب هو قرش والمسافة هى ثلاثة كيلو مترات وكان من الممكن أن أذهب إلى المدرسة على ظهر حصان أو حمار أو فى عربة حنطور .. ولكن والدى أراد أن (يشرف) السكك الحديدية بسفرى يوميّاً .. ومن يدرى ربما التقى هذا الكمسارى بوالدى وعرفه قائلاً : بسلامتك ابن حضرتك يركب معى القطار كل يوم .. ربنا يخليه لك مؤدب ومهذب .. ويكون رد والدى : متشكر جداً .. إنه أمانة بين يديك ..

يعنى أن والدى لن يكتفى بأن أركب مجاناً ، وإنما يكلف الكمسارى بالاهتمام بى ورعايتى مجاناً أيضاً ولا داعى لشكر الكمسارى ، فهو لم يؤد لنا أية خدمة .. فركوب القطار مجاناً ليس مجاملة من هذا الكمسارى .. وإنما أى واحد سوف يفعل ذلك . لماذا ؟ أهو كده .. وفى الريف كان البائع إذا رأى والدى .. فإنه يقدم له البضاعة دون أن ينتظر ثمناً بل وأحياناً يرفض الثمن ..

وكان المدرسون يعرفون والدى جداً . تحدث لهم فى الشعر والأدب والتاريخ .. ثم إنه مأمور تفتيش عدلى باشا يكن رئيس الوزراء ..

وكنت تلميذاً مجتهداً وكانت لى حادثة مشهورة وظلت مشهورة عشرات السنين حتى بعد أن تركت المدرسة . . فقد أعطانى مدرس اللغة العربية صفراً فى الإنشاء . . وغضب والدى وبكيت بكاءً مرّاً . . وأتى بى إلى ناظر المدرسة وجاء ناظر المدرسة بمدرس اللغة العربية . وقال مدرس اللغة العربية أننى ملأت موضوع الإنشاء بآيات من القرآن وأبيات من الشعر ولابد أننى نقلتها من أحد الكتب !

وهنا وضع والدى ساقاً على ساق وقال : هل تعرف أن ابنى قد حفظ القرآن الكريم وهو فى السابعة من عمره . . هل تعرف أنه يحفظ نهج البردة والبردة - والهمزية ولامية العرب وبانت سعاد . . هل تعرف أنه يحفظ مئات القصائد . . إننى سوف أختبره أمامك .

وراح والدى يسألنى عن قراءة سور من (القرآن الكريم) . . وأن أردد القصائد العربية القديمة . . وقصائد والدى . .

وشعر المدرس بالخجل وأعطانى عشرة على عشرة فى الإنشاء . . هذه المرة وكل مرة . .

ولا أعرف أين صار مكانى بين التلامذة والمدرسين . . فإن ترتيبى الأول فى المدرسة الإبتدائية وبعد ذلك فى الثانوية والجامعة . .

حتى كان ذلك اليوم . . فأنا لم أكن أعرف أن الناس يشربون فى الصباح شيئاً آخر غير اللبن واليانسون . . فلم أكن قد ذقت الشاى أو القهوة . . والدى كان يشرب الشاى بالنعناع . . وكنت

كذلك . . وكان الشاى مصحوباً بالشعر الجميل الذى أردده وراءه دون أن أفهم معناه . . فأنا مأخوذ بالموسيقى الجميلة . . مع رائحة الشاى والنعناع فى الساعات الأولى من الصباح . .

فى ذلك اليوم وفى المدرسة كان المدرس يتحدث عن الشعوب وعن أشكالها وألوانها . ثم فجأة قال عن الأحباش أنهم فى لون الشيكولاته . . أو فى لون الكاكاو .

ورفعت إصبعى أسأل : يعنى إيه كاكاو ؟

وضج الفصل كله بالضحك . .

وكان التلاميذ قد انتظروا هذه الفرصة للسخرية من أكثر الطلبة اجتهاداً وتميزاً وتفوقاً . . وغرقت فى عرقى كأنها أمطار الحبشة سقطت فوقى أنا وحدى وفى دور الخجل من التلاميذ والحرج والأمطار والحرارة والدهشة :

أيه يا ابنى ما تعرفش يعنى إيه كاكاو . .؟!

- . . .

- هه . . ما تعرفش ؟

- لا . .

- طيب ما أكلتش شيكولاته ؟

- . . .

- هيه ما تعرفش شيكولاته كمان ؟

- لا . .

ولا يزال الفصل كله يضحك . .

وحاول والدى أن يصحح هذا الخطأ فى بيتنا . . فظهرت الشيكولاته وظهر الكاكاو . . وملأت رائحتها البيت كله . .بل وانتقلت أيضاً إلى بيوت أقاربى . . ولم يفلح والدى ووالدتى وجميع أقاربى فى أن يضعوا الكاكاو فى فمى . . أو يجعلونى أذوق الشيكولاته بمختلف أشكالها وألوانها . . أبداً . .

ورأيت فى الدنيا أشكالاً وألواناً من الشيكولاته . . بالفستق والبندق واللوز والجوز . . وبالشربات .

أبداً . . لم أذقها . . ولم أجدها مغرية فى أى وقت .

وفى المرة الوحيدة التى اضطررت إلى أن أشرب الكاكاو فى بيت أحد المرضى من التلاميذ . . وذهبت إليه أزوره وقدم لى الكاكاو عن غير قصد . . لأنه رأى أن الكاكاو أكثر فخامة من القهوة ومن الشاى . . ووضعت الكاكاو فى فمى وظللت ساكتاً لا أتكلم أهز رأسى فقط . . لأننى غير قادر على ابتلاعها . . وبعد وقت طويل ذهبت إلى دورة المياه ألقى الكاكاو من فمى . .

ومضى على ذلك ستون عاماً وأنا لا أقوى على قبول هذه الإهانة المدوية من سخريات التلاميذ الصغار . . ولا بد أنهم نسوا . . ولابد أن المدرس إن كان حياً قد نسى . . ولكن (العيل) فى أحشائى لم يستطع ولن يستطيع !

١- عيل فى أعماقك :
فلما سقط الحصان !

كان ذلك من أربعين عاما .. ذهبت أتفرج على مدينة الملاهى بالقرب من إمبابة .. كنا ثلاثة : الفنان حسن فؤاد والفنان جمال كامل وأنا .. وكل شىء حولنا يبعث على الضحك أو على المرح أو على الإحساس بأنك بعيد عن نفسك .. عن همومك .. عن وجع قلبك .. أى أن الواحد منا قد وجد ما يلهيه عن مشاكله .. فالدنيا حولنا هى الملاهى .. الأشياء الكبيرة الملونة المتحركة التى لها دوى .. وهذا الدوى هو الذى يجعلك لا تسمع نفسك .. ولا دقات قلبك .. والذى يجعلك لا تنظر إلى نفسك .. وإنما أنت مشغول بالغير .. والانشغال بالغير هو ما تفعله من أجل الراحة النفسية والعقلية هو أن تجد أحدا أو شيئا أو حوارا أو حديثا أو مقالا أو أغنية أو رقصة أو أراجوزا يأخذك من نفسك فتستريح أنت وتستريح نفسك .. بالضبط كده كان حالنا فى تلك الليلة ..

أما أنا فلا أستطيع أن أرى حصانا دون أن ألتفت إليه تحية له وحبا له وإعجابا به .. فالحصان حيوان نبيل فخم رشيق .. فى مشيته كبرياء ، وفى ارتفاع رأسه وعنقه أبهة ..

وكان والدى يرحمه الله يركب الحصان .. وكان يزيد الحصان أبهة وفخامة .. وجمالا .. وكنت أتطلع إلى والدى عاليا فوق

الحصان العالى . . وتتعمق المعانى فى داخلى : الأبهة والجمال . .

وكان والدى يعمل مأمورا لتفاتيش عدلى باشا يكن فى الصعيد وتفاتيش أخت الباشا واسمها نعمت هانم يكن . . ولأخى الباشا عز الدين بك يكن . . ولا يكاد يظهر والدى من بعيد حتى يتهيأ الناس للوقوف تحيه له . . وكان إذا نزل من فوق حصانه امتدت الأيدى تساعده على النزول فيكون أسبق من الجميع إلى القفز على الأرض . .

ويمضى الحصان يتبختر إلى داخل الإصطبل النظيف والذى أعدوه لصاحب الفخامة حصان فخامة المأمور !

وقرأت عن الخيول ودرست تاريخها وهى تنتقل من آسيا حتى جاءت إلى مصر أيام الهكسوس . . ولم نعرف نحن هذه الخيول قبل الهكسوس الذين عاشوا مئات السنين فى محافظة الشرقية . . ولا تزال البعثات الأثرية فى محافظة الشرقية تبحث عن آثارهم وآثار العبرانيين الذين جاءوا معهم . .

كل هذه المقدمة الطويلة لكى أصور لك ما حدث يوم ذهبت أتفرج على الحصان الجميل الأنيق الشاب الحليوة الذى تركبه فارسة بريطانية شقراء ذات فستان لامع . . والحصان يعلو فوق سلم ممتد إلى السماء . . والموسيقى تزفه إلى فوق . . وهو يتبختر ومن فوقه الفارسة الشقراء تتباهى بشبابها وجمالها وفروسيتها . . ونحن تحت نكاد نموت من الخوف على الحصان وعليها . . والموسيقى تدق . . وتصرخ كأنها تستعجل الحصان أن يقفز . .

إلا فى تلك الليلة ، أحسست كأن الموسيقى جنائزية . . وأننا نشهد مأتم الحصان . . أو ندفعه إلى الموت . . إلى الانتحار . . ولكن لا أعرف ما الذى أصابنى وحدى . . لماذا تصورت أنه سوف يموت . . فى تلك الليلة . . فى تلك اللحظة . . لا أعرف . . ولكنه شعور عميق . . من أين جاء؟ . . على أى أساس بنيت شعورى هذا ؟!

قفز الحصان . .

وأغمضت عينى . وفتحتهما بسرعة لكى أرى الحصان ينهض من حوض الماء وبسرعة تنهض معه الفارسة . . طالت اللحظات . . سكتت الدنيا كلها . . كأنها فى خجل من جريمتها . لم ينهض الحصان . والفارسة قفزت من فوقه إلى الأرض بعيدا عن حوض الماء نزل الحصان على دماغه . مات الفارس الجميل الرائع . . هل مات؟ . . هل تعب؟ . . هل انتحر؟ . . هل اختارنى ؟ . . هل انتظرنى حتى أجىء لكى أكتب عنه نعيا لم يتوقف من أربعين عاما؟ . . إن هذا الحصان لم يمت . . إنه ما زال يقفز من قلمى ويموت على الورق . . ولكن لم يمت من لا يزال دمعا فى عينى . . دمعا فى قلمى . . لقد شهدت أكبر جريمة للجمال والشباب والأبهة والعظمة والكبرياء فى ليلة واحدة !

مضت أربعون عاما . . بل لم يمض أربعون عاما . . فمازلت أبكيه . . وأبكيه فى كل حصان أراه حتى لو كان هذا الحصان يمشى على الأرض . . ولكن بسرعة أطارد الحصان بأفكارى وحياتى وخوفى وأدفعه إلى سلم عال ليقفز أمامى وفى عينى ويموت وأذوب أسفا عليه . .

تصور هذا يحدث كلما رأيت حصانا فى الشارع . على الشاشة أى حصان والله العظيم . . حتى أصبحت عاجزا عن رؤية أى حصان !

ومنذ سنوات جاء الجنرال حاييم بارليف إلى القاهرة وبعد لقائه يحسنى مبارك - نائب الرئيس فى ذلك الوقت - طلب منى أن يرى خيول سيد مرعى . وذهبنا . وكان ذلك اليوم قطعة من العذاب - عذابى وسعادته هو الخيول العربية جميلة سبحان الله خلقها رشيقة دلوعة . ووقف بارليف عاشق الخيول العربية أمام مهرة . فقال له سيد مرعى : إنها قد تلد اليوم أو غدا . .

ثم سكت سيد مرعى وقال : إن أنجبت ذكرا فسوف اسميه (بارليف) . . وإن أنجبت أنثى أسميتها (أنيسة)!

وفى اليوم التالى اتصلت بى حرم سيد مرعى تقول لى : مبروك .

- الله يبارك فيك .

- أنيسة !

واتصلت بحاييم بارليف فى تل أبيب وكان مريضا فقلت له : مبروك .

- بارليف ؟

- لا . . أنيسة .

- لماذا ؟

- لماذا ؟ لأنه من الصعب أن تتحمل مصر اثنين بارليف . .

واحد فى سيناء والثانى فى الجيزة .

وذهبت أتفرج على (أنيسة) وكان سيد مرعى سعيداً .. فأنيسة جميلة حلوة .. ولها علامة بيضاء فى جبهتها .. عروس سبحان الله خالق هذا الجمال ..

واستأذنت من سيد مرعى وكان الاستئذان مفاجأة .. ودخلت (دورة المياه) أبكى على فارس مدينة الملاهى الذى لم يمت من أربعين عاما !

ولم أفلح حتى الآن فى أن أدفن الفارس الجميل ، ولا أن أنساه .. ولم أجد حلا رغم كل الذى تعلمته من علم النفس .

فلا أنا غير قادر على النسيان ويبدو أننى لا أريد أن أنسى . فبعد وفاة أبى وأمى ، لم أجد إلا هذا الحصان أبكى عليه !

٢- عيل فى أعماقك :
كل ما هو زجاج !

فى امتحان الشهادة الإبتدائية جلست أبكى .. ولاحظ المراقب أننى لا أمسك قلما . وإنما فقط أبكى وإقترب وسألنى :

- مالك يا ابنى .. مش عارف ترسم ؟
- ..
- فيه حاجة يا ابنى ..
- مش عارف ..
- مش عارف إيه ؟
- مش عارف يعنى إيه .. كولونيا .
- لا تعرف الكولونيا ؟
- لا ..
- لم تر زجاجة كولونيا فى حياتك ؟
- لا ..
- يا سلام .. ولا عند الحلاق ؟
- ولا ..
- وقال التلاميذ : إنه أول المدرسة .. إنه لا يكذب ..

وعاد المدرس وقد وضع يده على كتفى : طيب شفت قزازة زيت ؟

- أيوه قزازة الكولونيا زيها بس أصغر شوية . .

مدورة . .

وأخرج المراقب ورقة وقلما وحاول أن يرسم زجاجة كولونيا . . كان التلامذة يضحكون ويسخرون منى . . لا أعرف ولكنى كنت فى دوامة . . ودوخة وعرق وحرارة . . وعواصف تهب على دماغى . . وشىء يتلوى فى أعماقى . . والأرض تدور . . والمراقب أيضا .

ولاحظت إننى بعد ذلك لا أحب أن أمسك الأكواب الزجاجية . . وكانت فى أحيان كثيرة تتساقط من يدى . . ولا أعرف السبب . . ولا حاول أحد أن يعرف . . إنه إهمال منى . . أو إننى ارتطمت بشىء ما فسقطت الأكواب من يدى . .

ولاحظت أيضا أن مصابيح النور تحترق . . ولا أكون أنا السبب . فلا أكاد أرى شيئا زجاجيا حتى ترتعش يدى فيسقط الكوب أو تحترق المصابيح - حتى الآن !

وقد تغلبت على هذا الخوف كثيرا جدا . . ولكن فى بعض الأحيان يحدث شىء بعد ذلك ، وأعرف السبب العميق والذى لا يزال باقيا منذ الطفولة .

ولكن وجدت تعديلا فى داخلى . . تعديلا لم أتدخل فيه وإنما راح ينمو وينمو حتى أصبح عادة متأصلة . . فقد ظهرت

أمـامى وورائى وفى شنطتى زجـاجـات عطور من كل نوع ولون وحجم . . وكل من يسألنى عن هدية فى عيـد ميـلادى أقول : هات زجاجة كولونيا . .

حتى صارت عندى العشرات . . ثم إننى أفضل أن أجعلها هدية للآخرين . . وأول مرة ذهبت إلى ألمانيا طلبت - دون وعى منى - أن أرى مدينة كولونيا وهي المدينة التى نسبت إليها كل أنواع العطور . . وليس ماؤها عطراً . . ولا نهرها عطرا ولا الرائحة الغالبة عليها هى العطر . . وإنما أتجت العطور واتخذت كل أنواع العطور اسم (ماء كـولونيـا) . . ودخلت هذه الكلمـة كل لغـات الدنيا . .

وكأننى لا أصدق . . فقد نزلت فى زورق فى النهر ومددت يدى أبللها بماء كولونيا . . كان ماء عاديا !

ولا أعرف أين قرأت أن الإنسان يستطيع أن يدرب حواسه وأن يستخدمها . . حاسة الإبصار أو حاسة الشم . . ووجدت أن تدريب حاسة الشم أسهل . . فأنا شديد الحساسية . . وأجد سهولة فى تمييز الروائح . بل إننى أهتدى بالشم . . فألاحظ ذلك على نفسى وأنا أمر أمام البيوت . . وأعرف أن البيت الفلانى يخرج منه هواء بارد وفى الهواء البارد يوجد قليل من رائحة البصل والسمن . . أو توجد رائحة من الجاز مخلوطة بالخل . . والبيت الذى عند بداية الشارع تخرج منه رائحة الطرشى دائما . وعرفت أن فى الدور الأرضى يوجد براميل الطرشى . . والبيت الذى على الناصية تخرج منه رائحة العطور وإذا وقفت أمام الباب فإن الرائحة

لا تخف وإنما هى ثابتة . . وعرفت فيما بعد أن هذا الاستنتاج صحيح . . فصاحب البيت عنده دكان عطارة . . ولا بد أن البهارات والفلفل والكمون والشطة واليانسون موجودة بكميات كبيرة فى البيت . . فهى المصدر الثابت لهذه العطور . .

وكنت أعرف إن كانت أمى موجودة فى البيت . فهى تضع نوعا من العطور . . لاأعرف اسمه ولكن أميزه عن غيره . . ويكون قويا إذا اقتربت من الباب . . أى أنها دخلت الآن . . ويكون ضعيفا إذا خرجت من البيت . .

وأستطيع فى الظلام أن أميز بين ملابسى وملابس غيرى فى البيت من الرائحة . . رائحتى ورائحة إخوتى ليس البيجامات فقط وإنما الملابس الداخلية والجوارب أيضا . . والمخدات واللحاف . .

وكنت أهتدى إلى حاجياتى بالرائحة وكنت أفتعل الصداع فى دماغى . . وأطلب من زملائى أن يقتادونى إلى البيت من طرق مختلفة وكنت أغمض عينى دون أن أخبرهم عن السبب الحقيقى . . وكان السبب الحقيقى هو أننى أستطيع أن أهتدى إلى شارعنا بالرائحة . . ولا أخبر أحدا بذلك حتى لا يقارنوا بينى وبين القطط والكلاب .

وبذلك أعطيهم مادة جديدة للسخرية منى !

ولم أعرف ماهى الفائدة من استخدام حاسة الشم إلى هذه الدرجة . . وانشغلت عن ذلك تماما . ولا أظن أننى أستطيع الآن أميز البيوت والشوارع بالرائحة . .

وظلت قدرتى على الشم تنحسر حتى تركزت فى شىء غريب جدا . فأنا أستطيع أن أشم رائحة كتبى . . رائحة الغلاف . . وأعرف إن كان أحدا غيرى قد قلّب فى الكتب التى على مكتبى . .

فأقول : إن الخادم لم يكتف بتنظيف الغرفة وإنما راح يقلب فى هذه الكتب هذا مؤكد .

وينكر الخادم . ولكن عندما أؤكد له أننى لا أتهمه بشىء وإنما أريد أن أعرف . . ويكون استنتاجى صحيحا . فعلى الغلاف توجد رائحة البصل أو الجاز أو الفليت - وكلها ليست رائحة !

وفى يوم غضبت غضباً شديداً . وأقسمت أن أذهب بالخادم إلى البوليس . . وإذا لم يصارحنى بالحقيقة فسوف أتهمه ظلما بأنه سرق وأنه وأنه . .

وأتيت بأحد الحراس وطلبت إليه أن يمسك الخادم تمهيدا للذهاب به إلى البوليس إن لم يعترف . وإذا اعترف فأقسم بالله العظيم أننى لن أفعل به شيئا . . فقط أننى أريد أن أعرف .

والذى أريد أن أعرفه هو أن هذا الخادم قد ارتدى بيجامتى . . وأن جسمه كان مبللا . . وأنه لم يكمل استحمامه . . هذا مؤكد وأريد أن يصارحنى . .

فقد لاحظت أن بيجامتى بها رائحة غريبة . . وأن هذه البيجامة مبللة . وليس هذا البلل بسبب العرق . . وإنما هو ماء . . أى أن الخادم قد استحم بسرعة وارتدى بيجامتى . . وبسرعة خلعها ووضعها فى مكانها . . صح أو غلط !

صح

قالها الخادم وأسعدنى ذلك . فلا تزال قدرتى على الشم غير عـادية . ولكن فى نفس الوقت لـم أعـرف مـا هى الفـائدة التى أجنيها من التدرب الطويل على الشم العميق والدقيق !

وكـأن قـراراً سـريا من أعـمـاقى بأنهـا مـبـاريات الشم القـوى ، فـرحت أغرق أنفى بكل أنواع العطور دون تـمـيـيز . . حتى أدمنت هذه العطور إلى أن أصبحت كأى رائحة أخرى . . فكأننى عطلت حاسة الشم العميق واكتفيت بالشم فقط . !

٣- عيل فى أعماقك :
لا وردة ولا شوك !

نشأت فى الريف . . .

فأنا ريفى ولكنى لست فلاحا . . أمسك الفأس وأرفع الشادوف . . لا أنا ولا أبى ولا أمى . . ولكن تركت الريف . . وبقيت فى داخلى كل صفات أبناء الريف . . فأنا أحترم الكبير . وأحترم الأسرة وأحب أبناء شارعنا وقريتنا ومحافظتنا . . فنحن أبناء الدقهلية متماسكون متحابون فى أى مكان من مصر أو خارجها . . وعندى ألوف الحكايات عن أبناء بلدى فى أوروبا وآسيا وأمريكا وأفريقيا . . إننى ساعدت العشرات منهم إلى الهجرة إلى أستراليا . . وتربطنى بهم صلات عائلية . . وأتولى - متطوعا سعيدا - حل مشاكلهم فى المنصورة والقاهرة - تصور !

ولا توجد زهرة أو وردة لم تمتد لها يدى أو أنفى . . أتلمس حريرها وعطرها . . وأعرف مواسم ظهورها . وكيف تبدأ وكيف تنمو وتزهر وتزدهر . . وتذوب . . والبقاء لله وحده . .

وأحب رائحة الليمون ورائحة البرتقال . . والياسمين . . ورائحة البرسيم . . وأفضل عسل النحل المأخوذ من رحيق البرسيم على المأخوذ من رحيق البرتقال . . فلون عسل البرسيم أكثر صفاء ونقاء ورائحته أرق كثيرا من رائحة البرتقال . . .

وأحب أن أتفرج على عباد الشمس . . ولا أعرف لماذا أسموه . . (عباد) الشمس . . هل لأنه يتجه إلى الشمس طالعة

نازلة ؟ . . إن كل النباتات تتسابق نحو ضوء الشمس . . فكل النباتات هى عابدة للشمس . . وأكره من يعبد الشمس . . أى يعبد الشمس إذا ظهرت ويكفر بها إذا اختفت . . إن عباد الشمس من البشر هم الانتهازيون الوصوليون . . وقد صورهم الله سبحانه فى القرآن الكريم هكذا :

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

وبهرنى الورد فى النوافذ والبلكونات فى أوروبا . . فكل البيوت تظهر حبها للزهور والنبات . . وعلى الرغم من كثرة الحدائق والغابات فى كل مكان ، فإن الناس ينقلون الغابات والحدائق إلى بيوتهم . . فأعظم شىء شجرة تنمو . . وأروع هدية وردة أو زهرة تحملها وتقدمها لأى إنسان وهى هدية مقبولة مشكورة . . .

وكنت أحب أن أمد يدى إلى الشجرة أستخلص وردة أشمها وأضعها أمامى أتأمل أوراقها . . وألوانها ونعومتها - سبحان الله العظيم صانع هذا الجمال وهذا الحرير . . وهذه النعومة المعطرة وهذا العطر الحريرى . . كيف نبتت هذه الوردة؟! . . كيف خرجت من الطين؟! . . سبحان الله . .

حتى كان يوم سنة ١٩٥٠ قرأت كتابا عن الشاعر الألمانى (رينر ماريا ريلكه) . . الذى أحببته كثيرا وطويلا . . وكان يحب

فتاة مصرية اسمها نعمت علوى . . وكانت هى الأخرى جميلة حريرية بديعة . . مات بين يديها على صدرها . . أما كيف مات فقد مد يده إلى وردة . . الوردة سبقته إلى دمه . . فقد كانت لها شوكة . . الشوكة نفذت إلى ما تحت الجلد فنقلت إليه سرطان الدم . ومات به !

وكتبت مقالا فى مجلة (آخر ساعة) عن وفاة الشاعر ريلكه . .

وفجأة علمت أن صديقى الفنان صلاح ذهنى - سكرتير دار الأوبرا وكاتب القصة القصيرة الأنيقة - وهو أيضا أنيق . . صلاح هذا مريض . . ومرضه سرطان الدم . وبسرعة طلبت تأجيل نظر هذا المقال عن الشاعر حتى لا يقرأ صلاح ذهنى قبل سفره إلى لندن . .

وتأجل نشر الموضوع أسبوعا .

واسترحت إلى أن صلاح ذهنى لن يقرأ هذا المقال وفى الليل ذهبت إلى (كازينو بديعة) الذى كان فى نفس المكان الذى يشغله فندق شيراتون القاهرة . وفوجئت بوجود صلاح ذهنى . فقد أجل هو الآخر سفره أسبوعا . . كأن القدر القاسى شاء أن يقرأ صلاح ذهنى هذا المقال ليعرف كيف كانت نهاية الشاعر الألمانى ، التى هى أيضا نهاية الأديب المصرى !

أما حزنى فلا قرار له !

وكان حزنه سكيناً فى أعماقى عندما قال لى صلاح ذهنى والحزن والأسى والقهر قد استقر فى عينه : قرأت مقالك وعرفت . .

وحاولت أن أقول أى كلام ولم أجد ما أقوله . ولكن صلاح ذهنى أسكتنى بقوله : أنا عارف ، إنها النهاية . .

أشكرك فقد علمت أنك أجلت نشر المقال أسبوعا .. ولكن هذا لا يؤجل النهاية ! لم أنم تلك الليلة ولم أحاول أن أصالح نفسى أن أبرئ نفسى وأنا برىء . ولكن الألم كان أعمق والقدر أقسى . والظروف أسوأ . وسافر صلاح ذهنى يرحمه الله !

ومنذ ذلك اليوم ، لم ألمس وردة . ولا قطعتها ولا اشتريتها ولا حملتها بين يدى لأى عريس أو مريض . ورغم تقدمى فى السن ، وكثرة تجاربى وفهمى لكل ما حدث ، فإننى تركت نفسى على ما هى عليه .. ولم أحاول إصلاح هذا الخلل .. كأننى أعاتب نفسى على ذنب لم أرتكبه .. ولم يصدر عفو شامل عنى حتى الآن !

وأذكر أننى ذهبت أزور المرحوم على أمين فى المستشفى وعندما اقتربت من غرفته وجدت الورد على الجانبين . لقد نسيت أن آتى له بورد .. ونظرت إلى باقات الورد وأخذت واحدة وحملتها معى . ودخلت بها .. ولم يكد يرانى على أمين حتى صاح أخرجوه من هنا .. أخرجوه .. سوف أموت . إذا لم يخرج .. إنى غير قادر على الضحك .. اخرج من هنا !

إيه الحكاية ؟

لقد أخذت أفخم باقة ورد وكانت قد أتت بها فاتن حمامة قبلى بدقائق .. ولم يكد على أمين يراها حتى كاد يموت من الضحك ..

وقال لى أنت لص غشيم .. يا أخى اسرق حاجة صغيرة .. تسرق هدية فاتن حمامة .. وفاتن لا تزال موجودة أمامى ..

أما فاتن حمامة فاستطاعت أن تمسك نفسها عن الضحك .. ولكن أفلت منها الضحك .. وراح على أمين وفاتن حمامة وغيرهما كثيرون يحكون هذه النكتة !

ولم أشتر باقة ورد .. واكتفيت بهذه الحكاية التى أسعدت الجميع .. وأضحكت على أمين الذى لم يعرف الضحك شهورا .

ولم يكن فى نيتى أن أخلق موقفا مضحكا . ولكن المشكلة أنت تعرفها وهى أننى لا أشترى الورد ، وإذا اشتريته لا أحمله إلى أى أحد ..

وفى يوم من الأيام تلقيت لوحة من الفنان السكندرى سيف وانلى .. اللوحة عبارة عن باقة ورد .. أو على الأصح بودرة ورد .. أو رائحة ورد .. فقد كانت البقع اللونية أو الضوئية أو العطرية حقيقة شفافة ضباباً على اللوحة .. كأن الورد أجنحة فراشات تطير ناحيتك .. ولم أكد أرى اللوحة حتى اعتذرت عن عدم قبولها .. ولما سألنى سيف وانلى مندهشا . قلت له : عندى إحساس أن رائحتها قوية .. وأن هذه الرائحة عندما تصل إلى أنفى تتحول إلى شوك ..

فضحك سيف وانلى وقال : الله .. أنت رسمت لوحة أخرى أقوى من لوحتى .. هات هذه اللوحة وأنا سوف أرسم لك هذا المعنى !

يرحمه الله . لم يرسمها !

مـــبروك ..
جالك ولد !

كان الموسيقار محمد عبد الوهاب صديقا لكل الصحفيين والمحامين . . أما الصحفيون فلأنه فى حاجة إلى أن يكتبوا عنه . . وإلى أن يكون له دائما صورة فى كل مكان .

أما حاجته إلى المحامين فلأنه فى شركات متعددة . وأنه لا يريد أن يخالف القانون . . أو لأنه يريد أن يكسب قضايا بالقانون . .

ولم أكن أعرف من هم الأطباء الذين يلجأ إليهم فى حل مشاكل المعدة والمصران الغليظ والأرق والوساوس التى لا أول لها ولا آخر .

ولكنه كان ينصحنى دائما بالرجوع إليه إذا أردت علاجا للمعدة والأمعاء والصداع والزكام . . وكانت لديه معلومات لا بأس بها .

ولكنى - أنا أيضا - موسوس وإذا سمعت من محمد عبد الوهاب علاجا فإننى أذهب إلى عدد من الأطباء فى تخصصات مختلفة . . أسأل : ما رأيك يا دكتور فى حالة واحد قريبى ؟!

- لابد أن أراه !

- أنا أصف لك حالته بالضبط . .

- ياسيدى لابد أن أراه . . ولابد أن أرى لون عينيه ولسانه وأظافره . . ولابد . .

– يا أخى أنا أصف كل شىء

– لابد أن أراه .

– فأقول : أنا . .

– أنت المريض ؟

– أيوه . .

– كده طيب . . طلع لسانك . . إلخ . .

وبعد أن يتم الكشف ويكتب الدواء . . فإنى أذهب إلى طبيب أخر ويصر الطبيب الآخر على أن يرى المريض . وأخيرا أقول له أنا هذا المريض !

وفى إحدى المرات ذهبت إلى الطبيب الكبير د . أنور المفتى . وقلت له ووصفت وأطلت . وقال لى : اسمع غدا ألقاك فى العيادة لأن حالتك خطيرة . .

–خطيرة ؟ يا نهار أسود – إزاى ؟

– يا أخى إذا كانت المعلومات التى تقولها عن نفسك هذه صحيحة فأنا مندهش كيف أنك ما تزال حيا ؟! .

– يا دكتور ليست بالضبط هكذا . . فأنا قد بالغت كثيرا . .

– إذن صف لى حالتك . .

– مغص من حين إلى حين . . انتفاخ فى المصران الغليظ يؤدى إلى ضيق فى التنفس خصوصا عندما أجلس إلى الكتابة . .

– خطيرة حالتك جدا .

- وبعدين ؟

- أعطنى فرصة أرى ذلك بنفسى .

- إذن الآن .

- لا . . غدا !

وطبعا د . أنور المفتى يعلم أننى تعذبت كثيرا جدا فى تلك الليلة . وأنى عوقبت تماما على المبالغات وعلى ادعائى فهم الطب والعلاج وادعائى القدرة الفذة على تشخيص أمراضى . .

وفى اليوم التالى كنت أول من دخل العيادة . وأول من استرخى على المنضدة عنده وقال لى : المكان الذى أضع يدى عليه ويوجعك : قل آه بأعلى صوتك . . وبسرعة انظر ناحيتى . . هنا يوجعك . . هنا . .

- آه . .

ونظرت ناحيته فوجدت د . أنور المفتى بجوار الباب بعيدا عنى تماما ولم يضع يده على أى مكان من جسمى .

وقال لى : سيادتك عايش فى وهم لا أول له ولا آخر . . وانكشفت جدا . .

وذهبت إلى طبيب آخر وقلت له نفس الكلام . .

واستمع الطبيب طويلا . وكتب روشتة . وطلب منى أن ألبس وأن اشترى الدواء الموجود فى الروشتة . وذهبت إلى الصيدلية عندما وجدت د . أنور المفتى هناك وسألنى : ماذا تعمل هنا ؟

وبسرعة أعطيته الروشته . .

ونظر وظل يضحك والناس يتعاونون على منعه من الوقوع على الأرض . .

لقد أخطأت فأخذت روشتة ليست لى . .

فقال لى أنور المفتى والدموع فى عينيه : مبروك جاى لك ولد!

– يعنى إيه ؟

– يا أستاذى دى روشتة واحدة ست حامل فى الشامن على الأقل . . مبروك !

فعلا لم تكن الروشتة التى كتبها لى الطبيب . . وإنما واحدة أخرى كانت إلى جوارها !

ولم أذهب إلى أى طبيب آخر .

شفاء من كل مرض :
الموت !

من ألطف الأطباء الذين عرفتهم وصادقتهم . د . عدلى الشيخ . . كان خفيف الدم . مرحا أسبق من معظم الأطباء فى معرفة الأدوية الجديدة . . وكان تشخيصه للأمراض دقيقا . وقد شهد بذلك كثير من الأطباء الأوروبيين . فلا يكاد الأطباء فى بريطانيا يرون تشخيص وتحليل وروشتات عدلى الشيخ حتى يقولوا : تمام كده . . أحسن تشخيص وأحسن علاج !

وكنت أجد فى ذلك سعادة عظيمة . إن أطباء بلدى يعجب بهم الأطباء العالميون . إذن فى مصر طب وأطباء .

ولكنى غضبت عليه ومنعت نفسى من العداء له . .

فقد كانت أمى مريضة . وكان د . عدلى الشيخ يؤكد لى أن مرضها بسيط . ولكنها ضعيفة . وأنه لن يمضى وقت حتى يتم شفاؤها .

قلت : يتم شفاؤها ؟

– نعم .

– شفاؤها . . يعنى سوف تكون بلا مرض ؟

– نعم .

- أمى تكون بلا مـرض وهى المـريضـة سنوات طويلة من عمرها . أنت متأكد ؟

- أنا على يقين .

- على يقين ؟!

- نعم .

- أنا أصدقك . وأحترمك . فأنت رجل عالم ورجل جاد . وأنت صديق . . والذى تقوله هو أعظم سعادة لى . . كيف يا دكتور ؟

- كما أقول لك . . ربنا قادر على كل شىء . .

- وكم من الوقت يستغرق مرضها . .

- شهرا .

- وبعده تصبح بلا أوجاع .

- هذا مؤكد !

- الحمد لله . . ربنا كبير . .

وكل يوم أزور أمى فى المستشفى أجدها شاحبة ضعيفة . أراها وأكاد أموت من النظر إليها . . وأموت وأنا أتخيلها من بعيد . . وهى لا تقوى على أن ترانى أبكى على يديها وعند قدميها . . وأنا لا أريد أن أكون مصدرا لألمها لحظة واحدة . . ولكن د . عدلى الشيخ يؤكد لى أنها سوف تشفى تماما . . فهل شفاؤها يكون مرة واحدة . . هل هناك شفاء مفاجئ . . كالسقوط المفاجئ !

أنا لا أعلم ولكنه يقول . وهو على يقين فيما يقول وأنا أصدقه . . أو أريد أن أصدقه .

وكل يوم أزور أمى لا أجد أى تحسن من أى نوع . . فكيف يكون الشفاء السحرى ؟ يجوز . ربنا قادر على كل شىء . .

وفى يوم كنت أمشى فى شارع قصر النيل فسمعت صوت فرملة لسيارة . وكانت الفرملة صارخة فالتفت ورائى . وكان أحد الأطباء المعالجين لأمى . . واقترب منى بشدة وقال لى : أنت نايم أنت يا أستاذ . . إنهم خائفون منك . . اسمع منى الذى لن يقوله لك أحد . . وفر فلوسك . . وبلاش تشترى الأدوية من سويسرا ومن أمريكا . . الأعمار بيد الله . .

– إيه ده يا دكتور . . مش فاهم إيه اللى انت بتقوله . .

– اسمع . لا فائدة . أمك مريضة . ومرضها لا علاج له . والأعمار بيد الله . .

كم من الوقت أظلمت الدنيا . . كم من الوقت انحشرت كل الأصوات فى أذنى صفافير . . كم من الوقت دارت حولى الأرض أو درت حولها . . كم من الوقت استغرقته الأرض لكى تنشق وتبلعنى . . كأن الأرض هى الحوت وأنا يونس عليه السلام . . ولكن يونس خرج سليما من بطن الحوت . . أما أنا . . فأعتقد أننى مت . . وأننى بلا ألم ولا وجع . . ولا جسم . .

إذن هذا هو الذى أراده د . عدلى الشيخ . . أن يختفى الألم . . ويكون الشفاء التام !

صدقت يادكتور عدلى ، ولكنك قتلتنى .. ودفنتنى .. بعد يومين ماتت أمى .. ولم تعد تقول : آه .. فلم يبق عندها وجع .. فليس لها جسم .. وليس فى جسمها مرض .. فالموت هو أعظم طبيب .. والموت هو أعظم شفاء من كل الأمراض .. وضقت بالدكتور عدلى الشيخ ، ضقت بصدقه .. ضقت بتشخيصه الفلسفى وعلاجه الحقيقى .. يرحمه الله فقد مات جالسا . مات دون شكوى . كأنه هو الآخر قد اختار لنفسه الشفاء المفاجئ والصحة المفاجئة . يرحمه ويرحمها الله !

دواء كاذب لأغراض كاذبة !

لم أجد ما أكتبه فى اليومين اللذين أمضيتهما فى مدينة سمرقند . . الجليد يغطى الشوارع . . الوجوه آسيوية والعيون . . والناس منتفخون فى ملابسهم الغليظة وفى الفراء الرخيص . . ولكنهم يمشون . . يدبون على الجليد . . ولا أحد منهم يتساقط على الأرض . . ولم تكن فى الأحذية مسامير تنغرز فى الجليد ولكنهم مدربون على المشى فى الطين وفى الوحل وفى الثلج . .

ولا أعرف لغة هذه البلاد . . طبعا كلهم يعرفون اللغة الروسية . وكل ما لدى من كلمات فى اللغة الروسية هى : شكراً . . عفواً . . مع السلامة . . آسف . . أحبك . . وأموت فيك . .

وليس من بين هذه الكلمات واحدة تنفع لبدء حديث مع أى أحد أو حتى لفت نظر أحد . .

ولكن قلت أجرب . .

ووقفت حتى رأيت عدداً من الفتيات الملظلظات وقلت أحبك .

فضحكت ومضت وأدركت أننى أجنبى عبيط . . .

وواحدة قلت لها : أحبك . . فضحكت وتوقفت . ولم أجد ما أقوله بعد ذلك ولا ما الذى يمكن عمله . . واتجهت ناحية أخرى . . ولم يكن صعبا عليها أن تدرك أن هذا الذى يقول أنه

يحبـهـا ، ليس إلا سـائحـا يتـلاعب بعـدد من الكلمـات مـثل الببغاء . . وقبل أن أنتهى إلى هذه النتيجة جاءت الفتاة واقتربت منى وقالت لى : وأنا أحبك !

يانهـار أسـود ومـاذا بعـد ذلك . وإذا بهـا تتكلم الإنجليـزية . وتقول : تعال ولا داعى لإضاعة الوقت . . تعال نذهب إلى مكان نتحدث فيه . . فأنت لست تتسلى . . وإنما لا تجد ما تعمله . .

- صح

- ماذا تعمل ؟

- كاتب .

- أى لا تجد ما تكتبه . . تعال وأنا أدلك على أماكن تستحق الكتابة .

وكانت لغتها الإنجليزية مفهومة . فهى مدرسة للغة الإنجليزية فى أحد المعاهد الفنية . وسألتها وأجابت . . وكان الحديث معها لذيذا . . وقلت لها : تعرفى أننى أقدر أقول لك أننى أحبك باللغة الروسية وأعنى ما أقول . .

- تعرف أنت أننى أستطيع أن أقول لك إننى عندما قلت لك إننى أحبك لم أكن أعنى ما أقول ولا يزال هذا رأيى !

وضحكت . وضحكنا . وقالت لى : أنها ليست مدرسة وإنما هى طبيبة فى الفندق الذى أقيم فيه . .

فقلت لها : يا سلام . . يا محاسن الصدف . . الآن أنا أريد أن أحدثك عن أوجاعى وآلامى . . إننى سعيد بمعرفتك يا دكتورة .

- إذن نلتقى غداً فى العيادة .

- شكراً يا دكتورة . .

وقبل أن أذهب إليها جلست أرتب أوجاعى لكى أقرأها عندما ألتقى بها . ولا داعى للكشف . . وطلع لسانك واخلع ملابسك . . وتعال غداً صائماً لكى نأخذ عينات من الدم والبول والبراز . .

وكان ما توقعته . . فقد اكتفت بما قرأته من الورقة . .

وقلت فى نفسى : أن الطب متأخرا جداً فى جمهورية أوزبكستان . . وربما فى الإتحاد السوفيتى كله . . إذ كيف تصدقنى ؟ وكيف لا تكشف ؟ وكيف لا تطلب منى على الأقل أن أخرج لها لسانى لترى لونه ولون عينى ولون أظافرى . لم أكن أعرف أنهم متخلفون إلى هذه الدرجة !

وفتحت درج مكتبها وأعطتنى قرصاً أبيض . . وقالت لى : القرص ده تأخذه قبل النوم . وفى الصباح الباكر لا بد أن أراك قبل أن تأكل أو تشرب .

- شكراً يا دكتورة !

شكراً على إيه . . وهل فى الدنيا كلها قرص واحد لعلاج كل هذه الأمراض والأوجاع . . لقد اخترت لها أعراض مجموعة من الأمراض والعياذ بالله . .

وذهبت إليها . . وسألتنى : كيف حالك ؟

قلت لها : زى البمب يا دكتورة .

فقالت : غريبة ؟

- مـا الغـريب يا دكـتـورة أن عندك كل هذه الأمـراض وتجـد الشفاء بقرص من الدقيق الأبيض . .

- يعنى إيه ؟

- يعنى أنت مش مـريض . . وإنمـا أنت مـزنوق تبـحث عن موضوع تكتبه . . وقد وجدت الموضوع .

- يعنى إيه ؟

- يعنى معلوماتى الطبية تؤكد لى أن هذه الأمراض لا يمكن أن توجد معاً فى أى إنسان ويظل حيّاً زى الجن مثل حضرتك !

- شكراً يا دكتورة .

- يمكنك أن تقول وأنت صادق إن الطب ليس متأخراً عندنا .

- كأنك تقرئين أفكارى .

- قرأتها رغم أنها مكتوبة بخط ردىء .

يا بنت الإيه . قلتها فى نفسى . لقد كشفتنى بهدوء رغم أن هذا الذكـاء الشـديد ليس واضـحـا على وجه الدكـتـورة أولجـا بدر الدينوفا !

أستاذ أساتذة الأرق :

كامل الشناوى

كنت أومن بطب توفيق الحكيم . .

فهو رجل دقيق خواف موسوس ولكنه فى نفس الوقت يعرف بالضبط ما هو العلاج . وكان عنده دواء لكل داء . هذا الدواء هو الأسبرين .

وكان يتعاطى قرصًا من الأسبرين كل يوم . ويرى فى ذلك شفاء من كل أوجاع الساقين والقدمين والظهر . .

وثبت علمياً أن الأسبرين هو أحسن دواء اكتشفه الإنسان . وأن العالم يستهلك من الأسبرين أكثر من مثل عدد السكان عشر مرات . . أى ما يعادل ١٥ ألف مليون قرص أسبرين . . بواقع ثلاثة أقراص لكل إنسان !

ووجدت أن توفيق الحكيم مبالغ كثيرًا . ولكن قلت فى نفسى : ولماذا لا أجرب .؟

وجلست . . أمامى ورقة وقلم : ماذا عندى ؟

اليوم ليس عندى شىء أشكو منه . . وكل مشاكلى أننى أنام قليلاً . وأصحو فى موعد لا يتغير من أربعين عامًا . . إنه الساعة الرابعة من صباح أى يوم .

وكان رأى الحكيم : أن أتعاطى الأسبرين قبل النوم . . فهو وحده القادر على أن يجعلنى أنام حتى الخامسة . . وخاصة أننى لم أتعود عليه . . وسوف يجد الجسم فى الأسبرين زائرًا غريبًا قوياً ، ولا يملك إلا الاستسلام له .

وجربت ونهضت من نومى فى تمام الساعة الرابعة وخمس دقائق .

فقلت : مَنْ يدرى ربما يؤدى كل قرص إلى خمس دقائق زيادة عن المعدل كل يوم . . ويا كريم . . وذهبت إلى توفيق الحكيم سعيدًا بالنتيجة . ولكنه قال لى : أمال أنا يا أخى أتعاطى كل يوم قرصًا من ثلاثين سنة . ولم تضف لى دقيقة واحدة من النوم . ما السبب؟ هل الأسبرين الذى تأخذه غير الذى آخذه .؟ إذن أرنى الأسبرين الذى اشتريته . . ربما كان أفضل . . ربما كان الذى أتعاطاه قديمًا أو تجاوز عمره الافتراضى . .

وعرضت عليه الأسبرين . وراح يقلب فيه ويفحصه بعينيه المجردتين وبالنظارة . وهز رأسه بما معناه : إنه نفس الأسبرين ولكن النتائج مختلفة !

وقلت لتوفيق الحكيم : هل تأكل شيئًا قبل النوم ؟

- أبدًا . .

- غلط يا أستاذ لابد أن تأكل .

- آكل ماذا ؟

- لا أعرف ما الذى يناسبك قبل النوم . . أنا شخصيّاً آكل الزبادى بالعسل وآكل الطماطم وأشرب شوربة البصل . . وبعد ساعتين أتعاطى قرص الأسبرين ويجىء النوم بسهولة غريبة .

- أنا لو أكلت ربع هذا الذى ذكرت فسوف تكون نومتى الأبدية . . وهى أحسن طريقة للاستغناء عن الأسبرين . . هاها . . هاها . . أنا لا أستطيع أن أعالج نفسى على طريقتك أو على طريقة كامل الشناوى .

- وما طريقة كامل الشناوى ؟

- أنت تعرفه أكثر منى . . إنه ينام بقوة خمسة أقراص أسبرين ويصحو بقوة خمسين فنجان قهوة سادة ويظل يأكل ويشرب طول النهار . . فإذا نام كان نومه بالقوة . . وإذا صحا كانت يقظته كالنار . . هذا ما لا أستطيع .

- ما رأيك فى طريقة محمد عبد الوهاب ؟

- وما هى طريقة عبد الوهاب ؟

- إنه يظل يتحدث فى التليفون ساعة وراء ساعة حتى يكبس عليه النوم بالقرب من الفجر . . وإذا أصابه أرق فإنه يمد يده إلى التليفون وبصوته الجميل يقول : هالوا أنا عبد الوهاب . . ويحرص على ذلك حتى لا يقفل أحد السكة فى وجهه . . ثم من الذى يسمع صوت عبد الوهاب ويجىء له نوم . .

- يعنى ولا يأخذ أسبرين .

- أبدًا . .

- وكل ليلة بالشكل ده .

- نعم .

- وتريدنى أن أفعل ذلك ولا أصاب بالجنون . .

- نعم .

- يفتح الله . . إننى أفضل أن أتعاطى نصف قرص مع ربع زبدية مع شريحة طماطم وأسمع عبد الوهاب وهو يغنى ولابد أن يجىء النوم . .

- هل جربت ذلك ؟

- لم أجرب ذلك . . ولكن سوف أحاول . .

وفى يوم قابلت توفيق الحكيم يتمشى على النيل مرهقًا وعيناه حمراوان .

- سلامتك .

- سلامتك . . ده أنا كنت حاموت هذه الليلة .

- لماذا ؟

- يا أخى أقنعنى كامل الشناوى أن أجرب أعظم طريقة للنوم . لم أصدقه . ولكنه أقنعنى وأنت عارف كامل الشناوى وقدرته الفائقة على الإقناع .

- يعنى ماذا فعلت ؟

- والله حاجة تضحك . . أخبرنى وأقنعنى بأن آكل لحمة راس . . وأكلت شيئًا قليلاً . .

وشوربة كوارع . . أخذت القليل أما الباقى فهو الجنون ولكنه أقسم على أنه يفعل ذلك كل ليلة . . لقد أذاب قرص الأسبرين فى فنجان قهوة سادة .

- قهوة سادة !

- نعم . .

- فماذا حدث !

- لم يحدث أى شىء سوى أننى أجاهد النوم منذ ثلاثة أيام . .

ولم أعد بعد ذلك أستشر توفيق الحكيم . . وأخذت طريقى مباشرة إلى كامل الشناوى أستاذ أساتذة الأرق فى مصر والعالم العربى!

الشعب الأمريكى :
نايم فى العسل

الرئيس الحليوة كلينتون لم يعد حليوة . . فالشعب الأمريكى يسخر منه ومن زوجته هيلارى . .

ويسخرون من الاثنين معًا ويقولون : بيل هيلارى . . أو هليرتون . . أو إنه زوج السيدة هيلارى؟!

فقد اختار الرئيس عددًا من الشخصيات رفضتها المحكمة العليا والبرلمان . . واختار سيدة زنجية ثم عاد فرفضها . . فالسيدة الزنجية كانت شديدة التعصب لأبناء ولبنات لونها . . بينما هو اختارها ليؤكد أنه ليس متعصبًا . . أما السيدة الأولى فقد فازت بأكبر نصيب من الشتائم والسخرية . .

عندما قصت شعرها . .

وعندما وضعت عدسات ملتصقة . .

وعندما أطالت كعب جزمتها . .

وعندما اختارت خياطة من بلدها وفضلتها على كل خياطات العاصمة ودور الأزياء العالمية . . وقالوا إن السيدة الأولى تشاجرت مع السيد الأول . . ويقال ضربته قلمين . . وقالوا إنها طردت جميع موظفى البيت الأبيض إذ دخنوا . . ولذلك فكلما أراد واحد منهم أن يدخن ، ترك مكتبه ووقف أمام البيت الأبيض أو خلفه .

وقالوا : إن أحدًا لا يعرف ما هى حدود زوجة الرئيس وحدود السيد الرئيس ولا أحد يعرف لماذا تدحرجت السيدة الأولى فى الكلام فاصطدمت بالصحافة والرأى العام . فقد كانت تخطب . وجاء فى خطابها أن الروح الأمريكية نامت . . وأن سبب نومها أن ذبابة تسى تسى قد لدغتها!

وذبابة تسى تسى تعيش فى أفريقيا . وهى إذا لدغت إنسانًا يظل نائمًا حتى الموت . . أما تسى تسى الأمريكية فهى الصحافة الأمريكية!

يعنى أن الصحافة ذبابة ، وأنها ذبابة قاتلة . وأن كل وسائل الإعلام هى مصدر الفساد والإفساد . . وليس من المنتظر أن تسكت الصحف على طول لسان السيدة الأولى .

ثم قالت السيدة الأولى : إن الصحافة قد وقعت فى (سياسة المعانى) . . بس وكانت المصيبة .

وتساءلت كل الأقلام : ما الذى تتكلم عنه هذه السيدة . . ماذا تقول ومن الذى علمها هذا الكلام السخيف . . وما معانى سياسة المعانى . . وهل هناك سياسة بلا معان . . وهل هناك معان بلا سياسة . . يعنى إيه سياسة المعانى . . ومن الذى وضع هذا التعبير على لسان الببغاء الأولى فى أمريكا ؟

وبسرعة عثروا على ذلك الأستاذ الجامعى الذى كتب لها هذه الخطبة . . وعرفوا كم مرة ذهب إلى البيت الأبيض . . وكم مرة جلست إليه . وسألوه أن يشرح معنى هذا التعبير الذى ليس له أى معنى . . وعن معنى مرض النوم الذى أصاب الشعب الأمريكى

وعن مؤهلاته ومؤهلاتها . . وقدراته وقدراتها فى إيقاظ الشعب الأمريكى من سباته الطويل . .

ولما تحدث الأستاذ ترنر هذا ، تصيدته الصحف والتليفزيون وتناولته بالقذف والسب والمحاصرة فى كل مكان . .

وتساءلت الصحف : إن كان الشعب الأمريكى ليس آسفًا على اختيار الرئيس كلينتون وزوجته . . وتساءلت إن كانت السيدة الأولى تريد أن تسرق الأضواء المسروقة من زوجها . . وإن كان مفهوم الشعبية عندها ألا يكون زوجها شعبيًا وأن تكون هى وحدها الملعونة من الشعب . .

وتساءلت إن كانت السيدة الأولى وراء كل الاختيارات الخاطئة التى وقع فيها الرئيس . . وكل الاختيارات كانت من النساء . وإذا كان هذا هو رأى السيدة الأولى فى زميلاتها من النساء ، فكيف يكون رأيها فى الرجال . . وما هى حدود قدرتها وسيطرتها على الرجل الذى يسيطر على مقدرات أقوى وأغنى دولة فى العالم ولم يمض على حكمه مائتا يوم !

وما دامت الصحف قد وضعت السيدة الأولى فى دماغها ، فسوف تقرأ العجب عن حياتها الشابة وعن مغامراتها . . ومغامرات الرئيس أيضًا!

بعد ٣٠ سنة
لا يستسلم لغير الامبراطور

كانت دهشتى عظيمة عندما سمعت المرشدة السياحية تقول وهى تشير بيدها إلى القصر الإمبراطورى : وهنا يسكن ذلك الرجل العجوز الأخنف الذى لا يعرف كيف يقرأ إسمه ..

وضحكت المرشدة السياحية لكى يضحك السياح الأمريكان . ولم يضحك أحد ..

ثم عادت تقول : وبدلاً من أن يتحول قصر الامبراطور ابن الشمس إلى متحف ، فقد تحول إلى مخبأ .. هأهأ .. هأهأ ..

ولم يضحك أحد ..

كان ذلك سنة ١٩٥٩ وكنت فى طوكيو لأول مرة . والمرشدة السياحية ترضى الأمريكان بالسخرية من الإمبراطور .. الذى رأى الأمريكان أنه المسئول وحده عن الحرب ... وأنه الذى بارك ضرب الطائرات اليابانية لميناء بيرل هاربور فأغرقت الأسطول الأمريكى من أوله لآخره .

ولذلك عندما انهزمت اليابان بالقنابل الذرية . حرص الأمريكان على تغيير الدستور .. وعلى إخراج الملك من الدستور فليس هو ابن الشمس وليس هو الذى يهب الحياة والموت للشعب اليابانى .. وعلى الرغم من أن الشعب اليابانى من أكثر شعوب العالم تطوراً وتطويراً فى كل أدوات الحياة ، فإن الشعب

اليابانى لا يزال يؤمن إيمانًا مطلقًا بقداسة الإمبراطور . . واستعداد الملايين أن تموت فى سبيله . . ويكفى أن يشير الإمبراطور إلى أى إنسان أن يموت ، فإنه يموت فورًا . .

والعالم كله لا يزال يذكر ذلك الجندى اليابانى الذى عثروا عليه فى غابات الفلبين وكان يحمل سلاحه ويقتل من أجل لقمة العيش . . فقد اكتشفت بعض قرى الفلبين حوادث سرقة غريبة . . وظلوا يبحثون عن السبب إلى أن وجدوا جنديًا يحمل سلاحه ويتربص بالعدو الأمريكى . . وهو لا يعلم أن الحرب قد انتهت منذ ثلاثين عامًا . ولما اتصلوا به لم يصدق أن الحرب انتهت . . والحرب لا تنتهى إلا إذا أعلن الإمبراطور ذلك . . وبعثوا إليه ببالونات مكتوب عليها وقف القتال بأمر الإمبراطور . ولكنه لم يصدق . .

وظلت الحكومة اليابانية تبحث عن زميل له . حتى وجدوا زميلاً له . . وتحدث إليه الزميل فى الميكروفون . . وهنا فقط ألقى الجندى اليابانى السلاح وهو يبكى من الحزن لأن اليابان قد انهزمت . . وأكدوا له أن الإمبراطور هو الذى أمر بوقف القتال . هنا فقط استسلم الجندى اليابانى لأمر الإمبراطور .

ومنذ نهاية الحرب لم يعد أحد يسمع عن الإمبراطور أو حتى يراه . فلا دور له . وإنما يحتفظ الشعب اليابانى فى أعماقه بتقديس هذا الرجل على الرغم من كل ما فعله الأمريكان . .

وقد ظهرت هذه القداسة فى أقوى صورها فى الأسابيع الماضية عندما تقدم ولى العهد لخطبة فتاة من عامة الشعب . . فتاة دبلوماسية وأبوها نائب وزير الخارجية . . وقد ترددت الفتاة طويلاً

فى قبول هذه الخطبة . . والزواج . فهى تريد أن يكون لها قيمة . . أو أى دور إيجابى ، لا أن تدخل المتحف الإمبراطورى برجليها الجميلتين وتموت هناك فى هدوء تام . .

وحاول ولى العهد أن يؤكد لها أنه مثلها تمامًا . كلاهما تعلم فى الجامعات الأمريكية . . وكلاهما يجب أن يعمل على تطوير دور الإمبراطور فى خدمة الشعب اليابانى . وقد تعاهدا على ذلك تمامًا . .

ولم تفلح الأميرة وإمبراطورة المستقبل فى إقناع الأمير أن يتخلى عن الإمارة والعرش وأن يعيش كإنسان له دور إيجابى فى الدنيا . ولكن الأمير أكد لها أنه فى موقعه الرفيع يستطيع أن يفعل أضعاف ما يستطيع أن يفعله أى مواطن فى الشارع . .

وتمت طقوس الزواج الخفى . . أى الذى لم يره إلا عدد قليل جداً من الناس ، فالأميرة كانت ترتدى كيمونو من عدة طبقات تزن ١٥ كيلو جرامًا . . وهذا الكيمونو ترتديه مرة واحدة وبعد ذلك يوضع فى المتحف . .

ودخلت المعبد المقدس دقائق وخرجت . .

وبعد أن تمت كل طقوس الزواج ذهبت هى وعريسها لتحية الإمبراطور والإمبراطورة . . ثم خرج الاثنان فى أزياء أوروبية وتسريحة أوروبية إلى بيتهما بعيدًا عن القصر الإمبراطورى . . وفى بيتهما يلتقيان بالأصدقاء ويكون رقص ولعب ومرح . . بلا طقوس ولا قيود . . وإنما هى بداية جديدة لعهد جديد لإمبراطورية جديدة أقل تزمتًا . . وعلى مرأى من ملايين الناس فى اليابان وغيرها . .

في إسرائيل : تسقط الفلافل !

الديانة اليهودية تضم كل التراث الموجود فى الشرق الأوسط بما فى ذلك كتاب (الموتى) الفرعونى ثم يدعى اليهود أن هذه كلها تراثهم . .

والحقيقة أن فى إسرائيل عددًا هائلاً من الشعوب اليهودية . لا يجمع بينها إلا اللغة والدين والخوف . . ولذلك فهم يحتّمون دراسة اللغة العبرية على كل مهاجر . . ومهما كان المهاجر ملحدًا فلابد من احترام الحد الأدنى من المقدسات . .

وإذا تعرفنا على الفنون الشعبية فى إسرائيل فلا يمكن أن تكون الرقصات الرومانية والموسيقى الألمانية والأزياء التركية والطعام المصرى هى معالم الشعوب اليهودية . . وإنما هى مجموعة من العادات والتقاليد تعيش معًا وتحتاج هذه الشعوب إلى وقت طويل ليكون لها طابع خاص يمكن أن يوصف بأنه قومى . . فاليهود لم يستقروا فى مكان واحد طويلاً . . ولكنهم جادون جدًا فى ترسيخ كل شىء فى حياتهم . . ووضع الأصول والجذور له . . وإن كان أصعب ما يواجه الشعوب اليهودية فى إسرائيل أنها لا تستطيع أن تكون شرق أوسطية . . فالطبقة الحاكمة فى إسرائيل من اليهود الغربيين . . والخواجات . . وهم فى انفصال وتعال على اليهود . . الشرقيون لا يريدون أن يكونوا شرقيين . . لا أيضًا . . فقد تعذبوا

فى الشرق وخرجوا من ثلاثين قرنًا من مصر وجاءهم طغاة بابل وهدموا معابدهم . . وقد ذاقوا المر أشكالاً وألوانًا فى أسبانيا فى القرون الوسطى بسبب محاكم التفتيش التى كانت تغرق اليهود وتحرقهم مع المسلمين ومع غير الكاثوليك من المسيحيين أيضًا !

وفى نفس الوقت فإن اليهود الشرقيين يكرهون اليهود الغربيين الذين ينفردون بالسلطة! وسوف تمر قرون طويلة قبل أن يصبح اليهود شرق أوسطيين . .

وأعجب ما قرأت هو أن هناك اتجاهًا قويّاً ضد الطعمية . . الفلافل . .

ويقولون أن الفلافل هذه يهودية . . وأنها من أهم معالم الحياة فى إسرائيل . . وأن المهاجر بعد أن يبوس أرض إسرائيل ويتجه إلى حائط المبكى يشم رائحة الفلافل التى كان يسمع عنها ويحلم بها . .

الفلافل يهودية ؟

هذا ما يقولون وما جاء فى قصائدهم وأغانيهم . .

ولكن اليهود الغربيين يرون أن هذه الفلافل عار قومى . . فرائحتها الكريهة القوية النفاذة كارثة وطنية وصحية . . والغربيون يرون الناس كيف يلتهمونها ويخجلون من ذلك . . وهذا يحط من قدر الدولة اليهودية . . ولذلك فهناك دعوة قومية إلى استبعاد محلات الفلافل من أهم شوارع تل أبيب . . شارع دزنجوف . . لأن هذه الرائحة تجعل من يمشى فى هذا الشارع يشعر كأنه فى دولة عربية كريهة الرائحة . ومن

الضـروري نقلهـا بعـيـدًا عن هذا الشـارع الذي هو ارسـتـقـراطي المحلات . . أو يجب أن يبقى كذلك!

ويرد آخرون على ذلك بقولهم : ولكن هناك أطعمة أخرى لابد من وضعها في الزيت المقلي : مثل السمك والباذنجان . . ولها روائح لا تقل قوة عن رائحة الطعمية فهل تبقى أو يطردون هذه المحلات إلى أي مكان آخر . .

قضية . . مشكلة . . لابد من الذهاب إلى القضاء . . ولابد أن يستمع الناس إلى حكم القضاء . . وغالبًا سوف يؤيد القضاء بقاء هذه المطاعم في أماكنها . . أما الذي لا يريد أن يشم رائحتها فليذهب إلى شارع آخر . . وقد شبع اليهود قيودًا واحتقارًا في كل الدنيا ، فإذا هاجروا إلى إسرائيل فيجب ألا يلقوا مزيدًا من التميز العنصري والتعالي من الخواجات ضد يهود الشرق العربي!

ولكن هل الفلافل يهودية؟

وهل الفول المدمس أيضًا - إنهم يقولون ذلك . . ولأن الأمر لا يعنينا كثيرًا ، فليكن الفول والعدس والبصارة والمفتقة وخرز البقر - يعني جت على دول ؟!

رأسى ضحية كوريا والهند ومصر !

كان عندنا فى (أخبار اليوم) حلاق ليس له نظير فى أى مكان . . فهو يحلق لى فى المكتب . . وفى أى وقت . . أثناء الحلاقة لا أتوقف عن الكلام فى التليفون وشرب القهوة . وقد اقترحت عليه أن يحلق لى رأسى فى السيارة . وأكد لى أنه يستطيع ذلك . . بل ويحلق لى إذا ركبت سلم الترامای . .

وفى يوم كنت مشغولاً جداً . . وطلبت منه أن يحلق لى شعرى . . وسألنى إن كنت أريد أن أقصره أو أتركه على ما هو عليه . . فقلت له : يا أخى اعمل اللى انت عاوزه .

ومضيت أقرأ الصحف . .

وفجأة نظرت فى المرآة فوجدت أن الحلاق قد مسح رأسى تمامًا . .

الله يخرب بيتك . إيه ده !

ولا معنى لأى غضب . . انتهى . . وأعدت النظر إلى رأسى فأحسست أننى مجند جديد . . عسكرى جاء من الريف وأدخلوه الجيش . .

وكان ذلك يوم تسلم جائزة الدولة من الرئيس جمال عبد الناصر . . وكان يومًا مشحونًا بالمفاجآت . . فقد استقبلتنى الجماهير بتصفيق شديد . .

فأنا فى ذلك الوقت سنة ١٩٦٣ كاتب الشباب كما قالت كل استطلاعات الرأى - « وما زلت حتى آخر استطلاع سنة ١٩٩١ » - . . وكان الرئيس عبد الناصر قد فصلنى من عملى رئيسًا لتحرير الجيل ومدرسًا للفلسفة فى الجامعة . . ثم إنه أعادنى إلى العمل حديثًا جداً . . فجاء التصفيق حاداً . .

وكتب المرحوم موسى صبرى يقول : إن أكثر اثنين صفق لهما الناس : أنا ومحمد عبد المطلب . .

وكتب مصطفى أمين مقالاً شتمنى فيه من الباب للطاق . . فقال : إننى ذكى لدرجة الغباء ، وغبى لدرجة الذكاء - لماذا ؟ لا أعرف حتى الآن . .

وبعثت لمصطفى أمين خطابًا أرد عليه فقلت له : بذكائى أشكرك وبغبائى أكرر الشكر !

وغضب المرحوم على أمين من هذا الذى كتبته لمصطفى أمين !

وعندما ذهبت أتسلم جائزتى من الرئيس عبد الناصر فوجئت بصديقى د . قدرى طوقان وزير خارجية الأردن وقد جاء يتسلم هو الآخر جائزة الدولة يقول : أنيس الله يخرب بيتك . . أنت مسلم . . الله لا يجبرك؟!

فقد نودى على اسمى هكذا : جائزة الدولة فى أدب الرحلات للأستاذ أنيس محمد منصور .

وكنت وقدرى طوقان صديقين من عشر سنوات . ولم يدر بيننا كلام يدل على أننى مسلم أو مسيحى . . ولكنه ظن أو أيقن أننى مسيحى . . وفوجئ بأننى مسلم . .

وكان يجلس إلى جوارى الأديب الفلاح أمين يوسف غراب . . وكان مصابًا بالسكر ولابد أن يذهب إلى دورة المياه من حين إلى حين . . ولكن إجراءات الأمن تمنع أى إنسان أن يدخل بعد أن أغلقت الأبواب أو يخرج قبل السيد الرئيس . . ولا مناقشة فى مثل هذه الإجراءات . وأمين غراب يريد أن يذهب إلى دورة المياه . ولكنه لا يعرف . وقد جلس فى غاية الألم . . فتركته لحظة وذهبت إلى واحد من رجال الحرس وقلت له : إن جريمة سوف تقع حالاً . .

فانزعج الرجل وقال : إيه ؟

قلت : إن الأستاذ أمين غراب عنده أزمة قلبية . . وعندما تجىء الأزمة ولا يجد طبيبه الخاص ، فإنه سوف يبتلع حبوب السموم التى معه . . وسوف يموت بعدها بلحظات . وهذه حكاية معروفة . فأرجوك منع هذه الجريمة بسرعة . .

وعدت إلى مقعدى . وجاء أحد الحراس واصطحب أمين غراب إلى دورة المياه . وعاد أمين غراب ليقول لى : كيف عرفوا حكايتى . .

قلت : المخابرات . .

فقال : المخابرات ؟ المخابرات تقدر تقرأ أفكارى ؟

– نعم .

– يا نهار منيل ده أنا طول الوقت أشتم عبد الناصر فى البيت وفى المكتب .

قلت له : لكى تعرف أن الرجل يصبر على الأذى وعلى قلة أدب الأدباء !

ومات أمين يوسف غراب وهو لا يعرف ماالذى حدث بالضبط . .

وابتلع لسانه حتى مات - يرحمه الله !

وفى موسم (الجنادرية) ذلك المهرجان الثقافى كنت فى الرياض . وذهبت إلى حلاق الفندق . الحلاق من كوريا . . ويبدو أننى لم أحسن التعبير عن الذى أريده . . أو أنه لم يفهم الذى قلت . . فمن الصعب أن يعرف أحد إن كان الحلاق قد فهم شيئًا لأنه دائم الابتسام والضحك عمال على بطال . .

ووجدت شعرى قد ذهب من الجنبين . . وترك لى هرمًا من الشعر فوق دماغى . .

- ماهذا الذى فعلت ؟

فقال : إنها الموضة . .

ولم يكن فى الإمكان إصلاح هذا الشعر . . فذهبت إلى فندق آخر وطلبت من الحلاق الهندى أن يصلح ما أفسده الحلاق الكورى . . وضحك الهندى شامتًا فى الكورى . . ورش شعرى بالماء ثم جففه . . وأمسك المقص وانشغلت بالقراءة فوجدت الصورة النهائية هكذا : الشعر خفيف جداً على جانب الوجه والشعر قصير فى بقية الرأس . .

إنها صورة مضحكة . .

ولم أكن أعلم أن هناك خلافًا بين كوريا والهند . . وأنهما اتفقتا على محو معالمى . . وعدت إلى القاهرة لكى يقوم الحلاق الشهير محمود بإصلاح ما فسد فى مدينة الرياض . . وأمسك المقص وراح يقص هنا وهناك وطلب منى أن أبقى فى البيت شهرًا على الأقل انتظارًا لنمو الشعر بدرجة واحدة فى كل مكان – وما زلت مختبئاً فى البيت . ولكن الشعر لا ينمو بالدرجة المطلوبة فى كل مكان . وبعدين ؟ آدينى صابر حتى يقوم الزمن بإصلاح ما أفسدته كوريا والهند ومصر !

رفضت مياه هاواى
وشربت طين اليمن !

لا أعرف السباحة . وليس فى استطاعتى أن أتعلمها . ولا عندى رغبة الآن . انتهى . ولكن لماذا ؟

ليس الخوف من المياه . فأنا قد ركبت البحر أيامًا طويلة . . ولم أصب بدوار البحر . بينما كثيرون من الذين يعرفون السباحة قد تساقطوا . . بل لقد رأيت أحد أبطال السباحة منهارًا فوق ظهر الباخرة الإيطالية آسبريا . . وأنا أساعده على العودة إلى غرفته والنوم حتى وصلت السفينة إلى مدينة بارى الإيطالية . . أما أنا ولا حاجة !

هل السبب أننى غرقت فى النيل وأنا طفل صغير . . فقد رأيت الأطفال كلهم قد نزلوا إلى نهر النيل فرع دمياط أمام المنصورة . ولم يخطر ببالى أنهم قد تعلموا السباحة . . حاولت أن أقلدهم . ولكن لا أعرف ماذا حدث بعد ذلك . . غرقت وشربت كمية كبيرة من الماء . وأخرجونى وكان نصيبى علقة مؤلمة جدًا من والدتى . . ووالدتى الله يرحمها لم تكن فى حاجة إلى أسباب لكى تضربنى . . فهى تضربنى كل يوم لأننى أتشاقى كل يوم !

وبعد ذلك لا أظن أننى نزلت إلى الماء . . أو حاولت . . وإنما أرى البحر من بعيد وأمشى إلى جواره . . وإذا حاولت أن أتبلل بالماء فإننى أنزل حتى وسطى . . أو حتى رقبتى وأغطس واقفًا . . ولا أحد يدرى أننى لا أعرف السباخة . .

وقد رأيت أجمل شواطئ الدنيا ووقفت عندها أتفرج عليها كأننى أمام فيلم أو لوحات فى كتاب : شواطئ الريڤييرا الإيطالية والفرنسية وشواطئ مرسيا الأسبانية وشواطئ ميامى ورفضت كل الإغراءات بالبلبطة فى المحيط الهادى حول هاواى وفى ولكورن الأمريكية . . شواطئ هونولولو . واكتفيت بالنظر كأنى أنظر إلى القمر كما تقول أغنية محمد عبد الوهاب : كلنا نحب القمر . . والقمر بيحب مين . . حظنا منه النظر . . والنظر راح يرضى مين . . ولكن الشعر كان عن القمر الذى نراه فقط نراه . .

وأنا حظى من البحر النظر إليه . . وفى نفس الوقت أنا راض تمامًا!

آه افتكرت لقد نزلت إلى البحر فعلاً . وكنت أرتدى المايوه . المايوه أخذته من قبطان الباخرة المصرية واسمها (الجزائر) . . أما الميناء الذى وقفت عنده الباخرة فهو ميناء الحديدة اليمنى . وكنا وفدًا من الأدباء قررنا أن نزور قواتنا فى اليمن . . أما الوفد فيضم : نجيب محفوظ والمرحومين يوسف السباعى ومجدى علام وصالح جودت ومحمود حسن إسماعيل وإسماعيل الحبروك وأنا . .

وترددت أول الأمر . ولكنهم أقنعونى بأن أبلل ساقى . .

وكان ماء البحر الأحمر عند ميناء الحديدة لا أحمر ولا أبيض ولا أسود . . إنما هو مزيج من هذه الألوان من الطين الذى نجده عندنا فى الترع بعد أن تكون البهائم قد استحمت فيه . . وأمام هذا الإصرار إرتديت المايوه ونزلت ووقفت أتفرج على صالح جودت ونجيب محفوظ ويوسف السباعى . . إنهم يسبحون فعلاً . . وأنا واقف لا أفعل شيئًا إلا الفرجة عليهم . . وفجأة وجدتنى تحت الماء ، أتمرمغ فى الطين . . أحاول أن أرفع نفسى

إلى السطح . . ولا أعرف كم من الطين ابتلعت . . لقد ضربنى على ظهرى -مداعبًا طبعًا- الصديق صالح جودت . . وهو لا يعرف أننى لا أعوم . .

كم مضى من الوقت تحت الماء . . فى الطين . . لا أعرف . . ولكن حلاوة الروح هى التى جعلتنى أركز كل قواى المدخرة والاحتياطية لكى أنهض من الطين . . ونهضت - وبسرعة اتجهت إلى الشاطئ ، إلى السفينة أغتسل تحت الدش . . وفى الليل اعتذر لى المرحوم صالح جودت فلم يكن يعرف أننى (خيبة) لهذه الدرجة . .

وفى الحقيقة أتمنى أن أعرف كيف أعوم ولا يضايقنى إلا الذين يريدون أن يعلمونى . والذى يضايقنى منهم هو أنهم يكررون ما سمعته طوال عمرى : وهو أن أى جسم فى الدنيا لابد وأن يطفو .

- يا سيدى جسمى لا يطفو .

- هذا ضد الطبيعة ما يصحش تقول ده وأنت أستاذنا ومعلمنا . .

- يا سيدى هناك شىء ضد الطبيعة فى جسمى .

- أبدًا تعال بس . .

وبعد ذلك تجىء كل المفردات التى سمعتها من أكبر مدربى السباحة فى مصر ابتداء من عبد الباقى حسنين إلى أبو هيف إلى الناقد الرياضى ماهر فهمى . .

ولكن سوف أتعلم وحدى . . سوف أعلم نفسى سرًا حتى لا أخجل من أطفال الأسرة الذين يتربصون بى فى أى وقت !

كفر البطيخ

وعلى أمين وأبو زيد !

فى إحدى خطب الرئيس جمال عبد الناصر ذكر (كفر البطيخ) . ولم يكن يقصد هذه المدينة الصغيرة بالذات . . وإنما أراد أن يقول إن شيئًا من الممكن أن يحدث فى أبعد وأصغر مكان فى مصر . .

وبسرعة أوفدت الصحف مندوبيها ومصوريها لكتابة موضوعات عن كفر البطيخ التى ذكرها الرئيس . وكان لابد للرئيس أن يضحك على هذا التصرف السخيف من الصحف المصرية . . وهو فعلاً سخيف . . ولكن الرقابة على الصحف أسخف . . ثم إن أحدًا فى ذلك الوقت لم يكن يعرف - كيف يعرف - ما الذى أراده الرئيس . . هو ذكر كفر البطيخ إذن لابد أن تتجه الأقلام والكاميرات والعيون إلى كفر البطيخ . وكانت نكتة صنعها الخوف والجهل معًا !

وكان المرحوم على أمين طيبًا وعصبيّاً أيضًا . . وكنا نعرف أنه يثور ويثور . . ثم لا شيء بعد ذلك . على عكس توأمه مصطفى أمين . . إنه لا يثور مطلقًا . ولكن يفعل ما يريد دون ضجة ودون أن يدرى أحد . . فعلى أمين يثور ولا يؤذى ومصطفى يؤذى ولا يثور - وكان من عادة على أمين إذا تضايق من مقال أو ريبورتاج أن يقول لصاحب المقال : ده كلام فارغ . . أنا أقول لأبو زيد يكتب أحسن منه !

أو يقول : سوف أطلب إلى أبو زيد يعلمك كيف تكتب !

أما أبو زيد هذا فهو بواب (أخبار اليوم) .

وكلام على أمين معناه أن أى إنسان لا يعرف القراءة والكتابة يكتب أحسن من أى محرر . . وإذا توقفت السيارة يقول للسائق : أبو زيد يسوق أحسن منك . .

ويقول للطبيب : أبو زيد لو كتب روشتة فسوف يكون أدق !

وأبو زيد بواب أخبار اليوم على رقاب العباد . .

وكان أبو زيد ينادينا بأسمائنا المجردة : انت يا أنيس . . انت يا تابعى . . يقصد الأستاذ الكبير محمد التابعى .

وغضب الأستاذ التابعى أيضًا ، فمن يكون أبو زيد هذا . إن التابعى ملك الصحافة . . وأستاذ الأساتذة وإذا كان على أمين قد اخترع أبو زيد فهذا شأن على أمين وليس شأن الأستاذ التابعى . . واستدعى على أمين هذا البواب السليط وقال له : ده الأستاذ التابعى . . ده فوق القانون . .

- مفيش حد فوق القانون يا على بك .

- ده بس يا أبو زيد . .

- الناس كلها زى بعض يا على بك .

- اسمع يا أبو زيد . . إنت حتناقشنى أنا أخرب بيتك وأجيب بسطويسى يقف على باب أخبار اليوم .

وبسطويسى هذا رجل شحاذ يقف على باب أخبار اليوم . .

وغضب أبو زيد ولزم البيت . . ولكن على أمين بعث فى طلبه . . لأن على أمين لا يستغنى عنه . . ولابد من الاستعانة به فى إهانة التحرير والإدارة والإعلانات . .

وزودها أبو زيد فكان يقف عند مدخل (أخبار اليوم) ويلاحق الكتاب بالتعليق على مقالاتهم . ففى إحدى المرات استوقف الأستاذ العقاد وقال له : المقال الأخير يا أستاذنا ليس واضحًا .

فاندهش الأستاذ العقاد من جرأة أبو زيد . . والتفت ناحيتى يقول : ما هذا (الشىء) .

قلت : أبو زيد يا أستاذ .

- يعنى إيه يا مولانا ؟

- أحد اختراعات على أمين .

- اخترعه من أجل ماذا ؟

- من أجل أن يشتم به الناس . .

- ولكن على أمين قد شتم نفسه بهذا الشىء الوقح . . هاها . . هاها . .

وفى يوم اقترح على أمين أن آخذ معى أبو زيد لإحدى حفلات أم كلثوم وتصوير انفعالاته . . فطلب من المصور أن ينتظر أبو زيد حتى ينام ويصوره . . أبو زيد ينام فى حفلات أم كلثوم . . إنها إهانة لا يمكن اغتفارها . . إلا أم كلثوم ، فإنها فوق النقد وفوق القانون . ولكن أبو زيد نام !

ولم أكتف بهذا وإنما نشرت مقالاً صغيرًا وسط هذا الموضوع . . وجعلت المقالة فى آخرها . . وجعلت السطور مقلوبة وفى غير مواضعها . ثم جعلت إمضاء أبو زيد فى آخرها . .

ولما رآها على أمين تضايق وتساءل : إيه ده ؟

قلت : إنها مقال بقلم أبو زيد .

- وهل أبو زيد يعرف الكتابة ؟

- ومن قال أنه يعرف . . إنها كتابة ليست للقراءة !

ولم يعد على أمين يذكر أبو زيد !

ومن الذى يصدق الميكروبات ؟

لو طلع علينا النهار فوجدنا ماء الحنفية معدنيّاً . . فيشى . . بريبه . . لو حدث هذا فلن يصاب أحد بأى أوجاع فى المثانة وفى الكلى . . وفى المعدة . .

ولو حدث شىء ما جعلنا نستغنى تمامًا عن المواد التى نرشها على التربة وعن المواد الكيماوية التى نغرق بها النباتات والأشجار . .

لو وجدنا فجأة أن اللحوم غير سامة . . والفواكه والخضراوات .

لو حدث لسبب لا نعرفه أن تحول الهواء كله إلى أوكسچين . . فلا نشم إلا هواء نقيًا ١٠٠ ٪ تمامًا كالذى يشمه المرضى الذين يدخلون غرف العناية المركزة . .

لو اختفى التراب من الجو . .

لو حدث هذا كله لوقف جميع الأطباء فى العالم يلطمون ويصرخون فقد اتخربت بيوتهم وعياداتهم والمستشفيات ومصانع الأدوية . لماذا ؟ لأنه لا يوجد إنسان مريض . . ولأن أحدًا لن يقول لأحد : افتح فمك . . طلع لسانك . . قل : آه . .

فالأطباء يعيشون على المرض . . على مرض ملايين الناس وأوجاعهم . . وشركات الدواء تعيش على الأطباء . . وكذلك الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية . .

وكما أن هناك أمراضًا فهناك أدوية . .

وكما أن هناك أدوية ، فهناك أدوية مضادة . .

فنحن فى زمن نخترع المرض لكل دواء . .

وكما أن هناك مرضى يبحثون عن الدواء . . فهناك أصحاء يبحثون عن الداء . . هناك أناس أدمنوا الأدوية . لا لأنهم مصابون بشىء ما . . ولكنهم اعتادوا على الأدوية . . كما اعتاد المدخنون أن يستنشقوا الدخان . . فهم فى حاجة إلى هواء مسموم . . وقد أدمنوا الهواء المسموم . . كما أدمن الأصحاء العقاقير الكيماوية السامة . .

ولا توجد أدوية تشفى بصفة مؤكدة . أولاً لأنه لا أحد يعرف بالضبط ما الذى يشكو منه . . نحن نشكو من شىء ما نحن نشكو بالتقريب من وجع ما . . والوجع بالتقريب . . والمرض بالتقريب والتشخيص بالتقريب . .

لو كل الدواء يشفى لأغلق الأطباء نصف العيادات ومعظم المستشفيات . ولكن الأدوية لا تشفى والمرضى لا يعرفون ماذا يوجعهم والطب ليس علمًا دقيقًا كاملاً . . وإنما هو علم تقريبى . .

ولو أصبح السلام يسود العلاقات الإنسانية . . لو أصبح الحب هو الرباط الذهبى بين الناس . .

وإذا لم يعرف الناس كيف يتشاجرون ولا كيف تتحول أصابعهم إلى سكاكين وكلماتهم إلى رصاص . .

لو أصبح السلام بينى وبين نفسى وبينى وبين الله . . وبين

البيوت المتجاورة والمجتمعات والدول . . ولو أصبح الخير هو الذى يحكم ويتحكم . . لأدى ذلك إلى خراب مصانع السكاكين والمطاوى ومصانع السلاح والذخيرة . . وخراب بيوت ملايين المهندسين والعمال فى كل الدنيا فأعظم تجارة فى الدنيا هى تجارة الموت . . أى تجارة الأسلحة التى تؤدى إلى الموت : الطائرات المقاتلة والقاذفة والمدافع والصواريخ والديناميت والجلجنايت . . وسفن التجسس . . وكذلك سماسرة الحروب من رجال السياسة والمخابرات والحكام والدبلوماسيين . .

كل هؤلاء يعيشون على الحقد والكراهية والغضب والانتقام والتربص والتشفى . .

إن تاريخ الإنسانية ليس إلا تاريخ الحروب بين الشعوب وبين الدول . . ولم تعرف الإنسانية سلامًا فى السبعة آلاف سنة الماضية إلا لمدة ١٢٣ عامًا . . أما بقية هذه السنين فهى حروب واستعداد لحروب دينية وعنصرية وطبقية واقتصادية . .

ولولا الحروب ما تطورت وسائل المواصلات . . من عربة تجرها الأبقار إلى سفينة فضاء تتجسس . . ولما تحول الطوب إلى صواريخ موجهة . . وطائرات شبح . .

إن الحروب هى أم الاختراع لأن الانتقام والهرب هو أهم ما يحلم به القاتل . .

فالحرب هى أم الاختراع . .

والموت - أو الرغبة فى موت العدو - هى مصدر حياة الدول والحكام والعظمة والأبهة والمجد . .

وكما أن صفاء الماء يؤدى إلى خراب بيت الأطباء وصناع الأدوية ، فكذلك صفاء العلاقات بين الأفراد والشعوب يؤدى إلى انهيار مصانع السلاح والذخيرة . .

فلا تصدق طبيبًا يتمنى الشفاء للمرضى ، ولا محامياً يتمنى البراءة لكل المتهمين . . ولا سياسيّاً يريد السلام الاجتماعى والدولى . ولا تصدق أى بيان رسمى تصدره الميكروبات وتقول فيه : إنها تريد أن تموت من أجل صحة الإنسان !

أن أعيش وأن أموت بين الفلاسفة !

سألتنى مرة إحدى الإذاعات العربية عن العصر الذى كنت أتمنى أن أولد فيه . .

وقلت : كنت أتمنى أن أعيش فى العصر الرومانسى . . العصر الذى لا سلطان فيه إلا للحب . . والشعر . . فكل شىء كلام جميل نعيش ونموت ونحن نسمعه ونحن نقوله . . فلا أجل من المحبوبة ، ولا أروع من الشعر ، ولا أبدع من الموسيقى . . ولا أعظم من الموت من أجل من أحب . .

ولكن الذى قرأته عن هذه العصور جعلنى أتردد . . فهى عصور القذارة والمرض الذى لا علاج له . . ثم ما الذى يمكن أن يعمله الإنسان لكى يتفرغ للحب . . وإذا كان هناك حب وحبيبة ، ولم تكن هناك فلوس ووظيفة . . وأكثر من ذلك عائلة قوية ذات مال ونفوذ ، فلا أحد يستطيع أن يحب . .

ففى هذا العصر الرومانسى ، مضمون فيه الموت جوعًا ، وليس الموت حبًا . .

فقلت ، مرة أخرى : إذن أحب أن أعيش قبل يوم القيامة بيوم واحد . . فى ذلك الوقت يكون الإنسان قد حل جميع مشاكله فى العلوم والتكنولوچيا . . ويكون الإنسان قد حل مشكلة المرض والجوع . . ويكون قد حل مشكلة الجاذبية . . فبدلاً من أن يمشى الإنسان فإنه يطير . . وبدلاً من أن يكون السفر إلى القمر

والكواكب فى أيام وإلى الكواكب الأخــرى فى ألوف السنين أو ملايين السنين فإن السفر يكون فى ثانية واحدة . . وذلك بأن يقف الإنسان أمام جهاز وهذا الجهاز يحوله إلى شعاع . . ويلتقطه جهاز آخر ، فيتحول الشعاع إلى جسم مرة أخرى . . وهكذا يكون الإنسان قد استطاع أن يوفر الوقت والطاقة . ثم إن الإنسان لا يكون فى حاجة إلى كلام وكتابة فأنت تعرف ما أريد دون أن أفتح فمى فلا كلام ولا سلام بين الناس . . وإنما حركة صامتة ، وحياة هادئة . . حياة ليست فيها حياة !

وعدلت عن هذه الفكرة !

ولكن غيرت رأيى وقررت أن أعيش فى القرن السادس قبل الميلاد . . ففى ذلك الوقت عاش أصحاب الديانات القديمة : بوذا الهندى وكونفوشيوس الصينى ولاوتسى اليابانى .

أما الفراعنة فقد حققوا معجزة خرافية ، فقد استطاعوا بمراكبهم المصنوعة من البردى أن يدوروا حول إفريقيا من جبل طارق إلى رأس الرجاء الصالح إلى البحر الأحمر إلى مصر - تصور هذا حدث قبل فاسكودى جاما وماجلان بعشرين قرنًا ؟!

وفى ذلك الوقت ظهر فى (تركيا) عدد من فلاسفة الإغريق العظماء الذين حاولوا أن يفهموا الدنيا والكون ويفلسفوا ما أرادوا . . ظهر طاليس وانكسمندريس وهرقليطس وبرمنيدز وفيثاغورس والأديب إيسوب والأديب اسخيلوس والشاعر بمندار . .

ومن كل هؤلاء الفلاسفة أتمنى لو جلست طويلاً إلى اثنين منهما : هرقليطس وبرمنيدز . . إنهما من أعظم العقول التى خلقها

الله . . وفى ذلك الوقت السحيق من تاريخ الحضارة قد أثار الاثنان كل قضايانا الفلسفية المعاصرة . .

وكان هرقليطس يقول إن كل شىء يتغير بلا نهاية . . مثلاً إن الإنسان لا ينزل البحر مرتين . .

فالبحر الذى نزلت إليه فى أول مرة ، لم يعد هو نفسه البحر الذى نزلت إليه فى ثانى مرة . . ولا أنا فى أول مرة هو أنا فى المرة الثانية . .

أما زرادشت الفارسى فله عندى كلام وإعجاب شديد . . ولكن لا أطيق أن أجلس إليه طويلاً .

وإنما أنا قد تدربت على الفلسفة والفلاسفة ومعهم أستطيع أن أعيش حتى الموت!

فى صمتك مرغم..
فى حبك مكره!

فى سنة ١٩٥٠ كنت أعمل فى جريدة (الأهرام) فى قسم الترجمة . . وفى نفس الوقت أكتب القصة القصيرة كل يوم . . نعم كل يوم . . ولم يكن مسموحاً للمحررين الصغار أمثالى أن يوقعوا بأسمائهم على أى شىء يكتبونه . . فالتوقيع كان من حق اثنين أوثلاثة : محمد زكى عبدالقادر وأحمد الصاوى ورئيس التحرير أنطوان باشا الجميل وبعد ذلك كامل الشناوى . بس!

وقد تغير كل شىء فى الأهرام عندما جاء كامل الشناوى . .

فقد أصبح من حق أى إنسان أن يضحك . . وأن يتكلم بصوت مرتفع . . وأن يأكل وهو جالس فى مكتبه . . بل وأن يشرب . . بعض الزملاء كان يشرب البيرة . . فقد كان كامل الشناوى يفعل ذلك فى مكتبه . . وكان كامل الشناوى يأتى بالطعام من كل لون فى مكتبه ونحن نأكل . . نحن جميعاً . . ويأتى بالفول والطعمية والكباب . . أما السمان المحشو فيأتى به الأستاذ التابعى . . ويأتى بالحلويات من بيت صديقنا المحامى زكى دياب . . كل شىء نأكله ونشربه فى مكتب كامل الشناوى . .

وكامل الشناوى هو الذى أدخل خط اليد فى عناوين الصفحة الأولى . . وكان الأهرام لا يعترف بذلك وإنما يترك هذا النوع من الخط «لأخبار اليوم» و«المصرى» . . أما الأهرام فقد انفرد بالوقار وعدم الانفعال .

وكنا لا نفترق عن كامل الشناوى ليلاً أونهاراً . فهو أبونا الأكبر وهو الذى يرعانا . . ولذلك فكنا ننتقل معه من صحيفة إلى صحيفة . . كنا معه فى (الجريدة المسائية) التى أغلقت بعد صدور ٤٤ عددا . . وذهبنا معه إلى الأهرام . . وانتقلت معه من (الأهرام) إلى (أخبار اليوم) . . هو الذى كان ينقلنا وهو الذى كان يقدر مرتباتنا . . ونحن نمشى وراءه حبا له وإعجاباً به وامتنانا له . .

ولكننا كنا كل يوم جمعة نذهب إلى القناطر الخيرية مع مدير التحرير نجيب كنعان وأسرته اللبنانية . فمدير التحرير أهم شخصية فى الأهرام . . جاد . . وقور . . قليل الكلام . . واسمه يتكرر ألف مرة على لسان كل واحد منا طوال اليوم . . لأنه هو الذى يقرر وهو الذى يختار . . ولا كلمةإلا كلمته . . ولا رأى إلا رأيه . . وأصحاب الأهرام كانوا لبنانيين لايفهمون كثيراً فى الصحافة . .

ولذلك كان الخروج مع الأستاذ كنعان ميزة كبرى لايحظى بها إلا القليلون جدا . .

وكنت واحدا من هؤلاء . .

وفى يوم طلب منى كامل الشناوى أن نتغدى معا . وكان المفروض أن أذهب مع الأستاذ كنعان . . ولم يتصور كامل الشناوى لحظة واحدة أن أقول له لا . . ولم أقلها . ولكن صمتى كان معناه أننى سوف أذهب مع الأستاذ كنعان . . لأننى كل يوم جمعة أفعل ذلك . . ولم يخطر على بالى لحظة واحدة أننا فى موسم العلاوات وأننى خائف ألا يعطينى علاوة . ولم أفكر فى ذلك لحظة واحدة .

وجلس كامل الشناوى فى حالة ضيق شديد . . ثم انحنى وكتب .

أنت فى صمتك مرغم
أنت فى حبك مكره
أنت فى صمتك مكره
أنت فى حبك مرغم . .
فتألم وتعلم كيف تكره .

ثم أعاد ترتيب هذه الكلمات حتى كانت قصيدته الشهيرة . .

ولم يكن الدافع لهذه القصيدة سياسيّاً . كما أصبحت بعد ذلك . . وإنما الواقع والسبب هو أنه تصور أننى مرغم على حب أصحاب الأهرام ، ومكره على مسايرتهم خوفا وطمعاً .

والحقيقة لا شيء من ذلك . . فأنا أحب كامل الشناوى وهو صاحب الفضل الأول . . ولو خيرونى بينهم وبين كامل الشناوى لاخترت كامل الشناوى . . وعندما قال لنا كامل الشناوى ، هيا بنا إلى (أخبار اليوم) لنشارك فى إصدار صحيفة الأخبار سنة ١٩٥٢ لم نتردد لحظة واحدة . .

بل إن زملاءنا فى الأهرام قد عتبوا علينا أننا خرجنا دون أن نخطرهم . . ودون أن نقدم ورقة استقالة ـ حتى هذه الورقة قد نسيناها . إذ يكفى أن كامل الشناوى قال : اخرجوا فخرجنا . . اتركوهم فتركناهم!

ولكن كامل الشناوى الشاعر الرقيق العنيف كان عصبيّاً عاطفيا لايرى إلا منطقه ، ولايجد عذراً لمنطق الآخرين ـ ولكنه كان صاحب فضل علينا دائماً!

يوسف السباعى لا نظير له بيننا .. !

لا أظن أن الأدباء قد عرفوا رجلا مثل يوسف السباعى . .

فقد كان يوسف السباعى لطيفا رقيقا ابن نكتة . . وكان متسامحا فهو يجمع حوله المسلمين والمسيحيين والشيوعيين وأعداء الشيوعية ـ وهو شخصيا عدو الشيوعية . وفى نفس الوقت كان يرأس عشرات اللجان والمؤسسات التى تضم كل الألوان والأديان والمذاهب . وكان عنده القدرة الفذة على أن يحبه كل الناس . .

والذين يختلفون معه فى الرأي أكثر من الذين يتفقون معه . ولكن الجميع يحبونه . وهو يساعدهم دون تفرقة .

وقد انقلب أكثر الناس قرباً منه . . هاجموه وشتموه وتطاولوا عليه . ولكنه كان يتسامح . شىء عجيب .

وأنا لم أعرف أديبا فى كل الذين قابلت أوقرأت عنهم أسرع إلى مساعدة الأدباء واحتوائهم مثل يوسف السباعى . .

ولأنه إنسان طيب فكان من السهل أن يصدق ما يقال له . وخصوصاً إذا قيل له مع شىء من التمثيل أوالدموع . لم يكن يوسف السباعى يقوى علي مواجهة الدموع . .

ويوسف السباعى كان عقلية إنشائية . فأى مكان يذهب إليه فإنه يحاول أن يعيده إلى الأحسن وأن يبنى وأن يضيف . . وكان يحب الزهور ويتفنن فى اقتنائها واختيارها ومعرفة أسمائها وكيف تنبت وكيف تزهر . .

وقد بدأت معرفتى بيوسف السباعى بأننى هاجمته . . فهاجمنى . وكان هجومى عنيفاً . لماذا؟ لا أعرف . وكان هجومه مهذباً . ثم حاول إحسان عبدالقدوس أن يدافع عن يوسف السباعى فهاجمنى الاثنان فى صحيفة الأخبار . . وكنت أعمل فى (روز اليوسف) التى يرأس تحريرها إحسان عبدالقدوس . واختلفنا وكانت قطيعة .

وكان إحسان عبدالقدوس أول من قدمنى تقديما كريما باهرا للقراء . . وتنبأ لى بأن أكون شيئاً هاما فى صناعة الأدب والفلسفة . .

وأصبح يوسف السباعى وإحسان عبدالقدوس أعز أصدقائى . .

وعندما أتلفت حولى فى كل الأوساط الأدبية ، فإننى لا أجد مثل يوسف السباعى . طيبة قلب وتسامحا واستعداداً دائما لمساعدة الآخرين أيا كان اللون والجنس والدين والوطن . .

شيء عجيب يوسف السباعي هذا . . فى أى وقت تلقاه تجده هاشّاً باشا . . فغبت عنه يوماً . . أسبوعاً . . شهراً . . تجد الابتسامة العريضة والنكتة والحب والاستعداد الدائم لصداقتك ومحبتك وخدمتك . . ولا تعرض عليه أى شيء إلا وافقك عليه . . بل يعدل لك الفكرة التى تعرضها أوالمشروع الذى تتقدم به . . ثم يوافقك عليه . .

كنا معا فى إسرائيل فى الزيارة الأولى للرئيس السادات . قلت له : مارأيك إن عدداً من الأدباء اليهود يريدون الجلوس معنا؟

ـ أظن لا مانع عندهم أن أحلق ذقنى وأن أغير ملابسى .

ـ لا أظن .

ـ ولا مانع عندهم أن أنام ساعة .

ـ أظن لا مانع . .

ـ ولا مانع عندهم أن يكون عندى حرية القبول أوالرفض .

ـ طبعا .

ـ ما رأيك لو قلت لهم أننى مشغول ولا أريد مقابلتهم؟

ـ ما رأيك أنت لو قلت لهم لا تدخلوا . . وهم جميعاً واقفون أمام باب غرفتك!

ـ منذ متى ؟!

ـ منذ متى ؟!

ـ منذ ساعة . .

ـ يانهار أسود . . وأنت ساكت . .

ـ أنا لم أسكت . . أنا أحاول إقناعك بأن تنهض ولا تفضحنا مع الأصدقاء الجدد . .

ـ فيهم بنات حلوة . .؟

ـ فيهم ملكة جمال إسرائيل .

ـ صحيح؟

ـ طبعا . . افتح الباب وأنت ترى بنفسك . .

وفتح الباب بسرعة . . ووجد عددا من الأدباء ذوى الذقون الطويلة وعددا من الحاخامات . . واختفيت أنا . . وسمعته ينادينى وأنا فى الأسانسير .

ونسي يوسف السباعى هذا المقلب وعشرات غيره . . فقد كان هو أيضاً يصنع المقالب وإن كان أكثرنا تسامحا!

حكايات جعلتنى أندم كثيرا جدا !

جاءنى السكرتير يقول إن رجلا وزوجته وعددا من الأولاد فى حالة نفسية سيئة وعندهم إصرار غريب على مقابلتى الآن .

وفكرت فلم أجد شيئا فى الصحف أو فى الذى كتبته يسبب هذا الإزعاج ودخل الرجل وزوجته وأولاده . وبادرنى قائلا : هؤلاء أولادى ما رأيك فيهم!

ولم أفهم . وفى نفس الوقت نظرت إلى أولاده . وأشرت إليه أن يجلس قائلا : تحت أمرك . . فيه إيه؟

وأشار الرجل إلى مجلة (آخر ساعة) وكنت رئيس تحريرها من ٢٣ عاما . ووجدت صفحة مفتوحة وقال : هل هذا يخلصك . مش حرام . .

ووضع إصبعه على مكان فى الصفحة . .

إنه موضوع عن أوائل الطلبة . . ولم أفهم ما الذى يقصده . فقلت : ياسيدى أنا تحت أمرك . ولكنى مش فاهم؟

وقال : هل يخلصك أن يقول كاتب المقال إن ابنى أعور . . وهل إذا كان أعور ، هل يصح أن يقال له ذلك . . كيف تكون معنويات الطفل الصغير .

وعدت إلى المقال فوجدت معنى مختلفا فكاتب المقال يقول : إن الطفل نجح ولكن مجموع درجاته ليس كبيرا . ولكن هذا مثل الأعور وسط العميان . . إنه أحسنهم والسلام!

والمعنى : أن الطلبة كلهم ضعاف ولكنه أحسن هؤلاء الضعاف . . فلا هم عميان ولا الطفل أعور!

واعتذرت عن المقال برغم أن كاتبه لا يقصد الإساءة لأحد . .

ولكن لاحظت أن الأب هو الأعور وأدركت أن العبارة قد أوجعت الأب وليس الابن . . واعتذرت مرة أخرى!

ويوم وقفنا ننتظر شاه إيران فى أواخر سنة ١٩٧٩ خارجا من بلاده إلى الأبد . . كنا فى مطار أسوان . . وكان الرئيس السادات ونائبه حسنى مبارك وعدد كبير من الرسميين . . وجاءت الطائرة مع الغروب . . الشمس تغرب والشاه يغرب . .

فكأن ذلك اليوم هو نهاية كل الأيام . .

وجاءت طفلة قدمت ورداً . . آخر ورد يقدمه أحد لشاه إيران . . فبعد ذلك لم يعد إمبراطورا ثم إنه قد مات أيضا . .

وكتبت مقالا طويلا فى مجلة (أكتوبر) وقلت : كأن محافظة أسوان شاءت أن يكون كل شىء مناسبا للنهاية الحزينة .

فأتوا له بطفلة قبيحة تقدم له وردا ميتا!

وظهرت مجلة (أكتوبر) وجاءنى تليفون شديد اللهجة يعتب ويلوم كيف أصف طفلة بأنها قبيحة . وهل يوجد فى الدنيا طفل قبيح ؟! . . يكفى أنه طفل .

وكان صاحب اللوم الشديد هو المهندس سيد مرعى!

وبعد ذلك توالت المكالمات التى ساء أصحابها أن أصف طفلة صغيرة بريئة بمثل هذه الصفة الموجعة!

واعتذرت لكل الناس . . فقد غلبنى التعبير دون أن أتنبه إلى أية درجة هو مؤلم للطفل . . والحمد لله أن الطفلة كانت سعيدة ، ولم تدرك معنى المناسبة ولا قرأت الذى كتبت . .

وفى يوم كنت أتناول عشائى فى فندق هيلتون عندما تقدمت سيدة وأمامها طفلة وقالت لها : سلمى على أونكل . .

طفلة ظريفة جميلة . .وحملتها وقبلتها وقلت : اسمك إيه يا جميلة!

قالت : سماح .

وقالت أمها : سماح يا أستاذ . .

ثم عادت تقول : هذه هى الطفلة التى وصفتها سيادتك بأنها قبيحة فى أسوان . . ولكن يكفى أنك رأيتها على حقيقتها . . سماح يا أستاذ!

ولم أعرف نهاية لأسفى وندمى . . ولكن يبدو أن أم الطفلة كانت على يقين من حلاوة ابنتها . . ومن أننى قد تأثرت بالمناسبة المأساوية للإمبراطور فرأيت كل شىء فى لونه ومعناه . . ولم أقصد ابنتها بالذات!

ومنذ أيام كلمنى الصديق محمد عبدالمنعم السكرتير الصحفى للرئيس مبارك . وقال لى نقلا عن سفيرنا محمد بسيونى فى تل أبيب : إن رئيس إسرائيل عيزرا فايتسمان وزوجته يبكيان ليلا ونهارا بسبب الذى كتبته عن ابنهما . . والرئيس فايتسمان

يتساءل كيف أكتب أنا بالذات عن ابنه هكذا . . مع أننى أعرف مأساته وأننى جلست إليه عدة مرات وتناولت طعامى مع الرئيس وزوجته وابنه الوحيد . . الذى مات!

ولم أكن أعرف أنه مات . .

وعدت إلى الذى كتبت فوجدت أننى قلت : إن رئيس إسرائيل رجل يدعو للسلام . . وأنه فى مفاوضات كامب دافيد كان أكثر الناس إصرارا على السلام . . وأنه كان مخالفا لبيجين . . ثم إنه بسبب ما أصاب ابنه الوحيد ، كان أكثر الناس تشددا فى كراهية الحرب ونهايتها بين مصر وإسرائيل . .

وبعد ذلك اتصل بى د . رضا شحاته سكرتير الرئيس مبارك للمعلومات وقال لى : إن سفيرنا فى إسرائيل يرجو تصحيح هذا الذى كتبت لأن الرئيس فايتسمان يبكى ليلا ونهارا . .

والغلطة التى تدحرجت إليها دون أن أدرى أننى قلت إنه مصاب بتخلف عقلى . . والحقيقة إن ابنه كان طيارا فى حرب الاستنزاف وأنه أصيب فى رأسه بالقرب من مخه . . وأنه ظل مصابا ليس هو وحده وإنما أسرته كلها مصابة من أجله وحزنا عليه . . ثم إنه مات . .

وتضايقت جدا أننى أوجعت أبا وأما فى أعز عزيز عندهما ابنهما الوحيد . . وكتبت تصحيحا لهذا الذى جاء عن غير قصد فى مقالى . فلم يكن فى نيتى أن أحرك مواجع لم تهدأ ، ودماء لم تجف ، ودموعا لم تسكن . .

وتصادف أن جاء أتوبيس سياحى إلى جوار سيارتى . . وإذا بواحد من السياح يقول لى : هذه هدية لابنك . .

فقلت : شكرا ولكن . .

سألنى : هل عندك أولاد؟

قلت : لا

فقال : مؤكد . . ولو كان عندك أولاد ماكتبت عن ابن رئيس إسرائيل هذه الكلمات الموجعة . .

ولم أجد ما أقوله!

وكانت أول فتاة

اسمها : سوزى !

لا أذكر أول مقال كتبته فى حياتى الصحفية . . فلم يكن مقالا . وإنما كان قصة لبنت اسمها سوزى . . ولم أعرف فى حياتى واحدة بهذا الاسم . ولكن لعل الاسم أجنبى رشيق . . فإذا أحببت أوأحبتنى واحدة اسمها سوزى ، فهو حب شياكة . . حب أوروبى . . مثل كل الشعراء العظام فى التاريخ . . فالشاعر الإيطالى دانتى أحب واحدة اسمها بياتريس . .

والشاعر الإيطالى بترارك أحب واحدة اسمها لورا . .

والقديس أبيلار أحب واحدة اسمها هلويزة .

والشاعر الألمانى نوفالس أحب واحدة اسمها صوفيا . .

والفيلسوف الدانماركى كيركجورد أحب واحدة اسمها رجينا .

والشاعر الألمانى رلكه أحب واحدة مصرية اسمها نعمت علوى . .

والعقاد أحب واحدة اسمها سارة وواحدة ثانية اسمها مديحة ، وواحدة ثالثة اسمها مى .

والشعراء العرب أحبوا مئات لهن أسماء عربية : الشاعر جميل أحب بثينة وقيس المجنون أحب ليلى . . والشاعر كُثيّر أحب عزة .

فلا مانع أن تكون حبيبتى اسمها سوزى . . أوسوزانا . . المهم كان اسمها سوزى . . وسوزى هذه بالغت فى جمالها ودلالها ونسيت نفسى . . فلن أتحدث عن قدراتى أومميزاتى أوالأسباب التى جعلتها تحب واحدا مثلى وتترك من هم أكثر مالا وجمالا وسلطانا . . وإنما استعرضت أمامها كل معلوماتى فى الأدب والفلسفة . . ولكنها لم تهتم كثيرا بهذه المواهب أوالقدرات . . لماذا؟ لأنها جاهلة . . لأنها لاتفهم . . لأنها بلا عقل وبلا إحساس وأن كل الذى يهمها من دنياها هو المظهر الخارجى : الفستان ولون الشعر ولون الشفتين وأظافر وجزمة المحبوب . . تافهة؟ طبعا تافهة . .

تماما مثل زوجة أستاذنا سقراط . . كانت امرأة طويلة اللسان اسمها اكزانطيبة تبعث على السخرية والاحتقار . . فهى لم تدرك عظمة زوجها ، لأنها تنظر إليه من خلال الطعام الذى لايشتريه والملابس التى لايرتديها . . ومن خلال أولاده الذين لايعرفهم . . فليس عنده وقت . . وتنظر إليه من خلال الزوجات الأخريات . .

وهى مثل زوجة الأديب توليستوى لم تدرك عظمته وإنسانية الزوج الذى يرى أن الناس جميعا سواء . . لافرق بين الفلاحين والإقطاعيين . . والفرق مساحات من الأرض يملكها الأغنياء . . ولذلك تنازل عن كل أرضه للفقراء حتى لاتكون له ميزة على أحد . . اللهم إلا موهبته الأدبية . . وكانت زوجته أسوأ من زوجة سقراط . . أطول لسانا وأقل ذوقا ولا تجد حرجا فى أن تسخر منه أمام أولاده . . مع أنه كان فى استطاعته أن يدفنها حية . . وأن يمسح بها الأرض التى أعطاها للفلاحين . : وإنما كان يفضل أن

يكون الأعظم والأكبر والأكثر احتراما والأقدر على ضبط النفس أمام كلب ينبح ويمزق ملابسه!

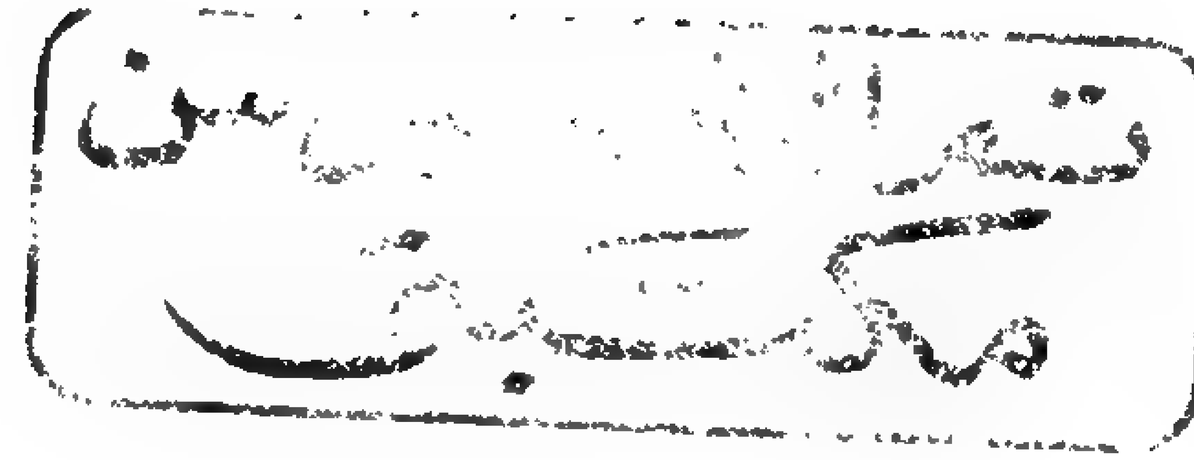
أوكأنها زوجة الفيلسوف كارل ماركس رائد الشيوعية . . فقد كان كارل ماركس غارقا فى التاريخ يبحث عن حل لأزمات المجتمع الإنسانى . . وكيف يجعله يثور على الظالمين والجشعين واللصوص . . وكان ينتقل من مكتبة إلى مكتبة . . حتى فرغ من كل الكتب . . ونسى أنه مديون لشوشته . . فقد كان يسرف فى شرب البيرة ، وينسى أن يأكل ، وينسى أن يعطى زوجته فلوسا . . فكان أصدقاؤه ينفقون على أسرته . . وبعد أن مات قرر الأصدقاء أن ينفقوا على بناته . . وقد قررت إحدى بناته وزوجها أنه بعد أن يفرغ البيت من الطعام أن ينتحرا معا . . ولم يجدا الطعام . . فانتحرا معا!

وأمثلة زوجة عالم النفس فرويد . . كانت أغنى الزوجات فى التاريخ فهى بالضبط لاترى أن زوجها يساوى شيئا . . فهو طول الوقت يجلس إلى الرجال والنساء ويسأل عن أحداث الطفولة وعن القدرة الجنسية والعجز الجنسى . .وكان الرجل مريضاً . . فقد أصيب بالسرطان فى لسانه وشفتيه ولم يتوقف عن التدخين أوعن البحث . . ولم تتوقف زوجته عن احتقاره والاستخفاف بكل مايقول . . وهو صاحب القدرة الكبرى على التحليل النفسى . .

وقد استحضرت زوجات العظماء اللاتى لم يكن عظيمات . . ووضعت هذه الزوجات أمامى وأخذت صفاتهن جميعاً ووضعتها فى الآنسة سوزى التى لاتساوى أن يحبها أحد . . فهى بالضبط خلقت لتعذب أى إنسان وخلقت لتنفرد باحتقاره لها . .

يقول أستاذنا العظيم الفيلسوف شوبنهور : إن المرأة هذه ليست هى أنثى الرجل . . وإنما أنثى الرجل قد انقرضت ، وقد قفز هذا الحيوان الغريب ليكون (بدل فاقد) . . هذه المرأة ذلك الحيوان ، طويل اللسان ، طويل الشعر ، ضيق الكتفين ، ضيق الأفق . .

كل هذه الصفات وضعتها فى سوزى أول قصة كتبتها فى حياتى فى أغسطس سنة ١٩٤٨ فى جريدة (الأساس) . . جريدة الحزب السعدى!



شمس الأصيل

ماتذهّبى خوص النخيل

والله العظيم إن حياتنا جميعا معجزة تتجدد كل يوم . وإن هذه المعجزة يجب أن نقابلها بشكر الله على هذه النعمة التى لانستحقها . . ونحن لا نستحقها لأن كل ظروف الأكل والشرب والنوم لاتؤدى إلى أن نعيش حتى اليوم التالى . . فماء النيل مسموم بسبب المواد الكيماوية الكثيفة التى تصبها المصانع الحربية ومصانع السماد من أسوان حتى دمياط . . وبسبب مخلفات الإنسان والحيوان والفنادق العائمة والفنادق القائمة . . ثم بسبب المبيدات الحشرية التى نرشها على النباتات ونضعها فى الأرض ثم نتجه إلى المصارف وأخيرا إلى نهر النيل .

أما الأطعمة نفسها فهى مسمومة . .

أما الهواء فهومشحون بأول وثانى أكسيد الكربون والرصاص . .

وقد قام أحد علماء الحيوان فى جامعة أسيوط بدراسة عن أثر هذه المواد فى الحيوانات ـ فى الحمير بالذات .

فوجد أنها تقصر عمر الحيوان . . وتفقده الذاكرة وتجعل عظامه هشة . . هذا مايصيب الحمير . . أما مايصيب أصحاب الحمير فهو الفشل الكلوى والتهاب المسالك البولية والأنيميا . . وغيرها . .

فأنت إذا وجدت نفسك حيا فاحمد ربنا على أنه أضاف لعمرك يوما لاتستحقه . . وأنت لاتستحقه لأن المسئولين فى

بلدك قد تعدوا ـ عن إهمال شديد ولامبالاة ـ أن يقصفوا عمرك وأن يوقفوا نموك . . ولكن إرادة الله شاءت أن تعيش لتعلن إصرار هؤلاء المسئولين الذين لايحلو لهم البحث والدراسة لأسباب أمراض الناس إلا فى العواصم الأوروبية . .

فنحن ـ فى مصر ـ فى حالة انتظار للموت ولوزير البيئة . . أما الموت فيجىء فى صمت ، ولا نعرف متى يذهب أويجىء السيد وزير البيئة .

وقد تلقيت من د . لطفى السيد إبراهيم المستشار فى الأمم المتحدة ، هذا الرجل الذى يشير إلى كل الأغانى والقصائد التى قيلت على النيل . . ثم إنه يستحلف شمس الأصيل .

ويقول د . لطفى السيد إبراهيم فى أبيات مليئة بالجمال والذكاء والسخرية :

شمس الأصيل والنبى ... ماتذهبى خوص النخيل
وياناى على الشط ابكى ... والنائحات بتميل
سواد وضلمة وعتمة ... على صفحتك يانيل
واللى عايز يرتوى ... يرجع مريض وعليل

❋ ❋ ❋

أيام ماكنت حليوة ... كان كل ماتفيض عيد
مراكب فرحة وبهجة ... وفى الضفتين زغاريد
ونقى أحلى عروسة ... من الحسان والغيد
تزفها بعد زواقها ... بالأساور والخلاخيل

ياما عشانك لحنا ... وقلنا أشعار وأغانى
وأتذكرين بشط النيل ... وأين واد وضفتان
والنيل أسمر نجاشى ... والزمان يسمح ياجميل
ياذا الجداول رقراقة ... والسحر صداح المغانى
والماء تسكبه عسجدا ... ياملك الملوك الحانى
واديك أصل الحضارة ... درة الدهر والزمان
وأنا واللى أحبه معاك ... مافى لخيرنا مثيل

* * *

فجأة انقطع فيضه ... ونيلنا ياناس اتنيل
قالوا هوه اللى انعوج ... وكان لابد م التحويل
حولناك يانيل مصرف ... ونبع ومنهل لأمراضنا
شمس الأصيل : والنبى ... ماتذهبى خوص النخيل

شىء عجيب فى بلدنا وناسنا ، أن أحدا لايعمل شيئا ، نقول له : الماء مسموم . . فإنه يشربه .

نقول له : الطعام مسموم ، فإنه يأكله كأنه يعند . . أوكأنه يستخف بما نقول وهو لايصدق كل الذين يقولون وكل الذى يقال . .

وأنت لاتستطيع أن تسكت ، ولاتستطيع أن تصدق . . فأنت تكره ماتقول ، وهو يكره مايسمع ، وأنت تكره أن تظل تقول ولاأحد يستجيب ، وهو يكره أن يسمع ولا أحد يسكت عن الكلام . .

وهذه حالنا مع ناسنا . . ومع المسئولين عنا!

مفيش حاجة لوجه الله!

فى أحـد مطاعم القـاهرة ، فـوجـئت برجل طويل عـريض يصافحنى ويضغط على يدى ويقول بالإيطالية : هل تعرفنى؟

قلت : لا . .

قال : حاول أن تنظر إلى وجهى جيداً . ألا تتذكر هذا الصوت؟ ثم أمسكنى من أذنى . .

ولم أعرف ماالذى يجب أن أفعله فى مطعم كبير والناس من حولنايتفرجون على مايمكن أن تسفر عنه هذه الطريقة العنيفة فى التعارف . .

ولم تسعفنى ذاكرتى .

فقال الرجل : لم تبق إلاّ طريقة واحدة . .

وإذا به يرفع صوته ويقول : إنها المادة ٢١٤ من قانون الملاحة الدولية . . إمسكوه!

يا ابن الإيه هوه أنت؟

هذا ماقلته لنفسى وقد سرت الرعشة فى جسمى وصعد الدم إلى وجهى . . والتفت الناس واقترب بعضهم يسأل : إن كنت فى حاجة إلى مساعدة . . وأنهم جاهزون لضرب هذا الخواجة . .

وجلسنا صامتين ثم رحنا نضحك بصوت عال . . وهات ياقبلات وأحضان . إيه الحكاية؟

كان ذلك من أربعين سنة . . وكنت عائداً على ظهر الباخرة الإيطالية اسبيريا . . وكنا جالسين على سطح السفينة . . وفجأة خطرت لى فكرة شريرة . . فأمسكت ورقة وقلما وكتبت أى اسم يخطر على بالى . . عشرة أسماء . . عشرين . . وطلبت من أحد الزملاء أن يذهب بها إلى الدرجة الأولى من السفينة ويقول : إن هذه هى أسماء ضحايا الزلزال الذى أصاب القاهرة والإسكندرية!

من أين جاءت الفكرة؟ لا أعرف ولماذا؟ لا أعرف . . هل هو الضيق من أننا ننام على ظهر المركب ويوقظوننا عند الفجر لكى يغسلوا ظهر السفينة . . فقد كنا ننام فى خيام . . ولابد أن يصحوا البحارة مبكرين جداً . . وكان لابد حتى لانغرق فى الماء أن نرتدى ملابسنا ونتكوَّم فى ركن من الأركان حتى يفرغ البحارة من غسل السفينة غسلاً جيداً ، وهذا يحتاج إلى ساعة نقفها فى مهب العواصف والأمواج العالية . وبعد ذلك ندخل الخيام ونكمل النوم . .

وماهى إلا لحظات حتى تعالت الصرخات فى الدرجتين الأولى والثانية من السفينة . . وكنت قد نسيت . . وإذا بالقبطان يعلن فى الميكروفون . . أن عدداً من الصحفيين الأشرار ، قد أحدثوا فزعاً فى السفينة . . ويقول القبطان : وأؤكد للسادة الركاب أننا سألنا السفن القريبة منا فنفوا أن زلزالاً وقع فى مصر . . وقد اتصلنا بميناء بيروت وحيفا وتريستا . . فأكدوا لناأنه لم يقع زلزال . وأن هذا الذى حدث فى السفينة تنطبق عليه المادة ٢١٤ من قانون الملاحة البحرية؟

وبعد لحظات طويلة ، أعلن القبطان أن هذا القانون يقضى بوضع الراكب فى سجن السفينة وتسليمه إلى السلطات المصرية . وقد أصدرت أمرى بالقبض عليه فوراً!

وتطوع أحد البحارة وقال لى : تعال عندى .

وذهبت معه بسرعة ، وأشار علىّ أن أدخل تحت السرير . ودخلت تحت السرير . . وظللت أدخل وأخرج من تحت السرير ١٩ ساعة . . حتى دخلنا ميناء الاسكندرية ، وعاد القبطان يعلن عن ضرورة أن أظهر وأن أسلم نفسى!

وقال لى صديقى البحار الجدع : اسمع أنه لايعرف اسمك . . ولايعرف شكلك وزملاؤك رفضوا أن يذكروا اسمك وأن يقولوا أنت مين . . فأنت تخرج من تحت السرير الآن وتحلق ذقنك وتغير ملابسك . . وهذا السيجار ضعه فى فمك وهذه البرنيطة تضعها فوق دماغك وتعوجها شوية . . عارف البنت الحلوة اللى هناك دى . . دى تبقى بنت خالتى وأنا سأتزوجها غداً . . ضع ذراعك فى ذراعها . . وتغزَّل فيها بس . . غزل بس مش أكثر . . وخذ هذه الشنطة بتاعتى فى يدك . . وانتظرنى على الرصيف!

وقلت له : أنا لا أعرف كيف أشكرك . .

ـ الشكر بعدين .

والله مفيش حد بالشكل ده فى الدنيا دى . .

ـ لأ . . فيه . .

ونزلت هادئاً والبنت الحلوة فى ذراعى وشنطة البحار صديقى فى يدى والبرنيطة على دماغى وزملائى الصحفيون فى دهشة من هذه التمثيلية المتقنة . ويسألونى : إيه الحكاية . . البنت الحلوة دى . . لقيتها تحت السرير برضه!!

وأنا لا أرد . .

بسرعة نزل البحار وعانقنى وقبّلنى وشكرنى . قلت له : أنا اللى أشكرك . .

- على إيه . . انت لو تعرف؟

- أعرف إيه؟

- الشنطة دى اللى أنت نزلت بها فى يدك فيها مايساوى خمسة آلاف جنيه حشيش . . أشكرك ليوم القيامة . .

- ياابن الـ . .

- ياحبيبى مفيش حاجة لوجه الله!

- صح!

أم كلثوم قالت له : من الذى يسمعك ؟

فى يوم اتصلت بى السيدة أم كلثوم تقول فى التليفون : عاوزه منك خدمة واحدة . .

فقلت : واحدة بس؟

قالت : تجربة . . إذا نفعت فسوف أطلب منك خدمات كثيرة!

أنت تعرف وزير الصحة؟

ـ نعم .

ـ صديقك .

ـ يعنى . .

ـ لا . . يعنى إيه . . صاحبك ولا مش صاحبك؟

ـ مفيش حد صاحب حد فى الزمان ده . .

ـ يعنى مش صاحبك .

ـ لا . . صاحبى شوية . .

ـ كلمنى عدل .

ـ أيوه صاحبى . .

ـ فلانة تخرجت فى كلية الطب . . ولا تريد أن تعمل فى مستشفيات الريف لأن أمها مريضة بالقاهرة .

ـ حاضر .

ـ حاضر إيه . . استنى لما أكمل كلامى . .

ـ ياست الدنيا كلها تستنى لما تغنى . . ولكن لما تتكلمى . .

ـ يعنى إيه . . يعنى أغنى لك : غلب حمارى . . غلبت أصالح فى حمارى . . هاها . . هاها . .

ـ . . . .

وذهبت إلى وزير الصحة وقلت له ماقالته السيدة أم كلثوم . .

فقال وزير الصحة : الست أم كلثوم على عينى وعلى رأسى . . على عين الدنيا كلها وعلى رأسها . . واللى هيه عاوزاه حاعمله حتى لو كان خطأ! ولكن . .

وحكى لى : إن هذه الطبيبة من مركز السنبلاوين دقهلية بلديات أم كلثوم وبلدياتك أنت أيضا والمطلوب أن تعمل فى مستشفى صغير يبعد عن السنبلاوين بعشرة كيلو مترات . . وسوف تركب سيارة وزارة الصحة . هل هذا صعب عليها . . ليس صعبا . ومع ذلك فسوف أعينها فى مركز السنبلاوين نفسه علشان خاطر الست وعلشان خاطرك!

وذهبت إلى أم كلثوم أزف إليها هذه البشرى . وسألتنى : متى يصدر القرار؟

ـ القرار ليس مشكلة . فالرجل موافق . .

ـ الرجل ده كلامه حلو ولكن أفعاله ليست كذلك . هات القرار فى إيدك . .

ـ حاضر ياست . .

وذهبت إلى وزير الصحة . وقلت له أم كلثوم عاوزه القرار فى يدها!

ـ أحمدك يارب!

ـ على إيه؟

ـ على أنه ليس فى مصر ولا فى الدنيا كلها أم كلثوم أخرى . . تطلب وتجاب فورا . . وتطلب القرار وتأخذه بإيدها فى ثانية واحدة!

ودق جرس التليفون وكانت أم كلثوم . قال لها وزير الصحة : يا أفندم انت سيادتك تأمرى . . شرف لنايا أفندم . . أيوه موجود قدامى . . أيوه يا أفندم . .

وأعطانى سماعة التليفون : أيوه ياست . .

ـ انت قاعد عندك بتعمل إيه . .

ـ مستنى القرار .

ـ وهوه القرار ده كام كلمة . . نشيد قومى . . مش كلمة وإمضاء؟

ـ كلمة وإمضاء؟

ونظرت إلى وزير الصحة فهز رأسه بأنه سوف يكتبه حالا . .

وقلت لها : القرار فى يدى . .

ـ يا أخى لما القرار فى إيدك قاعد بتعمل إيه . . قوم وتعال بسرعة البنت حتموت من العياط . .

ـ تموت ولا تروح فى ستين داهية . . إيه دى اللى شاغلة أم كلثوم؟

ـ اختشي ياولد! والله ما أنت متغدى النهاردة . . شوف مين حيوجع لك بطنك غيرى . . هاها . . هاها!

وأعطانى وزير الصحة خطابا أزرق صغيرا . . وبه شيء جاف وسألته : ماهذا؟

قال : حاجة أريدك أن توصلها للست . .

وفتحت أم كلثوم الخطاب وراحت تضحك . وسألتنى : أنت عرفت إيه الموجود هنا . .

ـ لا . .

ـ طيب انتظر لحظة واحدة . .

وغابت دقيقتين وعادت . . وفى يدها مظروف وردى وبه شيء جاف . وقالت : اعط هذا الخطاب للوزير ولاتفتحه . وتعال . . سوف أنتظرك على الغداء . . وحيكون هنا محمد عبدالوهاب وعبدالحليم والسنباطى . . لاتتأخر . .

وذهبت إلى وزير الصحة وأعطيته المظروف الوردى . . وراح يضحك . وسألته : إيه الحكاية . .

قال لى : أنا بعثت لها خطابا أقول لها فيه تعالى أقعدى مكانى وإليك مفتاح مكتبى . . فأرسلت هى خطابا تقول فيه : وهذا مفتاح قاعة البروفات وعاوزه أشوف لما إن شاء الله حتغنى مين اللى حيسمعك!

فعلا . . أى واحد ممكن يبقى وزيرا . . ومن المستحيل أن يكون أى واحد أم كلثوم!

جلسنا وكنا من مصر والسعودية والكويت والبحرين وفلسطين والسودان . طبيعى أخوة أشقاء . لا شك فى ذلك . . ولاخلافات جوهرية بيننا . .

وحتى لو كانت هناك خلافات فنحن فى لندن قد جئنا لهدف واحد لاعلاقة له بالسياسة . فنحن جئنا للراحة من السياسة ومن وجع القلب .

وتكلمنا فى كل شىء . وعلى الرغم من أننا قد عرجنا إلى السياسة ، فقد قال واحد : وبعدين؟

قلت : نحن الآن فى حالة (البعدين) . . فنحن فى (البعدين) أى بسبب كل ماحدث فى الأربعين عاما الماضية . . أوالخمسين أوالستين . . فالتاريخ حلقات مربوطة . . ونحن مربوطون أيضا .

ـ عن أى شىء نتكلم؟

ـ عن أى شىء . فكل شىء له تاريخ . . والتاريخ مقدمات ونتائج . . والإنسان مثل حيوان الكانجرو الذى يجلس على ذيله . . ونحن نجلس على تاريخنا . . لأننا جميعا نولد فى ظروف . . هذه الظروف سبقتنا إلى الوجود . . فقد سبقك إلى الوجود : دينك ولغتك وصفات الأب والأم والطبقة الاجتماعية واللغة . . كل ذلك قد سبقنا إلى الوجود ويضغط علينا . . ونحاول أن نتخفف منه . ولكن المستحيل أن ننسلخ تماما من ماضينا ومن حاضرنا ومن مستقبلنا . .

ـ يعنى إيه؟

ـ يعنى مهما حاولنا أن نبعد عن (واقع) بلادنا فلن نستطيع . .

ـ يعنى إيه؟

ـ يعنى لابد أن نتكلم فى السياسة . .

ـ أنا لا أريد .

ـ وأنا لاأريد .

ـ وأنا أهرب ألف كيلومتر من هذا المكان ولا أتكلم فى السياسة؟

قلت : وهو كذلك . . إذن عن أى شىء نتكلم؟

ـ عن الجمال .

ـ جمال المرأة الإنجليزية . . وأنها أجمل من المرأة العربية . . أوأنها مماثلة لها فى الجمال . .

ـ كل واحدة لها جمال . . ولها صفات . .

ـ ولكن المرأة المصرية أخف دما . أنا زوجتى لاأعرف كيف تأتى بالنكت . . وكيف تحول كل شىء إلى نكتة .

ـ وأما زوجتى فتحول كل شىء إلى نكبة . . إلى كارثة ، وإنها مناسبة عظيمة لكى نقف حدادا على الأمة العربية والقومية العربية . . وعلى الظروف التى غرست اليهود فى قلب العرب . إنهم الإنجليز .

ـ يا أخى ليس الإنجليز . لقد كان اليهود فى هذه المنطقة . .

فأقاموا المعبد وحائط المبكى . . وموسى عليه السلام جاءهم من مصر وذهب إلى أرض كنعان . . ومات ولم يدخلها فظلوا يحلمون بدخولها . ودخلوها وأخرجونا من ديارنا . . ونحن الآن نحلم بأن نعود ، ولكن أحدا لم يساعدنا من العرب أو من غيرهم .

- كيف لم نساعدك ؟ . نحن أعطينا وقدمنا ألوف الملايين .

- وهل هى مسألة فلوس؟

- والله هذا مانقدر عليه . . وأنتم وضميركم . . تفعلون بالفلوس مايخدم القضية . . فهل فعلتم ذلك . . أرجوك أن تسكت . . فلا داعى للفضيحة!

- فضيحة! تقول فضيحة . . من الذى يفضح من؟!

- هذه هى الفضيحة التى أحبها . . واحدة بفستان فاضح أحب أمشى وراها شارع اكسفورد من أوله لآخره .

- فضيحة إيه؟

- هذا الفستان الفاضح للصدر والساقين . . يارجل اتفرج وشوف!

- يا أخى انت بتتكلم على إيه؟

- انت اللى بتتكلم على إيه؟!

٣ شمشون في القصر!

لم يحدث أن استطاعت فتاة بمفردها أن تزلزل عرشا وتهز أسرة وتخرب بيت زوجها وأولادها . . كمافعلت الأميرة ديانا . .

وهى من أسرة نبيلة وعريقة . .

وكانت فى حالها مدرسة أطفال . . لا عندها فكرة أن تكون ملكة ولا زوجة لأمير ابن ملكة ابنة ملك . . أبدا . .

وإنما الذى حدث هو أن الأمير تشارلز تقدم لخطبة أختها . وأختها نظرت له من فوق لتحت ، ولم تجد فى عينيه (طلبا) بالزواج وإنما (أمرا) فرفضت أن يأمر أى أحد بأن تحبه وأن تتزوجه بعد ذلك!

فتقدم الأمير لخطبة ديانا . ووافقت وتابعت الصحف البريطانية حركات الأميرة الحلوة مع زوجها الأمير والملك المقبل . وتضايقت الأميرة . وذهبت أمها للمجلس الأعلى للصحافة وتقدمت بشكوى وهى أن الصحف تطارد ابنتها وتتدخل فى حياتها الخاصة!

واجتمع المجلس الأعلى للصحافة فى بريطانيا لأول مرة من ٢٦ عاما . وجلس الأعضاء ودخنوا وشربوا . وانفض الاجتماع دون اتخاذ أى قرار . فليس صحيحا أن الصحف تطارد الأميرة . .

فالأميرة تركب القطار . وسيلة مواصلات ومكشوفا لكل الناس . . والأميرة تمشى فى الشارع ، فهل تصويرها اعتداء على خصوصياتها؟

وتزوجت الأميرة وأنجبت ولدين . واحد منهما سوف يكون ملكا لبريطانيا . وبدأ زوجها يلعب بذيله . ولكن ذيله كان فى بيت واحدة متزوجة . وهى السيدة التى أحبها الأمير ولايزال . وهى التى نصحته بأن يتزوج ديانا . والأمير قال للأميرة حقيقة الواقعة!

وكان ذلك أول خنجر مزق قلبها وأهانها!

والخنجر الثانى أن الأمير يحترم رأى هذه السيدة وعلى علاقة بها ، ولن يتركها!

واستطاعت الأميرة ديانا بكل ما ورثته من حيل وخدع وانتقام حواء أن تطعن الأمير بسن خنجر هو وأمه وأباه وأخاه وأخته . وكل الأسرة المالكة!

ووقف الشعب كله وراء الأميرة التى رفضت القيود الذهبية للأسرة المالكة . ووقف الشعب وراء الأميرة المتواضعة فى نفسها وفى علمها ، والمحبة للفقراء والمرضى . . حتى مرضى الإيدز كانت تصافحهم وتعانقهم . . يوم كان الناس يعتقدون أن عدوى الإيدز تنتقل بالنفس واللمس . . الحقيقة أنها لاتنتقل إلا من دم المريض فقط!

وتابعت الصحف حياة الأمير وسجلت له حديثا بذيئا مكشوفا منحطا جدا مع مطلقته كاميلا ، زوجة أحد الضباط!

وتجرأ الناس على الأسرة المالكة كلها . . على تشارلز وعلى

والدته وعلى أخته وعلى زوجته . . وعلى نبلاء كثيرين ووجدوهم يستحقون الفضيحة . . بل الملكة نفسها أغنى أغنياء بريطانيا هى من أكثر الناس بخلا . . ثروتها تبلغ ثلاثة آلاف مليون جنيه ومع ذلك تطلب من البرلمان أن يضاعف مخصصاتها الشهرية؟!

أكثر من ذلك قالوا : أن الملكة كانت تلعب بذيلها هى الأخرى . . وكل واحد من أولادها له شكل ومعالم مختلفة!

وقالوا الأمير أندرو شاذ جنسيا!

وهذا مألوف فى الأسرة المالكة البريطانية!

واكتشف أحد المؤرخين أن زوجة الأمير أندرو واسمها «فرجى» والأميرة ديانا وكذلك كاميلا عشيقة ولى العهد . . الثلاث قد جئن من نسل سيدة كانت عشيقة أحد ملوك بريطانيا . . أى أنهن جميعا أولاد حرام!!

وطبيعى أن يكون سلوك أولاد الحرام دمارا وخرابا لكل من يعرفهن . . وهن لايعرفن ولايعايشن ولايثقن ولايطمعن إلا فى تاج الملكة!

وكل واحدة منهن (شمشون) الذى سوف يهدم المعبد والقصر والتاج!

العبقرية:
شئ لا يطاق!

قليلون فى الدنيا من يفهمون نظرية النسبية للعالم الفيزيائى الألمانى اليهودى أينشتين الذى مات يوم مولدى ١٨ أغسطس ولكن من ٣٨ عاما . .

فنحن جميعا نرى أن كل شيء فى الدنيا له طول وعرض وارتفاع . . إلا أينشتين فإنه يرى أن هناك بعدا رابعا هو الزمان . . أوالزمان والمكان معا ـ أى الزمكان ـ فهمت شيئا؟ طبعا لا . ولكنى كتبت هذه العبارة لعلك تحاول .

هذا الرجل ظلت صورته التقليدية معلقة على الجدران فى الجامعات والمكتبات وعلى صدور النساء عشرات السنين : شكله كالشامبانزى الحزين وشعره منكوش كأنه فروع شجرة السنط . .

والحكايات عن بساطته لا أول لها ولا آخر . . ولكنها ليست غريبة عن زوجات العلماء والباحثين . . فهو مذهول فى مظهره . غائب عن الوعى . لايهتم بالأكل والشرب ولابما يقوله الناس حوله . . ثم أنه معظم الوقت لايرد ولايصد . لأنه فى عالم آخر . .

وعندما كان عمره ٢٣ سنة أحب زميلة له يوغوسلافية وأنجب منها طفلة غير شرعية . وضاق بها وبعث بها إلى أحد بيوت اللقطاء ، ثم تزوج هذه الزميلة وأنجب منها ولدين وكان يلاعب الولدين أحيانا!

ولكنه انشغل بابنة عمه . وكانت تقيم فى برلين . فانتقل إلى العمل هناك وترك زوجته فى سويسرا . وغضبت الزوجة وابتعدت عنه مع ولديها . . ولم يسأل لا فى الزوجة ولا فى الولدين . وهو لايحب الأطفال . ولايحب المرأة . . وخصوصا إذا كانت زوجته . إنه يفضل الصديقة . . العشيقة . . حتى الخادمة . . وتم طلاقه من زوجته الأولى . التى يقال أنها صاحبة نظرية النسبية وليس هو؟!

وتزوج ابنة عمه . . وكان يضرب الزوجة الأولى والثانية . . الأولى بالشلوت والثانية بالبوكس فى وجهها . . وغير صحيح ماقالته الزوجة الثانية من أنها تشكو من آلام مستمرة فى أسنانها ولذلك فوجهها متورم . . والحقيقة أنها بقايا معارك . .

ولما بدأ هتلر يضطهد اليهود سافر إلى أمريكا سنة ١٩٣٥ . وحول إلى زوجته السابقة وولديه ماحصل عليه من مال من جائزة نوبل . .

وظلت الحياة الخاصة لأينشتين مجهولة تماما . حتى اهتدى اثنان من الباحثين إلى أوراق ومذكرات أينشتين فى الجامعة العبرية بالقدس . هنا فقط عرفوا وعرضوا ونشروا مالم يكن يعرفه أحد . .

وقد كان أحد أحفاد أينشتين يبيع خطاباته الغرامية . ولكن الناس ، احتراما لعظمته ذهبوا إلى القضاء يحاكمون الحفيد الذى أهان أعظم العقول فى العصر الحديث!

وعرفنا أن العبقرى كان يكره فى دنياه : المرأة والطفل والماء . . فقد تمضى عليه الشهور لايستحم . وتكون له روائح كريهة!

وكـان يقـول إن المـاء يغـيـر درجـة حـرارة الجسم . وأنا أريد أن أحتفظ لجسمى بدرجة واحدة ثابتة!

ويوم حصل أينشتين على جائزة نوبل ذهبت لمعانقته فتاة جميلة . ولم يكد يقترب منها حتى هبت عليها رياح كريهة . . فـقـال : كـيف تصـدر مـثل هذه الأفكار العظيـمـة من مـثل هذا المستنقع؟!

وفى إحـدى المرات حاولت زوجتـه الثـانيـة أن تداعبـه فلمـا وجدته نائمـا ألقت عليـه جردلا من المـاء المـعطر . . لعله يذهب إلى الحـمـام بعـد ذلك . . واسـتحـقت من أجل ذلك علقة باليـد والرجل وكل مايقع تحت يده من أشياء!

ربمـا كـان هذا هو العـبـقـرى الثـانى فى التـاريخ الذى لايطيق المـاء . . الأول كـان الموسيـقار العظيم بتـهوفن . . كـان بيتـه قذرا ، أما فراشه فهو أقذر مافى البيت . . والصراصير والحشرات تلتقى كلها فى سريره . . ولذلك كان ينام ويأكل ويشرب على الأرض . . وقد ذهبت إليه إحدى المعجبات وظنت أنها تستطيع أن تتزوجه أوتغـريه بذلك . . ولكن لم تكد ترى غرفـتـه ومـلابسه والأطباق والشوك والسكاكين تحت المخدات وفى جيوب الجاكته . . حتى هربت . وتصادف أن التقى بهـا بعـد خروجهـا فوجـدها فى حالة انزعاج فقال لها : أعرف أن العبقرية شىء لايطاق!

وكـان الفـيلسوف العـربى ابن سـينا لايحب المـاء أيضـا . وكـان

يخاف أن يركب السفن . ولما سألوه عن السبب قال :

لا أركب البحر أخشى عليّ منه المعاطب .

أنا طين وهو ماء والطين فى الماء ذائب!

كما أن هناك أربعة آخرين من عباقرة الفكر والفن والأدب : الحريرى والبحترى وأبوحيان التوحيدى والجاحظ . . إنهم جميعا يتفقون مع الفيلسوف سقراط فى قبح الوجه وقذارة الجسد ، ولا يطيقون الماء شرابا أواستحماما!

فضيحتك
تسلية للآخرين.!

المثل يقول : فلان أصبح فى نصف هدومه . .

والمثل لايقول أى نصف هو الذى بقى . . وأى نصف هو الذى انكشف . . ولكن انكشاف نصف الإنسان فضيحة . . بشرط أن يكون ذلك بالقوة . . بقوة واحد آخر أوتسقط عنك ملابسك دون إرادة منك . . مثلا : تخيل نفسك فى حفلة عامة . . كأن تكون عريسا مثلا . . وسيادتك جالس إلى جوار العروس فى الكوشة . . وكل دقيقة يجىء من يحضنك ويقبلك . . مرة بعد مرة . . وتجىء الراقصة وتطلب إليك أن ترقص مع المحبوبة فى ليلة العمر . . وفجأة ـ ولا أحد يعرف كيف ـ يسقط البنطلون . . ويفاجأ الناس بأنك بلا ملابس داخلية!!

هذه هى الفضيحة الكبرى . . وغلطان لو زعلت من الناس لأنهم تساقطوا من الضحك . . وإن كان زملاؤك الشبان سوف يغطونك بسرعة . . وسوف يجدون لك ألف عذر؟!

حدث ذلك كثيرا . . وهى فضيحة . .

أذكر أن المرحوم الصديق ممدوح سالم رئيس وزراء مصر طلبنى بالتليفون لأمر هام . وبسرعة نزلت ولكن اكتشفت وأنا أمام مكتبه أننى نسيت ألبس الجزمة وحتى الشبشب الذى فى قدمى . . فردة سوداء وفردة بيضاء . . وخطر لى أن أتظاهر بالعرج . . لكى أبرز هذا الذى حدث . . ولكنى لم أكن أعرف وإنما كنت

أصعد السلم ثلاثا ثلاثا . . إذن أين حدث مايسبب العرج . . لقد استقبلنى الحراس من أول السلم لآخره وفتحوا لى باب مكتب رئيس الوزراء . وتعارجت وصافحت وجلست على أقرب مقعد . وسألنى ممدوح سالم : سلامتك . . خير إن شاء الله . .

قلت : أبدا إننى أمشى أثناء النوم فاصطدمت بجبال الهملايا وسقطت من فوقها!

وضحك ممدوح سالم ، وبعين رجل المباحث وذكائه قال لى : أنت طبعا نسيت تلبس الجزمة!

فضحكت وقلت : صحيح!

وسألته : كيف عرفت هذا؟

قال : أبدا لو أنك تعرج فإن هذا يحتاج إلى مجهود كبير . . وهذا المجهود سوف يظهر على شكل قطرات عرق على وجهك . ولكنى لا أجد عرقاً . . إذن أنت تتعارج ولاتعرج!

وفى اليوم التالى كنت على موعد مع الرئيس السادات . وإذا به يقول لى : يا أنيس . . انت لابس جزمة النهارده؟

إذن لقد أضحكه ممدوح سالم على ماحدث لى بالأمس . وكان ممدوح سالم يشكو من آلام فى ركبته فقلت للرئيس السادات : لما عرفت إن ممدوح سالم يمشى حافيا فى مكتبه ، لبست الشبشب حتى لايتضايق من الذين يلبسون الجزمة!

فضحك السادات وقال : يا أخى كان لازم تروح له حافى . . هاها . . هاها . .!

وأذكر أنى كنت فى برلين . . وتركت حذائى خارج الغرفة لكى ينظفوه .

وبعد أن نزلت وخرجت من الفندق ، عدت بسرعة فقد وضعت الحذاء خطأ أمام الغرفة الملاصقة فلم أجد الحذاء ، وتحدثت إلى الاستعلامات وقلت لهم عن الخطأ الذى وقعت فيه . .

وانشغلت ونسيت . وفوجئت بأن سفرى قد تقدم موعده . فبدلا من السفر صباحا إلى ستوكهلم ، كان لابد أن أسافر عند منتصف الليل . . وطلبت أن يحضروا حذائى . . وانشغلت ، وعندما فتحت الباب لكى أنزل وجدت زوج حذاء حريمى أمام الباب . . إذن لقد راح حذائى . . وأخذه زوج صاحبة هذا الحذاء . . وتضايقت . . ولكنى قررت أن آخذ الحذاء الحريمى . ونزلت وسمعت من ينادينى فى التليفون وذهبت . وقالوا لى : إن سيادتك قد أخذت حذاء إحدى السيدات خطأ . . فالحذاء قد وضع أمام بابك والمقصود هو الباب المجاور!

وتظاهرت بأننى كنت (سرحان) فلم أنتبه إلى ذلك . .

وفتحت شنطتى وأخرجت حذاء السيدة مع الاعتذار الشديد لهذا الخطأ . ولما سألت عن حذائى : أنكروا أنهم يعرفون عنه أى شىء!

فضيحة أن آخذ حذاء غيرى وفضيحة أن أفتح الشنطة فيجدوه . وفضيحة ثالثة أن أعتذر وأن يبدو على وجهى أننى لست صادقا فيما أقول!

فما هى الفضيحة؟

الفضيحة هى الصرف الصحى فى آذان وعيون الناس؟

النصف الحلو من الفضيحة هو الذى لم يقله لك أحد؟

ولولا فضيحتى وفضيحتك لأصبحت حياة جيراننا مملة!

الذين يطالبوننا بنشر الفضائح ، لايعرفون كم ارتفع سعر ورق الصحف!

الفضيحة تجرى والحقيقة تخبو! .

فى أى شىء يتكلم الناس إذا لم يكن هناك آخرون غارقون فى الفضائح!

أنت حُرّ وهم أيضًا !

كنت فى لندن منذ أسبوعين . ونزلت فى نفس الفندق الذى نزلت فيه كثيرا قبل ذلك . . إنه فندق (مونت رويال) وقد أدخلت عليه تعديلات كثيرة .

وهناك نوعان من الفنادق :

فندق تسكنه لموقعه . .

وفندق تسكنه لخدماته الفائقة . .

وفندق (مونتريال) له موقع حيوى . ولذلك فالزحام عليه شديد . . والغرفة فى هذا الفندق تعادل فى الليلة الواحدة ٤٥٠٠ جنيه مصرى مع الإفطار .

ولكن الجديد فى هذا الفندق هذه المرة : الأشقاء العرب . . عددهم يصل إلى ٩٥٪ من مجموع الضيوف . . زوجاتهم المحجبات وبناتهم المسمسمات وأطفالهم الصغار الذين يتشعبطون على السلالم طالعين نازلين . ولاينامون قبل منتصف الليل . . ويلعبون فى كل مكان . . فى الصالات والمصاعد والممرات فى جميع الأدوار . .

أما فى الليل فالهيصة على أشدها . . الخناقات والضحك بأصوات عالية جدا . والجدران رقيقة . . وكأن الناس الذين فوق والذين تحت والذين على الجانبين يشاركوننى سريرى . . حكايات وضوضاء . . ولا أعرف إن كان هذا خناقا أوغزلا عنيفا . . ولا أستطيع أن أتبين ولأننى أريد أن أنام . .

وفى احدى الليالى كانوا يتكلمون من النوافذ . . أى الناس الذين فى الخامس يتحدثون مع الذين فى السادس والأول والثالث والحوار عنيف . . والكلام خشن . . والمتحدثون من الرجال والنساء . . وأكثرهم من الأطفال . . ولا يجرؤ أحد من إدارة الفندق أن يفتح فمه بكلمة . . ولا كلمة . . فقمت على سبيل التجربة أشكو من الزعيق . . فما كان من موظف الاستعلامات إلا أن سألنى : سيادتك من أى بلد؟

قلت : من جزيرة بها ماس!

فقال الرجل محتقراً شأن هذه الجزر : نحن لانستطيع . إنهم ضيوف دائمون . . ولكن لهم أسلوب خاص فى الكلام . وليس مهمتنا أن نعلم الشعوب الأخرى كيف تتكلم بطريقتنا!

يعنى اتفلق وانت فاكر نفسك مين . . انت من جزر لاطلعت ولانزلت . . وحاولت مرة أخرى مع إحدى الموظفات فسألتنى بأدب : وحضرتك منين؟

قلت : من مصر .

قالت : أنت الشخص الوحيد الذى يستطيع أن يتحدث إليهم بصفة خاصة . . يعنى هذا رأيك وليس رأى الفندق .

فقلت : ماذا أفعل؟

قالت : ادخل معهم فى مناقشة وحاول إقناعهم؟

ـ وهل حاولت انت؟

ـ أبدا .

ـ ولن تحاولى؟

ـ ولن أحاول!

ـ لماذا؟

ـ لأن هدفنا أن يشعر الضيف أنه فى بيته . .

ـ والضيوف الآخرون؟

ـ نتمنى أن يشعروا أنهم فى بيوتهم . .

ـ فإذا لم يشعروا بذلك؟!

ـ يؤسفنا أننا لانستطيع أن نرضى الجميع!

يعنى اضرب دماغك فى الحائط!

ولم أفعل!

انتم خطرى
يا حلوة يا زينة !

فى كل مكان فى فيينا كان شباب من كل بلاد العالم . . يتحركون بسرعة . . يتكلمون بصوت مرتفع . وكلهم يغنون ويرقصون ويأكلون أى شىء ويشربون أى حاجة . . إنهم شباب!

وكان الجو دافئا . ولكن هؤلاء الشبان الذين جاءوا من دول الشمال يمشون نصف عراة . . القميص على اللحم . . والبنات ترتدى بلوزات بلا أكمام . . وجيبات قصيرة . . وبلا جوارب . . وكنت أرتدى البلوفر الثقيل . ومن حين إلى حين أشده إلى أعلى حتى لايدخل الهواء إلى ماتحته . . وعندى إحساس أننى سوف أموت من البرد . . وكلما رأيت شابا بلا بلوفر أحس كأننى أنا الذى بلا بلوفر وأعطس . . وفى بعض الأحيان توهمت أن عندى زكاما . . ولكن كلما حاولت أن أتنفس بصوت مرتفع أجد أنفى سالكا تماما . . إذن الزكام ليس زكاما وإنما هو الخوف من الزكام . .

والفندق الذى كنت أنزل به فى منطقة من ڤيينا مكتوب عليه : ممنوع دخول القوات المسلحة . . أى أنها منطقة غير مأمونة . . ولكن هذا كلام يقال للجنود . . أما نحن فلا خوف علينا . . فلا

معنا فلوس . . ولا أحد يطمع فى الذى معنا : لاسجائر ولامعلبات . .

كان ذلك سنة ١٩٥٠ . . وكانت مدينة فيينا مقسمة إلى خمسة أقسام . . قسم لكل من أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا . . أما المنطقةالخامسة فهى المنطقة الدولية . .

وفى الشوارع إعلانات عن ملتقى الشباب من جميع العالم خارج مدينة فيينا . وقد عرفت طريقة الوصول إليه . . وتحدثت فى ذلك طويلا مع عدد من الشباب . . وقد اتجهت إلى الشباب الإيطالى فأنا أعرف اللغة الإيطالية وأحبها . . وأتكلم بعض اللهجات الإيطالية . . ثم إن الإيطاليين ، باعتبارهم من أبناء البحر المتوسط يشبهوننا فى صفات كثيرة . فهم كثيرو الحركة . وحركاتهم لاضرورة لها . . وهم يتكلمون بصوت مرتفع . . وهم يتحركون لسبب ولغير سبب . . مثلا إذا أراد واحد أن يقول أن هناك مطعما عند نهاية الشارع فلماذا يقول لك بحاجبيه وعينيه وذراعيه وأحيانا بساقيه وكتفيه . . كل ذلك يتحرك لمجرد أن مطعما عند نهاية الشارع! .

ولو كان ألمانيا لنطق ألف جملة دون أن يهتز له جفن . . لو استطاع أن يقولها دون أن يفتح فمه لفعل!

وفى ذلك الوقت كنت محررا بأخبار اليوم . وكنت مدرسا للفلسفة فى الجامعة . . وكنت شابا .

وذهبت أتفرج على الشباب وأسمع وأكتب بعد ذلك . وكان ذلك هو اليوم الثانى لمؤتمر الشباب . وفى اليوم الأول كنت فى مدينة سالزبورج وهى المدينة التى ولد فيها الموسيقار العبقرى موتسارت . . وأسعدنى أن أكون هناك . وقررت قبل سفرى إلى مصر مارا بسويسرا واليونان أن أمضى ليلة فى مدينة سالزبورج . .

وفى الدقائق الأولى من المؤتمر سمعت من الميكرفون من ينادى على مصر . ورفعت يدى وذهبت . . وأمام الميكرفون سألنى بالألمانية : إن كانت المرأة فى بلادنا تتمتع بالحرية .

فقلت : طبعا . . حرة تماما . . وفى جيب أية بنت مفتاح لشقتها لتعود فى أى وقت . .

ودافعت عن صناعة المفاتيح فى مصر وعن الحرية . .

وسألنى عن عدد سكان مصر . . وسألنى عن النشيد القومى فى مصر .

وهنا تلخبطت تماما . ولم أعرف النشيد القومى . . ولا كلمة من هذا النشيد . وحاولت أن ألف وأدور وأقول كلاما غير مفهوم ولكنه أصر على أن أغنى نشيد مصر القومى لكى يعرف الشباب فى العالم كيف نغنى لبلادنا . ولم تسعفنى الذاكرة بشىء على الإطلاق . وأخيرا وجدت حلا والسلام . فرحت أغنى : هلت ليالى القمر لأم كلثوم . . وأحاول أن أغنيها بصورة حماسية . .

هلت ليالى القمر . . يحلى مابيننا السهر . . والموج على الشط . أنا وحبيبى ياليل . .

ومن المؤكد أن درجة حرارتى ارتفعت جدا . وأنا غرقان فى عرق الخجل . ولكن قلت فى نفسى : علقة تفوت ولا حد يموت!

واخترقت الصفوف عائدا إلى مكانى بين تصفيق الشباب . . وخصوصا أصدقائى الإيطاليون . . وبعد أن جلست فى مكانى جاءنى عدد من الشباب والشابات المصريين ميتين من الضحك . ولم أكن أعرف أن هناك مصريين آخرين . لقد حاولت أن أفعل شيئا من أجل مصر . وفعلت ماقدرت عليه . . وسألنى الشبان : فى أية كلية؟

ـ كلية الآداب قسم الفلسفة .

ـ سنة كام؟

ـ أنا مدرس . .

ـ يانهار أسود . . نحمد ربنا أنك تركت الميكرفون بسرعة . . لأن السؤال الذى بعد ذلك هو أن ترقص على أنغام مقطوعة موسيقية . . نحن قدمنا هذه المقطوعة لكى نرقص نحن الأربعة عليها . . مقطوعة اتمخطرى ياحلوة يازينة . . هاها!

ـ . . . .

وكان لحنى المفضل !

أول مرة أسافر إلى ألمانيا كان بعد الحرب مباشرة سنة ١٩٤٩ . أما المدينة فهى ميونخ . وفى ميونخ الحانة الشهيرة التى كان يجلس فيها هتلر ويخطب للناس بصوته الأجش . . وفى هذه الحانة ولدت عبقريته السياسية والعسكرية . . واستطاع أن يبهر ويسحر الشعب الألمانى المطحون والذى أهانه الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى . .

ومن معالم مدينة ميونخ هذه الحانة . ولابد أن يذهب إليها الناس من كل الدنيا . الحانة تغيرت الآن وأصبحت مثل كل المطاعم الأوروبية . .

ولكن فى ذلك الوقت كانت عبارة عن اصطبل كبير . . المساحة كبيرة وطويلة . . لاتوجد مقاعد وإنما توجد دكك طويلة يجلس عليها الثلاثون والخمسون معا . .

وتجىء الجرسونة تحمل على صدرها الأكواب . . الكوب فى حجم صفيحة الجاز . . وعندها القدرة الفريدة أن تضع على صدرها عشرة أكواب . . تحيطها بذراعيها الغليظتين وتضغط عليها . . فإذا ناداها أحد الضيوف ألقت بالأكواب كلها على المنضدة . . فى صوت انفجار عظيم . . ثم دفعت بالكوب بقوة فينطلق كالسهم .

وتمتد أيدى العمال الغليظة والعضلية وتمسك الكوب وترفعه إلى أعلى مع عبارة : بروزت (ومعناها فى صحتك) . .

وفى هذا الجو الغليظ البدائى يغنون بأصوات غليظة عالية . . ويضحكون . . وأحيانا يدفعهم الشراب إلى الوقوف على مقاعدهم ويتشابكون بالأيدى ويرقصون . .

ولهم أغنيات تدل على العبط . . أى العبط الذى يجعلهم يضحكون . . من بين هذه الأغنيات أغنية تقول : ٢١ . . ٢٢ . . ٢٣ . . ٢٧ . . ٢٩ . . ثلاثين . . ثلاثين . . وهكذا يمشى النشيد البافارى!

ويضحكون لسخافة هذا النشيد وسذاجته . . ويضحكون من النشيد الذى يعد من واحد إلى ثلاثين ويرى فى ذلك معجزة!

ومن عاداتهم أيضا أن تجىء الفرقة الموسيقية التى تعزف الرقصات الشعبية . . والناس يحيونها . . بروزت . . بروزت . . وتستمر الفرقة فى العزف . . ثم يختارون واحدا من الجالسين . . غالبا واحدا من السياح الأجانب . . ويطلبون إليه أن يقود الفرقة الموسيقية . واختارونى . وترددت ولكنهم دفعونى . وأعطونى عصا المايسترو . . ومطلوب أن أقود الفرقة الموسيقية . . ولكى تقود الفرقة الموسيقية لابد أن تعرف اللحن الذى سيعزفونه . . أوتعرف أنت ماذا سيعزفونه وهم ينظرون إلى العصا التى فى يدك . .

ووقفت ونظرت إلى العازفين . ونظروا فى جدية تامة . ورفعت العصا وراحوا يعزفون مالا أعرف . ولم أتوقف عن تحريك العصا . . وكنت فى غاية الدهشة . . كيف تعزف العصا مالا أعرف . وظللت أحرك العصا . . وهم يعزفون . وسألت أحد العازفين : متى أتوقف؟

قال : أى وقت!

وسألت : ماهذا اللحن الذى كنتم تعزفونه أليس هو الدانوب الأزرق .

ـ صحيح .

ـ واللحن الذى بعده .

ـ كان كسارة البندق .

ـ ولكن اللحن الذى أعجبنى جدا هو الأخير . .

وتمنيت أن أكون قادرا على العزف والرقص لأظل أتابعه وألاحقه حتى الصباح . . ففيه جمال ورشاقة وخفة . . وفيه نعومة وخشونة . . وفيه همس ومظاهرة . اسمه إيه من فضلك ؟ .

ـ إنه اللحن الذى اخترناه لك . . فهو منذ اليوم لحنك المفضل . . فإذا جئت غدا عزفناه لك .

ـ شكرا . .

ـ ما اسم هذا اللحن البديع؟

ـ ولا تغضب؟

ـ أغضب؟ إننى سعيد هذه الليلة . .

ـ اللحن اسمه : العبيط أهوه!

فليساعدنا الله !

نصيحة : يمكنك أن تأكل فى أى مكان . . ولاتدخل دورة المياه فى أية دولة شيوعية ـ أو كانت شيوعية!

أول مرة أذهب إلى الإتحاد السوفيتى كنت مبهورا مذهولا . . فرأسى قد امتلأ بكبار الأدباء والشعراء والفلاسفة الذين أسعدونى بأفكارهم العظيمة . . روايات تولستوى ودستويفسكى وجوركى وتشيكوف وقصائد الشعر الحزين لامنوف والشاعر الملحمى العبقرى بوشكين والفيلسوف سيمون فرانك والفيلسوف الوجودى بردياثف . . والأفكار الفلسفية للأديبة ماريا بشكرتسف . . وموسيقى برودين وتشاويكوفسكى وكورساكوف . .

وأسعدنى ماقرأت للأديب الشاعر باسترناك الذى فاز بجائزة نوبل ومنعوه أن يذهب ليتسلمها . فاعتذر عنها . . ثم حصل الأديب شولوخوف على جائزة نوبل فى الأدب . . وهو فنان متواضع ويقال أنه سرق روايته الشهيرة (نهر الدون الهادئ) من أديب شاب . .

وكل صور الجليد والأوحال والقرى الروسية فى دماغى . . وفى خيالى . .

ثم لوحات الفنان مارك شاجال . . اللوحات السوداء الحزينة التى هى صور من العذاب والهوان ووحشية الإنسان .

ثم ذلك الشعور بالضياع فى الشوارع الواسعة والصحارى الجليدية فى سيبريا . . ثم سفن الفضاء . . رواد الفضاء . . وجاجارين أول رائد فضاء والكلبة لايكا . . وأول كلبة . . وفالنتينا أول رائدة . .

وتزاحمت كل هذه الصور فى دماغى . . ويمسح بعضها البعض . . ولم تكن الطائرة مريحة . . جافة خشنة . . ليست كالطائرة الأوروبية والأمريكية . . هادئة موسيقية . . والدنيا عند أطراف أصابعك . . تطلب فتجىء المضيفة الحلوة تقول لك : شبيك لبيك . .

وأنت تحتار فى الذى سوف تختاره : هل هى ابتسامتها الحلوة وبس . أو أنك تريد أن تشرب وتأكل . . أوتدردش . . كل شىء موجود!

ولكن فى الطائرة الروسية . . لا أكل ولا شرب ولامضيفات . . ولاداعى لأن تهزأ نفسك . . فليس أمامك إلا النوم والتحليق فى السحاب . .

وهبطت الطائرة على أرض مغطاة بالجليد . . والناس قد ارتدوا ملابسهم الغليظة البالطو فرو والطاقية فرو . . والأحذية غليظة . . والوجوه شديدة الأحمرار والعيون شديدة الزرقة . . تماما كما فى الروايات الروسية . . والشوارع كأنها ميادين واسعة . . ودرجات الحرارة تحت الصفر بزمان . . والفندق نار والعة . . والفرق بين

درجة الحرارة فى الشارع والحرارة فى الفندق ٣٠ درجة مئوية على الأقل . .

وبسرعة دعونا إلى رحلة خارج المدينة . . فلا داعى لإضاعة الوقت . . والشوارع بلا معالم . . والناس يدقون الأرض دقا . . والهواء يخرج من أفواههم وأنوفهم بخار أبيض . . والوحل على جانبى الطريق . . والنساء هن اللاتى يكنسن الشوارع ويكومن الجليد . .

وبعد نصف ساعة توقفت السيارة ودخلت شارعا جانبيا . قالوا : إذا كان أحد يريد أن يذهب إلى دورة المياه .

نزلنا جميعا . وبسرعة تلاشت الصور الجميلة والمعانى الرائعة . . كلها بقدرة قادر اتمسحت تماما . ولم نجد إلا مثل هذه الكلمات : أعوذ بالله . . الله يقرفكم . . الله يخرب بيوتكم . .

فدورات المياه عمومية . . يجلس الناس رجالا ونساء إلى جوار بعضهم البعض . . لاتوجد حواجز أوفواصل . . وإنما الرجل يخلع البنطلون . وإلى جواره جلست سيدة تقرأ الصحيفة . . وبقية الطقوس الحيوانية أنت تعرفها . . كيف؟ ماذا تعمل؟

وفوجئت بأن مواطنا إفريقيا . . راح يغنى ويرقص وقد نزع ملابسه كاملة والجورب والحذاء . . وجلس وهو يقول : يجب أن تفعل ماهو طبيعى بصورة طبيعية . . وفى هذه الحالة التى نحن فيها جميعا بلا فارق بين المليونير والفيلسوف والحمار . . هه . . فليساعدنى الله!

المرأة عندما تبكى .

المرأة هى الإنسان اللطيف الضعيف ، حتى تقوى فهى غير ذلك!

المرأة أقل من الرجل وأكبر من الطفل!

المرأة : غلطة ارتكبتها الطبيعة وتحاول جاهدة أن تصلحها أن تستبدلها . . ولكن لا أمل!

المرأة : تمثال فضى تشتريه بالذهب!

المرأة إنجليزية حتى رقبتها . .

إيطالية : حتى خصرها . .

فرنسية : حتى ركبتها . .

ألمانية : حتى قدميها . .

عربية : بعد ذلك!

الذى يجذبنا إلى المرأة ، ليس هو الذى يجعلنا نتمسك بها!

شعر المرأة ولسانها : يجب أن يطول الأول وأن ينقطع الثانى!

أحب الرجل الذى له مستقبل والمرأة التى لها ماض!

المرأة التى أحببتها ليس لها ماض : لقد ولدت يوم أحببتها!

المرأة التى أكرهها : ليس لها مستقبل . . لقد ماتت يوم كرهتها!

المرأة أسعد حظا من الرجل : فهى لن تتزوج امرأة!

فى الستين أو فى السادسة من عمرها ، فإنها تهتز عند دق الطبول!

المرأة لم تخرج من عقل الرجل لكى تفرض عليه رأيها ، ولا من قلبه حتى يكرهها ، ولا من قدميه حتى تهرب به إلى مكان آخر . . ولكن من ضلعه لتحطم له بقية الأضلاع!

معه أمام الناس : ملاك وهى فى البيت شيطان . . فهى أبرع ممثلة أمام بقية الممثلين!

فى العاشرة : ملاك ـ فى الخامسة عشرة : قديسة . . فى الأربعين : شيطان . . وجهنم بعد ذلك!

إنها لاتدخل الجنة مرتين . . فهى التى أخرجت أبانا آدم ، وهى التى سوف تحشر أولاده فى النار!

الخبز والماء والهواء والمرأة ضرورات الحياة ، ونحن نحمد الله أن المرأة فقط هى التى لها لسان .

المرأة ذلك المستبد الجميل ـ عبارة قالها واحد لم يذق طعم الجمال!

تحسن إليها ألف يوم ، وتسىء إليها ساعة واحدة . . هذه الساعة تكفيها لنسيان كل ماتقدم!

بصراحة : المرأة تكره الصراحة!

جريئة جدا إذا أحبت ، أكثر جرأة : إذا كرهت!

الشراء عند المرأة ليس ذوقا ، ولكنه غريزة!

الشراء عن المرأة تبديد لأموال الرجل . . وإنتقام منه أيضا!

من يثير غيرة المرأة كالذى يضيف سما إلى ناب الأفعى!

قل لى من هى المرأة التى تكرهها ، أقل لك من أنت!

إذا كانت المرأة هى جنة الدنيا ، فإننا نختار وبلا تردد جهنم الآخرة!

من تزوج مرة واحدة فإنه لايكررها . . ولكن إذا تزوجت المرأة مرة واحدة ، فإنها تحب أن تكرر ذلك . . فالرجل لأنه تعذب مرة فهو يكتفى بذلك . . ولكن المرأة تريد أن تعذب رجلا ثانيا وثالثا!

اكتبوا على قبرى : أخطأت فى حياتى عشر مرات لأننى كرهت امرأة مرة واحدة . . كرهت النساء كلها وتسع مرات لأننى صدقتها!

المرأة متقلبة متعثرة مترددة . . فهى أكثر من امرأة فى أى وقت . . والتعيس هو الذى لايرى إلا امرأة واحدة!

أحب جمال المرأة ، وأسعد بأناقتها وأقدس صمتها!

فى كتاب قديم أعجبنى قرأت هذه العبارة : المرأة تحب الرجل الذى تخدعه!

ثلاثة لا أصدقهم :

السكير عندما يصلى ، والتاجر عندما يحلف ، والمرأة عندما تبكى!

سيادتك حمار لا تغضب منى !

أعطيت أذنى للجالسين ورائى وسمعت هذا الحوار .

- تعرف ان سيادتك حمار .

- لماذا؟

- كل إنسان لابد إن يجىء عليه وقت ويكون فيه حمارا . . على الأقل مرة أو مرتين فى اليوم .

- لا أفهم كلامك!

- كويس قوى . . سيادتك ماذا فعلت اليوم؟

- خرجت من البيت وذهبت إلى المكتب . . شىء عادى جدا!

- وقبل ما تنزل من البيت . . من الذى ودعك عند الخروج؟

- آه . . زوجتى . .

- وقالت لك ماذا؟

- قالت لى روح ربنا يسترها معاك!

- وصدقتها؟

ـ طبعا!

ـ تبقى حمار!

ـ لماذا؟

ـ انت مش بتتخانق معها كل يوم . . وتقول لك : أنا التى عملت لك . . أنا التى جعلتك بنى آدم . . أنت كنت حافيا وأنا التى اشتريت لك الجزمة . . أنت كنت تافها وأنا التى جعلت لك قيمة .

ـ يا أخى ولكنها كثيرا ما قالت كلاما حلوا . .

ـ صح . . ولكن كم يبقى هذا الكلام الحلو دقيقة . . دقيقتين وبعد ذلك تقلب الوجه الآخر من الأسطوانة .

ـ ولكنها دائما تسأل عنى فى المكتب لتطمئن على وصولى سالما إلى المكتب . . انت عارف الزحام والسيارات .

ـ حمار طبعا . . لأنها لاتريد أن تطمئن عليك وإنما تريد أن تعرف إذا كنت تذهب إلى المكتب مباشرة أوتلعب بديلك . .

ـ أنا أقدر ألعب بديلى؟

ـ حمار . .

ـ لاتستطيع لأنها تسأل السكرتير وتسأل السواق : سعادة البيه أين ذهب ومن أين جاء وأنت مش حمار؟

ـ أكبر حمار!

ـ لماذا؟

ـ لأننى ارتكبت غلطة واحدة فى حياتى ولا أزال أكفر عنها حتى اليوم . .

ـ ما هى؟

ـ لقد توهمت أن المرأة تحب الصراحة . . شوف غباوتى . . وأن المرأة تحب الصدق . . شوف بلاهتى! وأنا أراها أمام المرآة ترسم وجها جديدا كل يوم . . وتذهب للحلاق يعمل لها أشكالا وألوانا من الشعر . . وتذهب إلى الخياطة تشد الفستان من فوق ومن تحت . . وترتدى حذاء راقصا . . كل هذا يدل على أنها لا تحب أن تصارح نفسها بنفسها . . ولا أن تتجه إلى الناس بحقيقتها فى الشكل واللون . . ثم أنها تكذب وتجامل وتكذب وكل النساء كذلك . .

ـ يعنى إيه؟

ـ يعنى أنا صارحتها بكل الذين عرفتهم من الرجال والنساء . . وكل الذين يترددون على مكتبى كل يوم وماذا قالت وماذا قالوا . . فكانت النتيجة أننى لابد أن أفعل ذلك كل يوم . . فإذا لم أفعل كان معنى ذلك أن هناك شيئا لا أريد أن أكشفه . . فراحت تسأل السكرتير والسائق وأصحابى . . فأنا كما ترى لست حمارا واحدا أنا زريبة حمير . .

ـ زريبة حمير وتنصحنى ألا أكون حمارا؟

ـ أبدا . . إننى أنصحك ألا تكون حمارا واحدا . . وإنما أن تكون أنت زريبة حمير . .

ـ وبعدين .

ـ ليس لك بعدين . . فبعد أن يصبح الإنسان حمارا . . فليس أمامه إلا أن يظل كذلك!

ـ ها . . هو . . هأ . . هق .

ـ إيه ده؟

ـ يا أخى أحاول أن أنهق كالحمار .

ـ سوف نتعلم!

الفهـــرس

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ

أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

1 - فى صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
2 - عاشوا فى حياتى.
3 - إلا قليلاً.
4 - طلع البدر علينا.
5 - البقية فى حياتى.
6 - نحن أولاد الغجر.
7 - من نفسى.
8 - حتى أنت يا أنا.
9 - أضواء وضوضاء.
10- كل شيء نسبى.
11- لأول مرة.
12- شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13- الحائط والدموع.
14- وجع فى قلب إسرائيل.
15- الصابرا (الجيل الجديد فى إسرائيل).
16- عبد الناصر - المفترَى عليه والمفترِى علينا.
17- فى السياسة (3 أجزاء).
18- الدين والديناميت.
19- لا حرب فى أكتوبر ولا سلام.
20- السيدة الأولى.
21- التاريخ أنياب وأظافر.
22- الخالدون مائة - أعظمهم محمد (ﷺ).
23- على رقاب العباد.
24- ديانات أخرى.
25- وكانت الصحة هى الثمن.
26- الغرباء.
27- الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28- عزيزى فلان.
29- هى وغيرها.
30- بقايا كل شىء.
31- يا من كنت حبيبى.
32- قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسرى فريدريش ديرنمات:
33- رومولوس العظيم.
34- زيارة السيدة العجوز.
35- زواج السيد مسيسبى.
36- الشهاب.
37- هى وعشاقها.
** للأديب السويسرى ماكس فريش:
38- أمير الأراضى البور.
39- مشعلو النيران.
** للأديب الفرنسى جان جيرودو:
40- من أجل سواد عينيها.
** للأديب الأمريكى آرثر ميللر:
41- بعد السقوط.
** للأديب الأمريكى تنسى وليامز:
42- فوق الكهف.
** للأديب الأمريكى يوجين أونيل:
43- الإمبراطور جونس.
** للأديب الفرنسى يوجين ليونسكو:
44- تعب كلها الحياة.
** للأديب الفرنسى أداموف:
45- الباب والشباك.
** للأديب الإسبانى أرابال:
46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.
48- من أول نظرة.
49- طريق العذاب.
50- ألوان من الحب.
51- شباب.. شباب.
52- مذكرات شاب غاضب.
53- مذكرات شابة غاضبة.
54- جسمك لا يكذب.
55- الذين هاجروا.
56- غرباء فى كل عصر.
57- أظافرها الطويلة.
58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.
60- الحب الذى بيننا.
61- عذاب كل يوم.
62- كيمياء الفضيحة.
63- كل معانى الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.
65- الذين عادوا إلى السماء.
66- القوى الخفية.
67- أرواح وأشباح.
68- لعنة الفراعنة.

(ز) نقد أدبى:

69- يسقط الحائط الرابع.
70- وداعًا أيها الملل.
71- كرسى على الشمال.
72- ساعات بلا عقارب.
73- مع الآخرين.
74- شىء من الفكر.
75- لو كنت أيوب.
76- يعيش.. يعيش.
77- الوجودية.
78- طريق العذاب.
79- وحدى.. مع الآخرين.
80- ما لا تعلمون.
81- لحظات مسروقة.
82- كتّاب عن كتب.
83- أنتم الناس أيها الشعراء.
84- أيها الموت.. لحظة من فضلك.
85- أوراق على شجر.
86- فى تلك السنة.
87- دراسات فى الأدب الأمريكى.
88- دراسات فى الأدب الألمانى.
89- دراسات فى الأدب الإيطالى.
90- فلاسفة وجوديون.
91- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

92- حول العالم فى 200 يوم.
93- بلاد الله خلق الله.
94- غريب فى بلاد غريبة.
95- اليمن ذلك المجهول.
96- أنت فى اليابان وبلاد أخرى.
97- أطيب تحياتى من موسكو.
98- أعجب الرحلات فى التاريخ.
99- ماذا يريد الشباب؟
100- الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

101- مدرسة الحب.
102- حلمك يا شيخ علام.
103- مين قتل مين؟
104- جمعية كل واشكر.
105- الأحياء المجاورة.
106- سلطان زمانه.
107- العبقرى.
108- كلام لك يا جارة.
109- فوق الركبة.
110- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
111- يوم بيوم.
112- إنها الأشياء الصغيرة.
113- إلا فاطمة.
114- القلب أبدًا يدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

115- حقنة بينج.
116- اتنين.. اتنين.
117- عريس فاطمة.
118- من الذى لا يحب فاطمة؟
119- غاضبون وغاضبات.
120- هى وغيرها.
121- هى وعشاقها.
122- العبقرى.
123- القلب أبدًا يدق.
124- يعود الماضى يعود.

(ك) كتب (مقالات):

125- ثم ضاع الطريق.
126- النجوم تولد وتموت.
127- هناك أمل.
128- أحب وأكره.
129- الحيوانات ألطف كثيرًا.
130- مصباح لكل إنسان.
131- أتمنى لك.
132- لعل الموت ينسانا.
133- اقرأ أى شىء.
134- ولكنى أتأمل.
135- حتى تعرف نفسك.
136- الحب والفلوس والموت.. وأنا.

137- نحن كذلك !!
138- اللهم إنى سائح.
139- كائنات فوق.
140- تعال نفكر معًا.
141- آه لو رأيت !
142- النار على الحدود: لعبة كل العصور.
143- انتهى زمن الفرص الضائعة !
144- هناك فرق.
145- الرئيس قال لى.. وقلت أيضًا - الجزءان الأول والثانى.
146- يا نور النبى.
147- وأنت ما رأيك؟
148- حضارة الأوز والبقر.
149- حلمنا الجميل.
150- ضاع الجيل ضاع.
151- قالوا (الجزءان الأول والثانى).
152- وآخرتها.
153- من أول السطر.
154- أظافرها الطويلة.
155- القلب لا يمتلئ بالذهب.
156- تكلم حتى أراك.
157- الذى خرج ولم يعد.
158- ليلة فى بطن الحوت.
159- والله زمان يا حب.
160- أجيال من بعدنا.
161- قلبك يوجعنى.

(ل) الترجمات القصصية:

162- رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكى أرفنج والاس.
163- (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
164- (لو كنت مكانى) للأديب السويسرى ماكس فريش.
165- (قصص مورافيا) للأديب الإيطالى ألبرتو مورافيا.
166- (الجلد) للأديب الإيطالى كورتسيو ملبارته.
167- (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكى جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

168- الفلسفة الوجودية الألمانية - لإميل تسلر.
169- الفلسفة الوجودية الفرنسية - لجان جاك رسو.
170- معنى العدم عند هيدجر وسارتر - لجانيت أردمان.
171- مسرح العبث الفرنسى - لإتيان ماريبو.
172- الفيلسوف الروسى برديائف - لفيكتور لوزتسيف.
173- من كيركجور إلى مارسيل - لأنطوان بابيف.
174- سيمون دبوفوار تلميذة رصينة - لفرنسواز روسلان.
175 - رسائلها إليه - لفرنسواز روسلان.
176- فاشلون لكن نبلاء - لجان مارى روار.
177- ما الميتافيزيقا؟ - لمارتن هيدجر.
178- الوجودية فلسفة إنسانية - لجان بول سارتر.
179- فلسفة حنا أرنت - تلميذة للفيلسوف الألمانى مارتن هيدجر - لآدم برجشتاين.
180- كروتشه فيلسوف الحرية - لإيرابيلا دلورنتس.
181- شمعة فى كل طريق.
182- أكثر من رأى.
183- معذبون فى كل أرض.
184- تعالوا نفكر.
185- معنى الكلام..!

